# نحو إسلام حضاري وإخاء إنساني

## حوارات مع الدكتور محمد حبش

أهم الحوارات الفكرية التي أجرتها المراكز العلمية خلال عام 2024



- الحوار الأول: د. مولاي صابر، مؤمنون بلا حدود
- الحوار الثـاني: مصطفى الخليل، صحيفة المثقف
- الحوار الثالث: د. عبد السلام شرماط، مؤمنون بلا حدود
- الحوار الرابع: هيئة التحرير - أنفاس بريس
- الحوار الخامس: أسامة ياغي - صحيفة نينار
- الحوار السادس: صحيفة يكتي الكردية
- الحوار السابع: أحمد كامل – مركز حوار الثقافات
- الحوار الثامن: د. حسام الدين درويش – رواق ميسلون
- الحوار التاسع: جهاد عبد الله – ستيب نيوز
- الحوار العاشر: شيماء المناعي – جامعة تونس المنار

مركز دراسات الإخاء الإنساني – الشارقة Human fraternity studies www.human-fraternity.org

# الماضي ليس مقدساً.... المستقبل هو المقدس

# نأخذ من تراث الآباء الجذوة... لا الرماد

- الحوار الأول: مؤمنون بلا حدود مع الدكتور مولاي صابر
- الحوار الثاني: صحيفة المثقف مصطفى الخليل
- الحوار الثالث: د. عبد السلام شرماط
- الحوار الرابع: أنفاس بريس
- الحوار الخامس: صحيفة نينار أسامة ياغي
- الحوار السادس: صحيفة يكتي الكردية
- الحوار السابع: أحمد كامل – مركز حوار الثقافات
- الحوار الثامن: د. حسام الدين درويش – رواق ميسلون
- الحوار التاسع: جهاد عبد الله – ستيب نيوز
- الحوار العاشر: شيماء المناعي – جامعة تونس المنار

تمهيد

نقدم للقراء الكرام هذا السجل وثيقة موضوعية محكمة حول المقالات والحوارات التي أجراها الدكتور محمد حبش في عام 2024 في وسائل الإعلام والثقافة المعروفة لتوضيح موقفه في التجديد الديني والإخاء الإنساني.

وهو حصاد عام، وسنعمد إلى نشـــر الحصاد نفسه خلال السنوات العشـــرين الماضـــية، حيث قدم الدكتور حبش حصـــاداً حوارياً وفكرياً متصـــلاً منذ أكثر من خمسة وعشـــرين عاماً، وتقوم بنشـــره مراكز كثيرة للفكر والحوار والثقافة، ولكننا نجتهد هنا في جمعه وفاء للفكرة وتوثيقاً للاجتهاد، وأملاً في إغناء الحوار والثقافة.

وقد تجنبنا الحوارات الســـياســـية الراهنة ما أمكن، حيث الراهن الســـياسي يرتبط بأسباب وروده، على الرغم من أنه قد يقدم إشارات فكرية وعلمية مهمة.

ويأتي هذا العمل حلقة في ســـلســـلة متتابعة من الحوارات والمقالات التي قدمها الدكتور حبش للراي العام ونشرتها صحف أو مجلات أو دور نشر مهتمة.

وتجدر الإشـــارة أن معظم الحوارات أجراها كتاب أكاديميون موضـــوعيون، ولهم إسهام حقيقي في نشر الوعي والتنوير، وقد نجحوا في طرح الأسئلة الحقيقية في غور الفكرة، على الرغم من أنهم قد يحملون مشروعاً فكرياً مختلفاً.

وقد أجاب الدكتور حبش على أسئلة العصـــــر بروح صريحة وقدم إجابات مباشرة وشجاعة، وهي تشكل مصدراً ثرياً في نشـــــر ثقافة التنوير كما كانت كالعادة سبباً لنقمة التيارات التي ترفض التنوير في الدين، وكذلك التيارات التي ترفض الآخر المختلف دينياً وسياسياً.

نقدم هذه الوثائق للتاريخ وهي على كل حال منشـــورة ومتاحة للناس في مواقعها الأصلية، ويمكن غوغلتها بسهولة، ولكننا نجمعها بهدف التوثيق ونقدمها في صورة كتاب إلكتروني يغني المكتبة الالكترونية العربية.

[Type here]

## الحوار الأول: مؤمنون بلا حدود - مع الدكتور مولاي صابر [1]

14 حزيران 2024






---

[1] د.مولاي أحمد صابر، كاتب وباحث مغربي مختص في قضايا الفكر والدراسات القرآنية. يحمل الدكتوراه من الجامعة المغربية في احتصاص الحوار الديني والثقافي في الحضارة الإسلامية، صدر له كتاب منهج التصديق والهيمنة في القرآن الكريم، وكتاب الوحي دراسة تحليلية، كما صدرت له دراسات نقدية هامة حول فكر عابد الجابري وأبو القاسم حاج محمد والصادق النيهوم ومالك بن نبي.

[Type here]

الكريم الدكتور محمد حبش المحترم تحية طيبة واسعد الله أيامك بكل خير، شكراً لكم سيدي على قبول دعوة الحوار

أتمنى أن تنال أسئلتي إعجابك، ولك أن تعدل فيها، في انتظار ردكم لك مني كل المحبة والتقدير

مولاي أحمد صابر - المغرب

- مولاي أحمد صابر: الدكتور محمد حبش بصفتكم مختصا في مجال المعرفة الدينية بالأخص مجال الدراسات الإسلامية كيف ترى اليوم مسألة التجديد في حقل دراسة وفهم الإسلام؟ سواء كان ذلك من لدن أهله من المثقفين والمختصين والعلماء، أو من جهة المختصين في هذا المجال في الغرب.

- محمد حبش:

لقد بت مقتنعاً أننا نمتلك منهاجاً حقيقياً لتطوير الإسلام يفترض أنه حظي تاريخياً ولا يزال يحظى بتأييد تيار عريض من الخلفاء والفقهاء والفلاسفة، فالإسلام يحمل بذور شريعة متجددة ومتطورة كل يوم.

ولكن هذا التوجه يرفضه بشدة معظم رجال الدين ومعهم بالطبع جمهور آخر كبير يلتزم منطق ما وجدنا عليه آباءنا، ويرى في رجال الدين ورثة للأنبياء، ويعتبر ما اختاره الفقهاء والفلاسفة من تطوير الإسلام ليس إلا تجاوزاً للثوابت، وأن المطلوب منهم ليس بيان برهانهم وحججهم بل التوبة والعودة إلى ما كان عليه السلف من رجال الدين، وتحديد مصادر الشريعة بمصدرين اثنين فقط هما الكتاب والسنة، والتشكيك بالمصادر الأخرى باعتبارها عبثاً بالثوابت، وأن الأفق العقلي المأذون به هو فقط تفسير النص الديني والاجتهاد فيه وذلك وفق قواعد وشروط معقدة تمنع التفكير خارج الصندوق وتوجب على المجتهد اتباع منهاجية صارمة تمنع الاجتهاد في مورد النص وتلزمه التفكير والاجتهاد وفق ما أنجزه الأولون، ويحصر مقاصد الشريعة والاستنباط منها بالقدر الذي أنجزه الأولون والرواية عنهم لا غير، وتكاد تنحصر. فرصة الاجتهاد عند هؤلاء على المسائل المستجدة والقياس على ما سبق من مسائل.

[Type here]

وبعيداً عن العبادات والغيب التي يلتزم فيها المؤمن نص الكتاب والسـنة، فإنني أعتقد أن الفقه الإسلامي في المعاملات يتطور باستمرار، وإن الفقهاء والخبراء سواء كانوا من أئمة الشريعة أو أهل الاختصاص من القانونيين وعلماء الاجتماع الذين تختارهم الدولة لتنظيم القطاعات الحيوية في المجتمع والتجارة والصناعة والسياحة والنقل والدفاع يقومون بدور كبير وحقيقي في تطوير الفقه الإسلامي، والاستجابة لتحديات العصر الجديد، وتقديم البدائل الحقيقية للتشريع السعيد، ويمكن القول إن الدساتير الحالية في 53 دولة إسلامية من أصل 57 دولة هي دساتير متطورة وتحكم بالعقل والمنطق والبرهان، وهي التطور المثالي للفقه الإسلامي في إطار المعاملات، وأن ما يلزمنا هو إقناع الجيل بتكامل الشرع والقانون وليس بإعلان الصراع المستمر بين الشرع والقانون كما يطالب كثير من رجال الدين.

ويجب القول أن ما نطالب به من رؤية متجددة للفقه الإسلامي قد بات اليوم أيضاً واضحاً وظاهراً في معظم التوجهات السياسية للقادة العرب والمسلمين، ولن تواجه هذه الأفكار صداماً ذا بال مع معظم الحكومات العربية والإسلامية، التي باتت تقدم في الجملة خطاباً إسلامياً متسامحاً واقعياً، وتتجنب فتاوى التشدد والاستعلاء، وتفسح المجال للخطاب التنويري بقدر ما يتناسب مع مصالحها، وبات من الواقعي أن نعول على الخطاب الرسمي للحكومات العربية والإسلامية في كل قضايا التنوير مع التحفظ الشديد بالطبع على ما تمارسه تلك الأنظمة من سلوكيات باطشة لخدمة الاستبداد يتناقض بالكلية مع شعاراتها وبرامجها.

- مولاي أحمد صابر: تبعا للسؤال السالف الذكر في تقديرك ما هي المعضلات الفكرية والثقافية والاجتماعية التي جعلت موضوع تجديد الإسلام لا يؤتي ثماره؟ واقعنا اليوم واقع مأزوم يغلب عليه ما هو طائفي ومذهبي في فهم المسألة الدينية، وقد اتسعت فيه دائرة التطرف والتشدد بشكل غير مسبوق.

- محمد حبش:

يواجة العقل المسلم في هذه الأيام الصاخبة صرخات متناقضة، تدور بين تقديس كل شيء ورفض كل شيء، بين الانتماء للتاريخ الإسلامي واعتبار هدي السلف خير هدي القرون، ودعوة البشرية إلى العودة لهدي السلف، وبين تيارات أخرى ترى أن التراث الإسلامي برمته صار عبئاً على الحياة والتطور وسبباً للقطيعة مع العالم وأنه لا خلاص لهذه الأمة إلا بنبذ الماضي كله واعتباره كذبة ضارة حالت بين هذه الأمة وبين لحاقها بالأمم.

ولا شك أن هذه الصورة غاية في الوضح لكل متابع، ولن تنفعنا المجاملة في شيء فقد فضَحَنا عالم التواصل الاحتماعي وكشفت لنا المنابر المفتوحة على مواقع التواصل كلاً من التيارين الساخطين وقد توفر لكل منهما جماهير مليونية غاضبة لا سبيل لإنكارها إلا بقدر كبير من التعسف والمكابرة، وقد بات من المؤكد أن الأصوات الأكثر صراخاً وتعصباً في الجانبين هي من يحصد الجماهير الهادرة فيما يتخافت صوت الاعتدال والمنطق حتى يكون نادياً نخبوياً يكتب بحذر ومداراة على حروف المعاني ثم ينصرف مذعوراً من ضعف الحيلة وقلة النصير.

وفي السنوات الأخيرة تفجر الصراع الدموي المؤلم في بلاد الشام والعراق ومصر وليبيا واليمن، وكان من تداعياته ما تكرس من انقسام مجتمعي خطير، بين الرؤية الإسلامية والرؤية العلمانية، وبات الانقسام بين الجانبين مريراً وقاسياً، تتناوله الريب الصارمة، وتحولت الخصومة إلى عداء والاختلاف إلى صراع والاتهام إلى اغتيال، ولا زال المشهد يشي بمزيد من الرعب والتشاؤم، وبدا أن البلاد العربية تشهد تماماً العصر الأوروبي في انتقاله من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، وبات المشاركون في معمعة الخصام لا يبالون أن يأخذوا بلادهم إلى مواجهات فاصلة على مستوى بارتلميو وحرب الثلاثين عاماً في سبيل انتصار ما يراه كل فريق الحق الذي لا مرية فيه.

ومع أن الأسباب الجوهرية لاشتعال المنطقة إنما هي الاستبداد في المقام الأول، والظلم الذي مارسه جيل من الحكام لا يؤمنون بالحرية ولا حقوق الإنسان، ولكن هذا الاستبداد الضاري استفاد لأقصى غاية من التناقض الثقافي في المجتمع، واستخدم الشعارات المتناقضة من الإسلام والعلمانية والسلفية والليبرالية وأجاد توظيفها خصماً وحكماً، ووجد في كل مرة ثائرين غاضبين يقاتلون تحت رايات عمية وفي النهاية يخدمون الاستبداد من حيث يريدون أو لا يريدون.

[Type here]

ومع ذلك ومع أن السـبب الأول لسـقوطنا وتخلفنا هو الجانب السـياسي ولكنني أعتقد ان معركة المثقف لا تقل عن معركة المحارب، وقد صـار السـيف والقلم في سـاحة اختبار عنيف، ولكل منهما أداة انتصـاره وانكسـاره، فلا القلم قادر أن يمحق السيف ولا السيف قادر أن يسحق القلم.

- مولاي أحمد صـابر: وفق هذا السـياق العام نقف عند موضـوع الخطابة (نقصـد هنا خطب رجال المؤسـسـة الدينية أيام الجمعة وغيرها) وقد مارست هذه المهمة سابقا في مساجد متعددة، وهي مهمة لها حضورها في أنفس المتلقين من المؤمنين وغيرهم، سـلبا أو إيجابا، مع العلم أن الكثير من القنوات التلفزية قد تحولت الى منابر للخطابة، في تقديرك السـنا اليوم في حاجة لتجديد هذه المهمة بما يتلاءم مع مقتضيات العصر شكلا ومضمونا؟ بمعنى آخر كيف يمكن للخطيب أن يكون رسـول سـلام بين الناس والى العالم؟

- محمد حبش:

لقد كتبت مراراً في الفرق بين الفقيه والواعظ وأرجو أن أبدو واضـحاً فهناك فارق كبير بين الواعظ وبين الفقيه، الواعظ الذي تتركز مهمته في رواية التاريخ ونقل كلام الأولين إلى مسامع الآخرين، وبين الفقيه الذي يهتم بإنتاج الأحكام الجديدة والإجابة على أسئلة العصر.

رجال الدين أو الواعظون أو الخطباء أو الأئمة هم طبقة كريمة من المجتمع تقوم برعاية الأخلاق والفضـيلة، وهم يقومون بالفعل بمواجهة التغيير باسـتمرار ويعتقدون أن أفضـل طريقة للتوجه إلى الأمام هي الذهاب إلى الخلف، ففي عصر السلف كمال مطلق يصلح لكل الأزمنة والأمكنة والأحوال.

أما الفقيه فهو لا يقبل بدور كهذا، والمقصـود بالفقيه هنا هو عالم الشريـعة والقانون، وهو الذي درس الشريعة الإسلامية والقانون الفرنسي والإنكليزى والدولي، ودرس مصادر الشريعة المعتبرة خارج النص وهو ينتج أحكاماً جديدة كل يوم،؟

رجل الدين أداته الرواية، ومصـــادره الكتاب والســـنة، أما الفقيه فأداته الاجتهاد، يستنير بالكتاب والسنة ولكنه يشـــرع بالإجماع والاستحسان والاستصلاح والعرف والذرائع، رجل الدين يشـــدنا إلى الســـلف والفقيه يشـــدنا إلى الأمام إلى المصـــالح الحقيقية للأمة.

ولو ســـالتني أين هم هؤلاء الفقهاء، فمن الطبيعي أنك لن تحدهم في المحاريب ولا المنابر، ولكنهم موجودون في اللجان التشريعية للدولة الحديثة، ولا زالوا كذلك منذ تولى القاضي أبو يوســـف مهمة قاضي القضـــاة وصـــولاً إلى اللجان التشرـــيعية في البرلمانات الحديث ومجالس الشـورى في البلاد الإسـلامية وهي اللجان التي أنتجت الدساتير والقوانين الحديثة وفق اجتهاد فقهي مستنير بصير.

إن الدســاتير الحديثة التي تنظم المواطنة والقانون والحقوق في 53 دولة إســلامية من أصــل 57 دولة هي دســاتير حديثة تماماً، لن تحدها في الكتاب والســنة، ولكنها تعمل بروحها، وكذلك قانون المعاملات المدنية مثلاُ الذي تحتكم إليه كل الدول العربية وينظم كل علاقات البيع والشراء والرهن والكفالة والشركات، وتبنى به المدن الحديثة الكبرى هو في الواقع قانون حــديث لم تجده في الكتاب والســـنة ولكن ستجده في الاسـتحسـان والاسـتصلاح والعرف والذرائع، وهي مصادر يعرفها الفقيه ولا يعرفها رجل الدين الذي يطالب فقط بالكتاب والسنة

- مولاي أحمد صابر: كيف ننتصرـ اليوم لفكرة السلام بدل فكرة الحرب على مستوى المبدأ والتصور؟
- محمد حبش:

الدين رسـالة أشـواق وأذواق، ويجب ان لا يخرج عن إطاره الروحي والتربوي، وهذه بالفعل ســـير ســـائر الأنبياء في القرآن باســـتثناء النبي موسى ومحمد اللذين قاما بتشـكيل كيان سـياسي، وقد نجح الفقهاء بجدارة بالتمييز بين تصرـفات النبي الكريم بالإمامة وتصرـــفاته بالنبوة، ومن أفضـــل ما كتب في ذلك ما كتبه بالعنوان نفســـه الصـــديق العزيز ســـعد الدين العثماني رئيس وزراء المغرب الأســبق، حيث بســط القول بوضوح في الفارق بين التصرفين، ومن المنطقي ان نقسم بيات الكتاب العزيز إلى قسـمين قسـم يطالب به الفرد، وقسـم تطالب به الدولة، وإذا كان ذلك واحداً في شخص الرسول الكريم فهو ليس كذلك في التابعين له بإحسان، وفي هذا السياق

فإن كل آيات الحرب والجهاد والغزو هي مســؤولية الدولة، ومن واجبها أن تقوم بدراسـة قرار الحرب والسـلم بحسـب مصـالح الدولة العليا وليس بحسـب فتاوى المشايخ وآراء الفقهاء.

من وجهة نظري فإن القرآن الكريم والســنة النبوية فيها نصــوص كثيرة تتعلق بالحرب، وهي نصـوص محكومة بمصـالح الأمة والعلاقات الدولية، وحيث أقامت الدولة ســفاراتها فقد وجب فيها قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود، وهذا في الواقع هو ما تطبقه كل دول الأرض بلا اســتثناء وهو ما يجب أن تطبقه الدولة المسلمة.

أما المنطق الـذي طـالـب بـه القرآن المؤمنين بـأن يمـارســـوه مع المختلف دينيـاً ومـذهبيـاً ســـواء كـان كتـابيـاً أو وثنيـاً أو ملحـداً فهو واضـــح في صريح القرآن: ادع إلى ســبيل ربك بالحكمة والموعظة الحســنة، وما أرســلناك عليهم وكيلاً، وما أرسلناك عليهم حفيظاً فذكر إنما أنت مذكر، ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين.
ويقولون: الدين مصحف وسيف !
وأقول: بل الدين هو الرحمة والحب، ورسالة الإيمان هي الأخلاق والإشراق.. وهو لا يحتاج سلطة السيف ولا سطوة الدولة......
الســيف شــأن القضــاء... ومكانه المحكمة لا المســجد، ويأمر به القاضي وليس الفقيه... وينظمه القانون وليس الشريعة...ويُعاقَبُ به المجرمون لا المُشركون...

- مولاي أحمد صـــابر: تحدثت في أكثر من مناســـبة وفي مختلف كتبك عن موضـــوع تجديد الخطاب الديني، في تقديرك كيف نجعل من القرآن مدخلا لهذا الموضوع؟ مع العلم أن المجال التداولي في الثقافة الإسلامية المعاصرة غني بالكثير من المشـاريع الفكرية التي اشـتغلت على موضـوع سـؤال المنهج في التعامل مع القرآن الكريم.

- محمد حبش:

لا يوجد دين مؤهل أن يتجدد ويتطور أكثر من الإســلام، لقد تم تطوير الإســلام في حياة الرسـول نفسـه 21 مرة بالإجماع، حيث نسـخت آيات قرآنية أسـاسـية لا زلنا

نرتلها في المصحف خلال عشر سنوات، ومن الفقهاء من قال إن المنسوخ مئات من الآيات وليس عشرات.

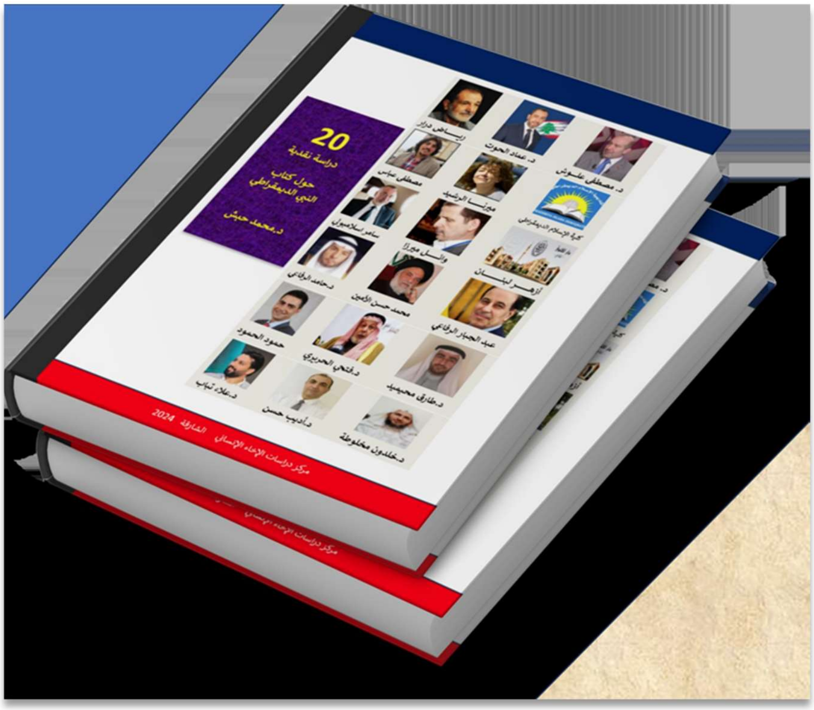
لا تحتاج هذه المسألة إلى أسرار، والتجديد يقتضي تعديل القديم وتطويره وأحياناً استبداله، وكل هذه الممارسات يبجب أن تتاج للمجتهد إذا كنتا نريد أن يبقى هذا الدجين حياً ويشارك في التطور الحضاري

إنه ليس مجداً لأي فكر أو قانون أو دستور أن يتصلب بحيث يستعصي على التجديد، وإنه ليس مجداً لأي نص بما فيه النص الإلهي أن نقول إنه فوق النقد أو فوق التطوير والتحديث، وأن نعتصم بالعبارة الانفعالية الإطلاقية التي لا معنى لها وهي صالح لكل زمان ومكان.

إن هذ العبارات الإطلاقيات تعكس لوناً من جحود الزمن، والنظرة البارميندوسية للحياة على أنها سكون مطبق لا يتقدم إلى اي مكان.

لقد واجه الفلاسفة منذ فجر التاريخ هذا التفكير بقوة ومنذ عهد هرقليطس أعلن الفلاسفة أن الجمود موت والحياة حركة، والعالم ليس حقيقة قارَة بل جدل متلاطم، ولذلك احتار هرقليطس التعبير عن الهيولى الأولى بأنها النار، تلك التي لا تثبت على حالة، وتبدي وتعيد، وتخلق وتعدم، وحين قال إن لا تستحم بماء النهر مرتين، فإن الناس فهموا أن ماء النهر يتغير باستمرار، ولكن هرقليطس أراد أن الإنسان يتغير أيضاً، فيما أضاف هيغل بعداً جديداً لهذه المقولة وقال إن قانون الدهر بيتغير أيضاً باستمرار.

بعيداً عن الفلسفة فإن الدين الذي يأمر بنسخ نصه الأسمى وهو القرآن الكريم بناء على مصالح الناس، وقد بينت ذلك في كتابي النبي الديمقراطي في أكثر من ثمانية وأربعين مسألة، وبذلك فإن الإسلام دين حيوي ومتجدد باستمرار، وللأسف فإن معم التجديديين لم يعودوا يؤمنون بالنسخ باعتباره قصوراً في الخالق ولكنني أراه جوهر التطور في الشريعة فحيث أذن الله بتطوير القرآن نفسه عشرين مرة على الأقل في عصر النبوة فهو سيأذن بذلك كلما جد تطور حيوي.




إن الأمة في كفاحها التشريعي حلال التاريخ حين نصبت لرجا لالتشريع مسؤولياتهم في الإجابة على الحلول المستجدة كانت تدفعهم باستمرار للاجتهاد في مورد النص وفي غير مورده وفي وفاقه وفي شقاقه، فالغاية الإنسان والنص نفسه في خدمة الإنسان وليس العكس.

ويتعين القول إن معظم الفقهاء اختاروا مصطلحات لطيفة كتخصيص العام وتقييد المطلق، ولكن يجب القول إن عدداً غير قليل من الفقهاء تمسكوا بمصطلح نسخ النص بالإجماع، ومن الجلي أنهم يرون أن بإمكاننا وقف النص القرآني إذا كانت مصلحة الأمة الحقيقية في وقف العمل به، وهذا ما جرى بالفعل في وقف العمل بنصول السبي وملك اليمين وكذلك في نصوص قتال المشركين وفرض الجزية على غير المسلمين.

وقد يكون من الواجب هنا بسط القول بالأدلة فأقول:

أما نسخ القرآن بالقرآن فهو مذهب أهل السنة كافة، ولم ينكره من السلف إلا أبو مسلم الأصفهاني

وأما نسخ القرآن بالسنة فهو مذهب جمهور الفقهاء الحنفية والماليكة والحنابلة وقد انكره الإمام الشافعي رضي الله عنهم أجمعين

وأما نسـخ القرآن بالإجماع فهو رأي غير مشـهور منقول عن جماعة من السـلف نعد منهم:

- الحافظ ابن عادل الحنبلي في كتابه اللباب في علوم الكتاب ج 3 ص 242 وقد علل ذلك بانهم علموا وجود دليل تقديراً.
- كما أورده ابن حزم في كتابه الإحكام في أصول الأحكام ج 4 ص 120
- كما اورده السرخسي في أصوله وانتصر له ج2 ص 66
- كما أورده الآمدي في أصول الأحكام في معرض نسخ الثلث للأم بالأخوين ج3 ص163
- وانتصر له البزدوي في كشف الأسرار ج3 ص 175
- ونقله الزركشي في البحر المحيط عن الحنابلة ج5 ص 287
- ونقله عن الســـرخســـي ايضا ابن الموقت الحنفي في التقرير والتحبير ج3 ص69
- ونقله علاء الدين الصـالحي في التحبير وعلله بأنه على تقدير وجود ناسـخ لم يظهر لنا ج6 ص 363
- ونقله أمير بادشاه الحنفي عن أئمة الحنفية في تيسير التحرير ج3 ص209
- ونقله الشـوكاني في ارشـاد الفحول عن أئمة الحنابلة على تقدير الناسـخ ج 2 ص75
- ونقله بدر الدين العيني عن أئمة الحنفية في كتابه البناية شرح الهداية ج 3 ص 445

ومع أن هذا القول غير مشـهور عن السـلف ولكنه اليوم أكثر أشـكال النسـخ اشـتهاراً، حيث تقوم البرلمانات في الدول الإسلامية عبر لجانها الفقهية والتشـــريعية باختيار الأوفق للناس والأكثر مطابقة للعدالة ولو كان خلاف ظاهر النص، وفي هذا السـياق يمكن تفسير اتفاق المسلمين على منع الرق والسبي وبيع الأشخاص ووضع الجزية والكف عن حرب المشـركين وقتالهم وإقامة حدود اعتبارية وفق القانون الدولي وهذا كله مناقض لظاهر النص ولكن تقبلته الأمة في مجالس إجماعها ولا يعرف له نكير معتبر.

- مولاي أحمد صـابر: لكم مقولة مفادها " داعش أفول التنظيم لا يعني أفول الفكرة" هل يمكن أن تفصـل لنا القول في هذه المقولة، على المســتوى الثقافي والاجتماعي والنفسي والعلمي.

- محمد حبش:

ماتت داعش ولكن أفكارها لم تمت أبداً، وقبل أيام نشرت على صفحتي رداً مباشراً على الشيخ عثمان خميس وهو شيخ سلفي مشهور لديه ملايين المتابعين على الشابكة ، وله مجموعة محاضرات ينشرها بنفسه على وسائل الإعلام الاجتماعي، وفيها يقرر بوضوح أن واجبنا الشرعي هو أن ندعو الناس إلى الإسلام فمن أجاب فأهلا، ومن لم يستجب فإن واجبنا الشرعي أن نفرض عليه الجزية صاغراً فإن أبى فإن علينا أن نقاتله!! فإن قتلناه فهو إلى النار وإن أسرناه فهو عبد حقير للمسلمين، لأنه لم يرض أن يكون عبداً لله فليكن عبداً للمسلمين!!

في الواقع ليس في هذا النقل أي مبالغة، والعبارات موجودة بالصوت والصورة ولم يعد في عالم الميديا شيء مستور، وقد نشر هذا الريط بالذات تحت عنوان لا تخجلوا من دينكم وبوسع كل من يشاء أن يشاهده فهو منشور على عشرات المواقع، والأسوأ أنه منشور بكثرة على مواقع معادية للإسلام كموقع ميمري الذي يديره فريق صهيوني برئاسة إيهود باراك كما ينص الموقع بصراحة وهناك ستجد كل هذه الأشرطة البائسة.

لا تحتاج داعش لفتوى أوضح من هذه وهي تمارسها كل يوم، إننا نروي هذه الأحكام لطلابنا ونشرحها لهم ببراعة الشيخ خميس نفسه، ولكن حين يقوم المتشددون الذين تلقوا هذا التعليم بارتكاب الفظائع نقول إنهم صنيعة أمريكا وهم مؤامرة على الإسلام!!

قناعتي اننا ننتج في لكل يوم مبررات جديدة لقيام منظمات لا تقل خطراً واثراً عن داعش ونحن نظن أننا نحسن صنعاً.

- مولاي أحمد صابر: لكم مؤلف حول إخاء الأديان وهو مفهوم فيه ابداع مميز، هل هذا الاصطلاح فيه تجاوز لحوار الأديان؟ وعلى ماذا يقوم هذا الاصطلاح وهذه الدعوة؟

[Type here]

- محمد حبش:

لقد اخترت بالفعل مصطلح إخاء الأديان لأنني أراه تعبيراً دقيقاً فلا معنى لإضاعة الوقت في حوار الأديان ومقارنة الأديان، فلا أحد من أتباع الأديان يستطيع تغيير جوهر دينه وكذلك فإن مصطلح وحدة الأديان أو توحيد الأديان عبث لن يقبله أحد، ولكنني اخترت إخاء الأديان وهو سلوك اجتماعي محض في مواجهة ثقافة الكراهية حيث أقوم باحترام المخالفين وتقدير اجتهاداتهم من دون أن أكون قد عبرت عن موقف كراهية، وذلك على قاعدة لكم دينكم ولي دين.

لقد اخترت الكتابة في إخاء الأديان وأنا أعلم بوضوح أنه حلم غير موجود، فالأديان على الأقل في نمطها السائد اليوم وبالتحديد في الإسلام والمسيحية واليهودية لا يسمح كهنتها ببناء هذا الإخاء، فالآخر كافر شرير يمكننا أن نجامله أو نتعايش معه ولكنه ذاهب إلى النار يوم الدينونة، ولن يتغير شيء كثير إذا مارسنا المجاملات والصداقات لبناء عيش مشترك، طالما أن المخزون في الصدور ثقافة التكفير الرهيبة التي تجعلك تفقد بجارك كل احترام، وتتربص به الدوائر، وسرعان ما ترتد هذه الاصطفافات بشكل مرعب لدى أول امتحان، وبإمكاني القول بأن تيار الإخاء بين الأديان على الرغم من حضور النخب فيه وخاصة من أهل القانون والتشريع والفلسفة والحكمة وكذلك التيارات الصوفية إلا أن السواد الأعظم من الناس لا زال خاضعاً لفكرة الآخر الكافر، والجحيم الذي ينتظره ووجوب بغضه في الله الذي تعبدنا ببغض الكافرين.

[Type here]




- مولاي أحمد صـــابر: وفقا لطرحك إخاء الأديان، هل ذلك يعني الارتقاء لمستوى دين كوني ذو طبيعة إنسانية عالية، يخرج فيه الجميع من مختلف السياجات المغلقة باسم الدين؟
- محمد حبش:

نعم لم أقصد بإخاء الأديان بناء جبهة من المؤمنين ضد الملحدين، لقد قصدت إلى بناء إخاء إنسـاني، فالغاية الإنسـان وليس الأديان، ولا أريد أن أخرج من الاصـطفاف المذهبي إلى الاصطفاف الديني فكلاهما مشـــروع كراهية، لقد قصدت إلى الفضاء الأرحب حيث يكو ن الانســـان أخا للإنســـان، يحبه ويحســـن إليه على الرغم من موقفه الاعتقادي، وفي القرآن الكريم من هذا المعنى: قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله، وفيه ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم.

لقد بســـطت في كتابي الأدلة الكافية على إمكانية بناء المحبة بين أتباع الأديان من دون أن نشـــترط تحولهم إلى ديننا، والفصـــل الأول من هذا الكتاب فيه أكثر من أربعين دليلاً شرعياً من الكتاب والســـنة والمصـــادر الأخرى على وجوب الإخاء بين الناس مؤمنهم ومشركهم، وأن العداوة لا تكون إلا للعدو المحارب.

إخاء الأديان غير موجود إلا على مستوى النخب، ولكنه رسالة نبيلة وكبيرة، ولا أعتقد أن أي مشروع سلام ومحبة وإخاء إنساني يملك فرص النجاح إلا إذا عالج بشجاعة وقوة مسألة التناحر الديني الذي يؤسس للكراهية في جذور عميقة لا تقبل الحلول.

- الكلمة الأخيرة لكم
- محمد حبش:

لقد اخترت هذا الطريق وهو طريق شائكة عسيرة، وربما لو أدركت تماماً عواقب خياري هذا لترددت عنه، فليس سهلاً أن تخسر مكانك بين الناس كمصدر روحي مأمون يبشرهم برغاب السماء ويحظى منهم بتقديس الأرض، لقد وجدت نفسي فجأة في مكان آخر لقد بنيت حياتي على واقع صفر عداوات ولكنني فوجئت حين صارحت الناس برسالتي في التنوير بغضب ماحق وبيانات تترى من مراجع الدين والسياسة الكبار في بلادي، ووجدت نفسي مهدداً في أكثر من سياق ولكن لا ضير فهذه هي سنة الحياة، وما أسهل أن تعيش صالحاً ولكن ما أصعب أن تعيش مصلحاً.

دعني أختتم بهذه الكلمات من الرباعيات، وهيآهات جارحة بثثتها في محراب عشقي للرسول الكريم ، فقد كنت أجد أنسي وسلوتي في مناجاة الرسول، لقد شعرت تماماً أنه واجه هذه الأهوال حين قرر أن يواجه همود الناس وأوهامهم، لقد تبدل اسمه فوراً من الصادق الأمين إلى الساحر المحنون الكذاب.، !! ولكنه استمر ومضى.

لقد بدأت كتابة هذه الأبيات عند قبره الشريف منذ عشرين عاماً، ولكنني مستمر في كتابتها إلى اليوم وقد صارت أكثر من ألفي رباعية، وعلى نسق إقبال في شكوى وجواب شكوى خاطبته بحديث الروح للأرواح تسري فتسمعه القلوب بلا عناء:

يا رسول الله يا من وجهه      أشرقت منه الليالي مصبحات

هـل لـدى كفيـك بـرء مثلـه　　يـمـنـح الـحـائـر أسرار ألـحـيـاة

أيهـا الصـــادق كم من وقفـة　　قمت فيها ناســخا حكم الســماء
وشـــجـاعـا كنـت في تغييرهـا　　يا لنـــــــــــا أتباع شوم جبناء

أيهـا الصـــادق كم من نكبـة　　قـد نكبنـاهـا بنص مســـنـد
لـم تـكـن تـعـلـم لـمـا قـلـتـهـا　　أنها دستورهم للأبـــــــــــــد

أيهـا الصـــادق أشـــواقـك في　　غـارك العـالي شـــفـاء للقلوب
كنـت تلقيهـا على جنح الـدجى　　وتُـلـقَّـاهـا عـلى جـنـح الـغـيـوب

أيهـا الشـــاهـد مـا للمســـتقى　　صـــار ســـقيا من دم مر وســـم
إن مـاء المـزن تريـاق الحيـاة　　ربـمـا يـقـتـل حـبـطـاً أو يـلـمّ

مـا النبـوات التي كـانـت لكم　　غــير أشـــــواق وأذواق ونـــور
أشرقت شـــوقاً على أســـماعكم　　فجرت أنغـامهـا فوق الســـطور

فـلـمـاذا خـتـمـت أنـوارهـا؟　　رغم ما يشـــهـده العـالم هـذا
ولـــمـاذا طـويـت أسرارهـا؟　　ولـــمـاذا ولـــمـاذا ولـــمـاذا ؟

لقد ألقيت كلماتي حرّى حزينة واجمة... وكنت أرقب من ندى يديه ولحظ عينيه جواباً لهذه المشاعر العاصفة، لقد وجدتني بين يديه وهو يرتل علي رسالة نصحه، وهي رسالة من سجاف الغيب تكشف هول المواجهة مع الجاهلية الثانية، ورسالة الحب في طوفان من الكراهية.

[Type here]

لا تلمني يا صديقي إنني — خدمة للعقل أوقفت النبوة
لم أشأ أرضى لكم أوهامكم — فخذوا أقداركم عني بقوة

مجدكم في الأرض لا ترسمه — جثث تسكن في جوف المقابر
فخذوا أقداركم وانتبهوا — واصعدوا أنتم على تلك المنابر

ثورتي البيضاء في أرض الحجاز — بيد قل لي أين منها ثورتك
أنا ماضيك الذي تذخره — بيد قل لي أينه مستقبلك

إن مصباحي الذي أسرجته — نورك الباقي على مر العصور
إنما زيتك من يسرجه — ليس زيتي وأنا ابن القبور

أنا كالمرآة في سيارتك — إن تراني تبصر الماضي وراءك
بيد لا يكفيك ماضٍ آفلٌ — إنما دربك أبصره أمامك

هي كلماتي أيها العزيز، ولن يطول بنا المقام حتى نصبح قبراً، ولعل الآتين من الأجيال يذكرون أننا نصحنا بما يمليه الواجب وأدينا حق الله في هذه الأمة، والموعد الله

## الحوار الثاني: صحيفة المثقف - مصطفى الخليل[2]



21 آب 2024




أسئلة حوارية مع الدكتور محمد حبش حول كتابه "المذهب الإنساني في الإسلام"

إعداد : مصطفى الخليل

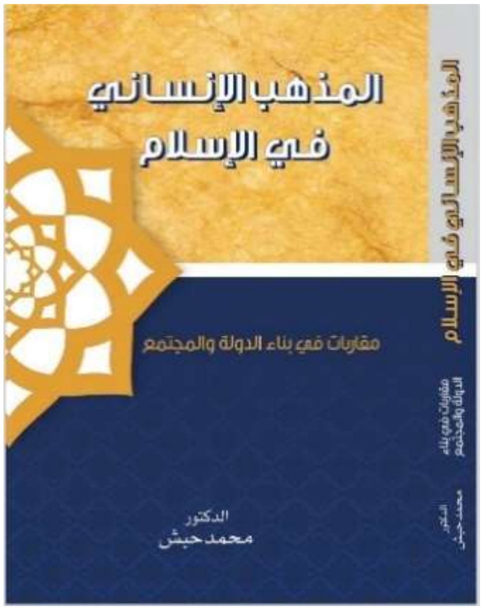
21 آب 2024

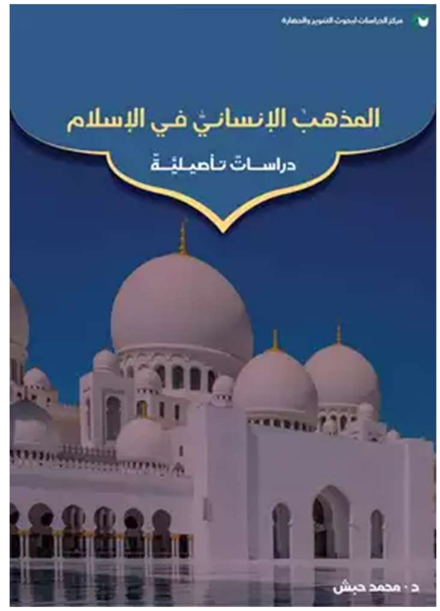
[2] مصطفى الخليل، صحافي سوري مهتم بالحوار بين الأديان وقضايا حقوق الإنسان، عمل في عدة وسائل إعلامية عربية، وأجرى حوارات عميقة مع أبرز المفكرين والمستشرقين وعدد من الساسة العرب والأجانب.

يرى المفكر الإسـلامي الدكتور "محمد حبش" في كتابه"المذهب الإنسـاني في الإسـلام" أن "الإنسـان" أهم من "الدين"، مسـتدلاً على ذلك من القرآن الكريم، والذي أشار في مواضع كثيرة بوصف الإنسان"خليفة الله في الأرض" و"سيد الكون" وهذا مايُعد أعظم تشريف وتكريم لبني الإنسان.

وينطلق الدكتور"حبش" من رؤيته حول علاقة الإنسـان بالدين من الفلسـفة الصـوفية العرفانية التي ترى أن "المعرفة" أكثر شـمولاً من "العلم" وأن "العلم" ما هو سـوى فرع من فروع "المعرفة"؛ ويُقصـد بالمعرفة هنا معرفة الله وأسرار وجود الكوني والإنسـاني؛ فهي رؤية فكريّةٌ، وعلميّةٌ، ودينيّةٌ عميقةٌ، تسـعى إلى معرفةٍ مباشرةٍ وتفصـيليّةٍ بالله سـبحانه وتعالى، وفق منهج وبناء معرفي، أسـاسـه الإشراق الباطني والكشف والشهود القلبي.

وصـدرت الطبعة الأولى من كتاب "المذهب الإنسـاني في الإسـلام" عن دار "لبنان الجديد" ودار "ندوة العلماء" عام 2022، ويقع في خمسـة فصـول، يتناول خلالها عدة محاور منها ظهور الاتجاه الإنسـاني في الإسـلام، وملامح المذهب الإنسـاني في التاريخ الإسـلامي، وأسـباب تعاظم ثقافة الكراهية في المجتمعات الإسـلامية، كما ويناقش ظاهرة "الإسلاموفوبيا" وانتشارها في الغرب، ومنعكساتها على العلاقات ما بين المسلمين والمجتمعات الغربية.




الطبعة الثانية 2023

الطبعة الأولى 2021




الطبعة الثالثة 2025

1- الدعوة إلى المذهب الإنساني في الإسلام ليست جديدة، وإن اختلفت المسميات، لكن برأيك لماذا تتعطل هذه الدعوة دائماً كلما حاولت النهوض والاستمرارية، على الرغم من أن التاريخ الإسلامي يحفل بالعديد من المواقف البارزة في هذا الاتجاه؟

هناك اتجاهان في التعامل مع المسألة الإنسانية أنسنة الإسلاميات أو أسلمة الأنسانيات، وقد حددت اتجاهي في الأفق الأول، وبات من تحصيل الحاصل أن أنسنة الإسلام ستؤدي إلى أسلمة الأنسنة لا محالة.

الحديث عن الإنسان كذات كريمة على الله ليست محل خلاف من أحد، وقد فصل القرآن الكريم الرواية في أكثر من عشر سور وكرر رسم المهرجان السماوي الأكثر جلالاً حين سجدت الملائكة لابن آدم في صورة واضحة لتسخير الكائنات كلها من أجل الإنسان، بحيث يكون خليفة الله في الأرض.

ولكن هذا التراث الأدبي والإيحائي على الرغم من جلاله وهيبته، لم يكن كافياً من الجهة الحقوقية لاعتماد الإنسان محوراً للتشريع بحيث تنتج الأحكام وفق لحاجاته الحقيقية وتأسيساً على سعادته، وظل النص الديني ينوس بين تكريم الإنسان للغاية كسيد على الملائكة أجمعين وبين نصوص أخرى تنبه إلى هوان الإنسان وضعفه وعجزه وجهله، إن الإنسان خلق ضعيفاً، كنودا، جهولاً، أكثر شيء جدلاً.

في قراءتنا للمذهب الإنساني في الإسلام كنا نعمل على تحقيق محورية الإنسان في التشريع بحيث تكون القيم الإنسانية التي اتفقت عليها البشرية مصدراً أساسياً للتشريع، لها قوة الكتاب والسنة، بل إن القيم الإنسانية التي اتفق عليها البشر تملك قوة نسخ الوحي الكريم أو تقييده أو تخصيصه، وهذا ما بيناه بوضوح في الكتاب.

2- كانت الشخصيات الإسلامية الأولى والمؤثرة مثل الخليفة عمر بن الخطاب وغيره أكثر جسارة من علماء المسلمين في عصرنا الحالي على ترجيح الجانب الإنساني على النص، وحتى على الحدود، ماهي أسباب ذلك؟

عمر شخصية عبقرية بلا شك، ولعل أوضح مواقفه في إعلاء الجانب الإنساني هو موقفه الشديد ضد حروب الردة، ورفضه إرغام الناس على الاعتقاد، وقد اشتد في معارضته وخلافه حتى أغضب الصديق وقال له: أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام يا عمر، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم عليها.

وكان منحازاً باستمرار إلى الإنسان، وقد نجح في إنهاء حروب الردة فور تسلمه للخلافة، وبدلاً من الحروب عقد مصالحات للقبائل واعاد الاعتبار لكثير من قادة حروب الردة، ومن هؤلاء طليحة بن خويلد الأسدي وأصحاب لقيط بن مالك الأزدي، وأبو مريم الحنفي وآخرون وكثير منهم كان قد ادعى النبوة وأعلن أنه رسول ناسخ للإسلام، ولكن عمر تعامل معهم وفق منطق العدالة الانتقالية، ونجح في تأهيلهم مرة أخرى ليشاركوا في بناء الحضارة الإسلامية.

وفي الجانب الإنساني أطلق عمر سلسلة مباردات جمعها الرواة فيما بعد تحت عنوان موافقات عمر، وفيها كان عمر يتحدث عن اقتراحات على الوحي نفسه، ولو ذهبنا نستعرض هذه الاقتراحات لوجدنا أنها تتمحور حول حاجات الإنسان، وفي هذا السياق اعترض بشدة على قسمة الغنائم على الفاتحين، وحين جاءه الصحابة غاضبين أنه يغير ما كان عليه الرسول قال لهم بكل شجاعة: والله لا أقسم فيكم أرضهم ولا فيئهم، إنها أرضهم زرعوها في الجاهلية وقاتلوا عليها في الإسلام، ورد المال في العراق إلى أهل العراق، على الرغم من وجود نصوص صريحة تجعل القسمة للفاتحين.

إن افضل طريقة لفهم الجانب الإنساني في سياسات عمر هو قراءة موافقات عمر الثمانية عشرة التي كانت في معظمها استدراكاً على الوحي، ومن العجيب أن الوحي كان يأمر بتصحيح الأمر على وفق رؤية عمر، وفيما يرى النصوصيون ذلك تهويناً من أمر الوحي، فإنني أراه انسجاماً بين الوحي والإنسان، واستجابة لمنطق ديمقراطية التشريع.

3- لماذا كلما تقدم الزمن ازداد المسلمون تمسكاً بحرفية النص وتقديسه؟ وهل هذا ناتج عن قصور في معرفة مقاصد الشريعة؟ أم بسبب ابتعاد الناس عن دينهم ( كما يرى الكثير من المسلمين اليوم)؟ أم أنه نتيجة حتمية لتوقف الاجتهاد في الفقه؟

لقد شرح القرآن بوضوح أمراض الأمم، وأوضحها مرض الغلو في الدين، وقد وقع المسيحيون في الغلو في المسيح حتى نصبوه مع الله إلهاً، وأعتقد أن المسلمين وقعوا في الغلو في القرآن الكريم فأخرجوه عن سياقه ككتاب تربية وأدب وموعظة إلى كتاب تشريع حاكم في كل زمان ومكان، وهو منطق لا يمكن قبوله إلا بقدر كبير من التعسف ومغالبة العقل، حيث اتفق المسلمون في هيئاتهم الرسمية والأكاديمية مثلاً على منع العمل بنصوص كثيرة لم تعد مقبولة في هذا الزمان، أو باتت مناقضة للقيم الإنسانية بحكم تغير الزمان والمكان، وكان كثير من مشايحنا إلى عهد قريب يطالبون بإحياء شعائر الإسلام من الجهاد والجزية والسبي والاسترقاق وقطع السارق ورجم الزاني، ولكن التطبيق الفعلي لهذه الممارسات عبر الحركات المتطرفة فرض على المسلمين مراجعات عميقة في هذا الشأن وتوقفت هذه الدعوات على مستوى الفقهاء الأكاديميين على الأقل، مع أنها لا زالت في جوهر الخطاب الوعظي الغاضب.

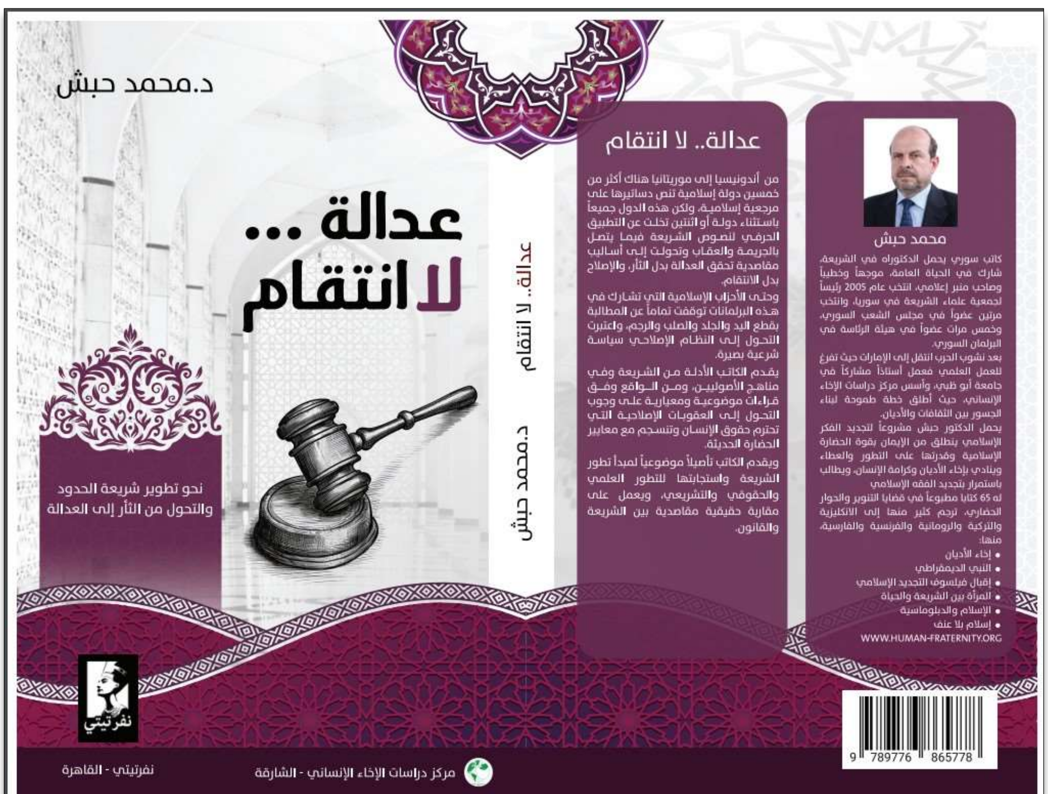



وبدون أي تردد فإن بإمكاننا اليوم أن نرصد حركات الإسلام السياسي التي دخلت البرلمانات واعتمدت الديمقراطية كما هو الحال في المغرب والجزائر وتركيا وأندنوسيا وماليزيا فإنه لا يوجد حزب إسلامي تحت قبة برلمان يطالب بهذه

العقوبات أو يدعو إلى عودة الجهاد والفتح وتخيير الناس بين الإسلام والجزية والسيف، لقد أصبح ذلك جزءاً من الماضي، وبات الفقهاء يتقبلون نظم الدولة الحديثة وقيم حقوق الإنسان.

لقد تطورت التشريعات والدساتير بشكل واضح في البلاد الإسلامية، بغض النظر عن التطبيق المحكوم بإرادة الاستبداد، وباتت الدساتير في العالم الإسلامي كله تنص بوضوح على مساواة الأديان ومساواة الإنسان بالإنسان وبات كل تمييز بين البشر يعتبر بمثابة انتهاك دستوري، وترى هذه الدراسة أن ذلك تم بجهود الفقهاء إلى جانب الإرادة السياسية.

ولكن هذا التطور  لا زال يواجه اعتراضاً شديداً من الواعظين من رجال الدين الذين يطالبون بالعودة إلى الكتاب والسنة في النظام الحقوقي المحلي والدولي وهو الأمر الذي سيتناقض دون شك مع قيم مساواة الأديان ومساواة الإنسان بالإنسان.



4- لماذا تمكنت السـلفية وعبر فترة طويلة من الزمن من الثبات أمام كل التيارات الإسـلامية الأخرى المناوئة لها، لا بل واسـتطاعت أن تتمظهر وتتجدد بأشكال مختلفة كما في عصرنا الحالي؟

لا بد من تحرير مصطلح السلفية أولاً، لان كلمة السلفية تنصرف عند الجماعات الإسلامية تحديداً إلى أتباع مذهب أحمد بن حنبل من مدرسة ابن تيمية وابن عبد الوهاب، ولكن أعتقد أن حواراً كهذا لا بد يتحدث عن السلفية كرؤية ماضوية، وهي تشمل كل الذين يرون أن السلف كانوا أحكم من الخلف وأعلم وأنجح وأرضى لله، وأن علينا أن نتبع خطواتهم ومناهجهم وأساليب حياتهم، وبهذا المعنى فإن معظم الجماعات الإسلامية سلفية بما فيها الصوفية الذين يخوضون باستمرار حوارات طاحنة مع السلفية ولكنهم في النهاية ينكفؤون إلى احتيارات السلف من أئمة الرواية أو السلف من أئمة الطريقة، فالحال في الفريقين هو البحث عن الحلول في أعمال السلف، وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف.

5- بغض النظر عن أي تفسيرات أخرى.. أليس هذا دليل على مرونة السلفية وعلى قدرتها على مجاراة العصر ومتغيراته؟

السلفية فكرة سهلة، وهي أن الحلول موجودة بالكامل ولا يطلب إلا وضعها موضع التنفيذ وكلها مجللة بقداسة الوحي، وكلما أوغلت في العبارات الإطلاقية: للناس كافة، صالح لكل زمان وكل مكان، أأنتم أعلم أم الله؟ وفي اللحظة التي يقتنع فيها المرء بأن السلف جيل مقدس وأنه أمواج ملائكية مشت على الأرض فإن اختيار المنطق السلفي سيكون تحصيل حاصل خاصة مع الاتفاق على بؤس الواقع وعقم الحلول النهضوية خلال العقود السابقة.

وفي الواقع فإن كل الحلول ترتد سلفياً في ظل الإحباط، وسيبقى الارتداد السلفي ملاذاً وحضناً مرغوباً لدى الجمهور حتى يتم إنجاز مشروع نهضوي حقيقي ينقل الناس للعيش في الواقع.

إن ما نعمل لأجله هو مساواة الأزمنة، والنظر إلى عصر السلف بعين نقدية بصيرة، وإسقاط القداسة عن السلف الذين تحاربوا واقتتلوا ومارسوا الغزو والاجتياح

وقدّسوا الحرب بكل تفاصيلها وعواقبها، ونقول بوضوح المقدس ليس في الماضي .. المستقبل أولى بالقداسة من الماضي.

6- هناك من يرى أن السلفية تمتلك قراءة موضوعية منطقية تتناسب مع الظروف التي تحيق بالمسلمين خاصة في ظل تصاعد خطاب "الإسلاموفوبيا" في الغرب في حين أن الصوفية والعرفانية لا تمتلك برنامجاً واضح المعالم (بحسب وجهة نظر الكثير من المسلمين) ما هو ردك على ذلك؟

يمكن القول إن المنهج السلفي يقدم نفسه بصورة محكمة متينة، فهو فكرة واضحة، تملك النموذج الطهراني الذي يعرفه الناس، وقد حظيت في العقود الأخيرة بتطور مهم نقلها من السلفية الشعائرية إلى السلفية السياسية وكان للأعمال الهامة التي كتبها المودودي وسيد قطب تأثير كبير في إحكام الموقف السلفي كمشروع سياسي انقلابي قائم على الاستعلاء رافض للمساواة، حيث لا يمكن على الإطلاق في الإطار النظري المساواة بين شرع الله وشرع الناس، وهو ما كان وقود الحرب التي أشعلت العالم الإسلامي بلا هوادة.

وبعيداً عن السلفية الجهادية التي تؤمن بالتغيير عن طريق العنف فإن السلفية تكرس التمايز بين المسلم والعالم، وتعتبر الصراع حتمية وجودية، وتصر على نفي التشبه بالكفار في لباسهم وعاداتهم وللأسف في ديمقراطيتهم وفي وعيهم بحقوق الإنسان.

فيما يعتبر التيار الصوفي أكثر تصالحاً مع العالم، فهو يقوم على مبدأ التوسع في قبول إيمان الآخرين، وتفويض الحساب إلى الله ووجوب نشر المحبة بين الناس، ولكن التيار الصوفي والعرفاني لا يطرح مشروع دولة، ويمكنه أن يتبيأ الواقع المحيط إسلامياً أو غير إسلامي.

إن القدرة على نفي الصراع من وجهة نظري هي نقطة إيجابية تماماً، في حين أن حتمية الصراع ستبقى فكرة مدمرة مهما تجنبت الصراع العسكري فهي ستستنزف

قدرات الأمة ولن تنجح في تحقيق النموذج المتفرد إلا على ركام من الخصــــومة والعداوات والقطيعة.

إن مواجهة الإسلاموفوبيا لا يمكن أن تتم بالغربوفوبيا ولا بالديمقراطفوبيا، سندور في الحلقة المفرغة، ولكن الســـبيل الصـــحيح هو بناء الجســـور مع القوى المحبة للســـلام وتعزيز مكانها في المجتمعات الغربية وصـــولاً إلى شراكة حقيقة في إعمار الأرض بدلاً من الخصام الأبدي.

7- هناك رأي عند جمهور علماء المسلمين وعند العامة من المسلمين أيضاً، أن الفقه الإسلامي كامل متكامل ولا حاجة لبروز مذهب جديد تحت أي مسمى، ولا بأس من تعديلات طفيفة و فق المقتضيات الحرجة، وهناك قسم آخر يرى أن إشكاليات العالم الإسلامي ماهي إلا نتاج محاولات التجديد السابقة و يستدلون على ذلك من خلال ما أفرزته الآراء الفقهية لشخصيات إسلامية مثل ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، ماهو ردك على ذلك؟

يجب التفريق بين الفقهاء وبين رجال الدين، فرجال الدين هم الذين يقمون بالشعائر وإلقاء المواعظ في المساجد ووسائل الإعلام، أما الفقيه فهو ذلك العالم الذي يكلف من الدولة بإنتاج الأحكام العملية لوضـــعها موضـــع التنفيذ والإشراف عليها تشريعياً وقضائياً، وهذا الدور مستمر منذ فجر التاريخ الإسلامي وهو اليوم يتحقق بشكل لافت في الجهود التشريعية التي يقوم بها الفقهاء المشرعون، ومن هذا الفقه الإســـلامي ولدت القوانين الحديثة في المعاملات والجنايات والأحوال الشخصية في أكثر بلاد المسلمين.

قانون المعاملات المدنية في الإمارات مثلاً هو أبو القوانين وهو الذي نظم الحياة التشريــعية في نهضـــة الإمارات وكل ما قام من جســـور وجامعات وطرق ومتاحف وملاعب وكل ما قدم من شركات عالمية كبرى تســـثمر في الامارات فقد تم تحرير عقودها وحقوقها عبر قانون المعاملات المدنية المســـتمج بالكامل من الفقه الإسلامي كما تقول ديباجته، والذي يأمر بالعودة إلى المذهب الحنفي عند سكوت النص، ولكن بالطبع ليس المقصـــود كتب المذهب العتيقة وإنما تطور الفقه

الإسلامي المستمر ، وهي ليست سحراً ولا إعجازاً بل هو حال كل القوانين في العالم التي تتطور بتطورالشعوب وتزدهر معها.

وقوانين المعاملات المدنية متشـــابهة في البلاد العربية في مصرـــ والشـــام والعراق والخليج كلها نمت في روضة الفقه الحنفي وتطورت بتطور الحياة ولا تزال كذلك.

أما الفقه بمعنى العودة إلى مذهب أبي حنيفة أو مذهب الشـــافعي أو مذهب مالك وأحمد فهذه سلفية أخرى ولا تحمل أي رؤية واقعية أو تجديدية للحياة. المطلوب من الفقيه أن يجتهد لا أن يقلد، وهذا هو معنى الاستحسان والاستصلاح والعرف والذرائع وهي مصادر عقلية بامتياز مارسها الفقه الحنفي والمالكي خصوصاً وحكمت بها الدول الإسلامية قروناً طويلة، وهي تتجدد في رؤية مقاصدية باستمرار.

نعم إنني أطالب بنقد عميق للرواية ولكنني أثق ثقة كبيرة بالفقه باعتباره يحمل الأدوات القادرة على الاجتهاد الجديد بعيداً عن قفص الرواية.

### 8- في النهاية. ماهو موقف المذهب "الإنساني" من الشهادة في سبيل الله

بدون أي تردد لا أعتقد أن الإنســـان مدعو أن يضـــحي بحياته من أجل أي قيمة أخرى، إن النبي الكريم نص على أن المؤمن أعظم حرمة عند الله من الكعبة، ولو أن خلاص العالم يتطلب أن تقتل طفلاً بريئاً لظل هذا العمل غير أخلاقي.

إننا نحتاج لمن يعيش في سبيل الله وليس لمن يموت في سبيل الله، ومن المؤسف أن ثقافة الموت والشـــهادة تجاوزت منطق القرآن: وقاتلوا في ســـبيل الله الذين يقاتلونكم وتوســـعت حتى صـــار الموت أصـــلاً والحياة اســـتثناء، وهذا عكس حركة التاريخ، وفي ظل هذه الفكرة تم خوض حروب طاحنة، وفتوحات خطيرة ومدمرة، كان يمكن تجنبها لو أن الناس نشأت على ثقافة الحياة لا على ثقافة الموت.

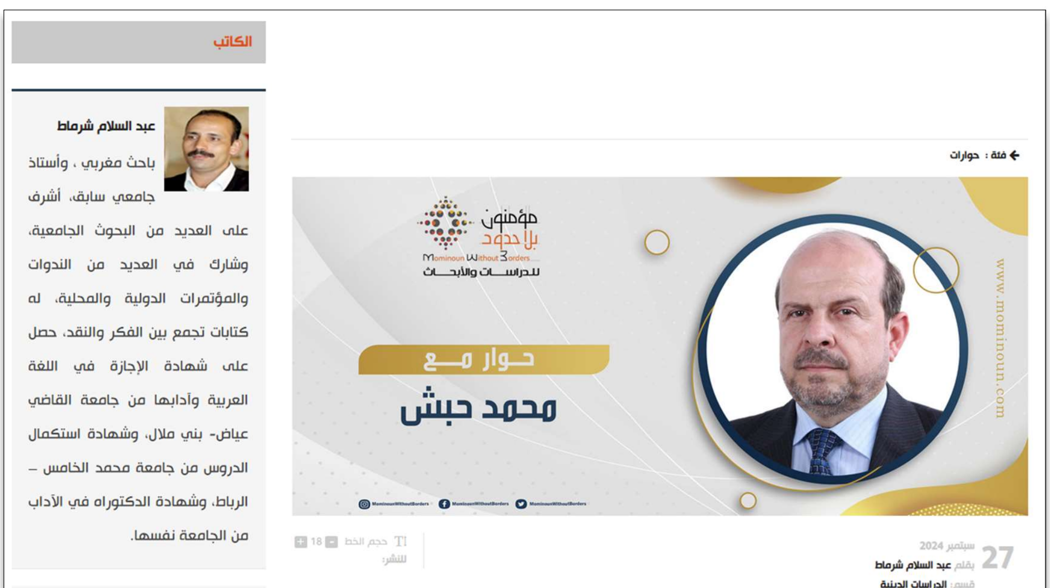
## الحوار الثالث: د. عبد السلام شرماط[3]

حوار مع الدكتور محمد حبش

حاوره. د. عبد السلام شرماط



نشرته مؤمنون بلا حدود 1 تشرين الثاني 2024



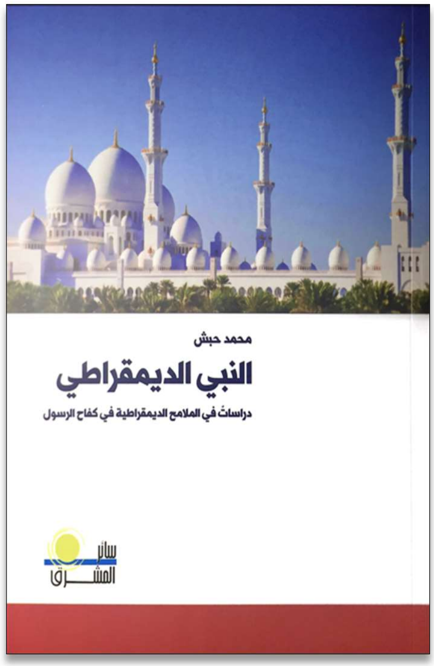

---

[3] باحث مغربي ، وأستاذ جامعي سابق، أشرف على العديد من البحوث الجامعية، وشارك في العديد من الندوات والمؤتمرات الدولية والمحلية، له كتابات تجمع بين الفكر والنقد، حصل على شهادة الإجازة في اللغة العربية وآدابها من جامعة القاضي عياض- بني ملال، وشهادة استكمال الدروس من جامعة محمد الخامس – الرباط، وشهادة الدكتوراه في الآداب من الجامعة نفسها.

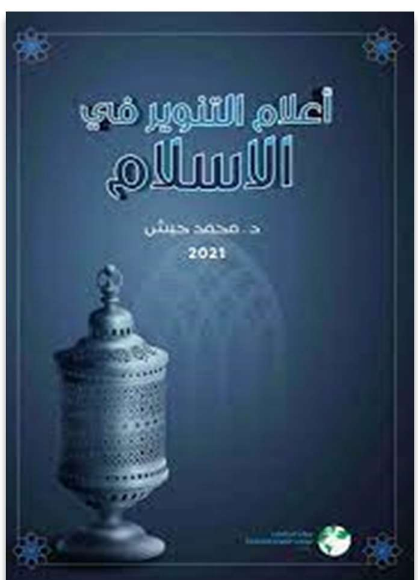
*- بصفتكم باحثا في التنوير الإسلامي وحوار الأديان، تبنيتم مشروع التجديد الديني، انطلاقا من قضايا عدة أهمها: رفض احتكار الخلاص، تجديد فقه المرأة في الإسلام، إحياء مصادر الشريعة الغائبة، ما يعني منح دور أكبر في التشريع للعقل على حساب النص، ما دور العقلانية في تجديد الوعي الديني؟

ظهر الجدل بين تيار العقل والنقل منذ فجر الإسلام، ومنذ عصر الصحابة كان هناك من يخوض في باطن القرآن تأويلاً واستشرافاً وكان فيهم من يقول: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم!! وقد ظهرت هذه الثنائية خلال التاريخ: العقل والنقل، الرأي والأُثر، الاتباع والابتداع، الاجتهاد والتقليد، المفوضة والمؤولة، السلفيون والتجديديون، الفقهاء والظاهرية، العقلانيون والمحافظون، وكلها ثنائيات تصف مشهد الانقسام في الفكر الإسلامي، وهو انقسام طبيعي يمكنك تلمسه أيضاً في كل حضارة وفي كل ثقافة وفي كل دين.

وقناعتي أن دور العقل في التشريع كبير جداً، لقد بسطت القول في هذه الحقيقة في كتابي النبي الديمقراطي، وبالطبع فإنني لا أزعم أن ما تبنيته كان خيار الجميع، فالمجتمع الإسلامي خلال التاريخ كسائر المجتمعات فيه المتسامح وفيه المتصلب، وهذا بالضبط ما كان يجري في كل عصر، وفي تتبعي للتيار العقلي بين الفقهاء يمكنني القول إننا نملك تراثاً غنياً بالحرية العقلية، كما نملك أيضاً تراثاً متصلباً يرفض إعمال العقل، وقد تم هذا التصنيف منذ فجر الإسلام كما بيناه، ولا أجد أي سبب يدعونا للتسليم أن الدين هو موقف إلغائي للعقل، بل إنني على قناعة تامة أن الدين بستان يتسع للفريقين، ولكل أدلته ومناهجه. ولكن علينا كعقلانيين أن نتوقف عن الدلع، فلا ينبغي أن ننتظر من الناس قبول تفكيرنا وتقديره واحترامه، العقلانية في زماننا تواجه تحدياً سلفياً كبيراً، ومن الطبيعي أن يواجه دعاة العقل رفضاً وتشهيراً، كما قال نيتشة لا تتوقع أن يحبك الناس لأنك تخبرهم الحقيقة، الناس تميل لمن يزخرف لها أوهامها، والحقيقة الكاملة يقولها أولئك الذين يرغبون في الرحيل، وهذه هي حركة التاريخ.




كما إنني ضد المبالغة في وصف معاناة العقلانيين في الإسلام كأبي حنيفة وابن سينا وابن رشد والفارابي، فهذه المعاناة ذاقها أبناء التيار المحافظ أيضاً، وابن حنبل وابن تيمية وابن القيم هم خريجو السجون أيضاً، وشهداء التيار العقلاني ليسوا أكثر من شهداء التيار الأصولي، والسياسة هي اللاعب الأكبر في تحريك المقصلة، وكل ما في الأمر أن التدافع قائم بين العقلانيين وبين التراثيين، وجولة هنا وجولة هناك، وعلينا أن نكون في الجانب الصحيح من التاريخ.



## رفض احتكار الخلاص

احتكار الخلاص ظاهرة ترتبط دوماً بالمتحدثين باسم الغيب، وقد ظهرت في الأديان الإبراهيمية خاصــة، وهي موجودة بشــكل أقل في الديانات الفيدية، فيما لا توجد هذه الظاهرة في الديانات الفولكلورية والفلسفية في الشرق الأقصى.

وقد طرح القرآن الكريم ظاهرة احتكار الخلاص بوصـفها مرضـاً خطيراً من الأمراض التي وقع فيها أتباع الديانات، وذلك في آيات أربعة:

وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا، بل ملة إبراهيم حنيفاً (البقر ة 82)

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم (البقرة 88)

وقالت اليهود ليسـت النصـارى على شيء وقالت النصـارى ليسـت اليهود علي شيء (البقرة 113)

وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، تلك أمانيهم (البقرة 111)

وقد ذهب القرآن  في الآية الأخيرة خاصـة إلى التأكيد بصـورة أكثر وضـوحاً، فبعد أن قال إن احتكار الخلاص هو أمانيهم، عاد فقال:

ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب، من يعمل ســوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصــيراً ومن يعمل من الصــالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأزلئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً (النساء 123)

ولســت أدري كيف تمكن العقل الظاهري من اغتيال دلالة هذه النصــوص كلها، وفرض تأويلها أو نســخها بآيات الجهاد وآيات الجزية، مع أن النصــوص محتملة ومتقابلة ولا تستعصي على التأويل.

وقد ظهر احتكار الخلاص أيضـاً في مرويات السـنة بشـكل أكثر تفصـيلاً، ونسـب إلى الرسـول الكريم قوله: والذين نفسي بيده لا يسـمع بي أحد يهودي أو نصراني ثم لم يؤمن بالذي أرسـلت به إلا كان من أصـحاب النار، وفي البخاري أن الله يقول يا آدم أخرج بعث النار فقال يا رب وما بعث النار فيقول من كل ألف تســعمائة وتســعة وتسعون، وبإمكانك أن تتصور جيلاً ينشأ على قناعة سوداء مفادها أن 999 من كل

ألف إنسـان يسـتحقون النار، ولا يجوز محبتهم ولا الرفق بهم، ويتعين بغضـهم في الله وتطبيق الأحكام الشرعية عليهم في الجهاد والجزية!!!

ولا يشـفع لهذه الفكرة الخطيرة أننا نحيل إلى الغيب، فالحسـاب عند الله قائم على أسـاس صـحة العقيدة، ومعنى ذلك أن الرب سـينكل بالمختلف اعتقادا وسـيذيقه ألوان السـعير، وسـتفرض هذه النتيجة تلقائياً سـؤالاً بدهياً: إذا كان الرب الذي هو الرحمة والمحبة لن يرحم هذا المشرك أو الملحد أو المختلف في الاعتقاد فلماذا تريدني أن أرحمهم!!

ومن جانب آخر فإن احتكار الخلاص كان أخطر أمراض الشـعوب، وقد تصـدر له أبرز فلاسـفة عصـر الأنوار، وفي كتاب فولتيير رسـالة في التسـامح شرح عميق لأثر ثقافة احتكار الخلاص على تمزق المجتمع الأوروبي والحروب الدينية المدمرة، ويمكن القول إنه ما من فيلسوف من فلاسفة عصـر الأنوار إلا أفرد بحثاً خاصاً في مواجهة احتكار الخلاص واحتكار الله واحتكار الدين واحتكار الحقيقة، ولولا تفكيك هذه الفكرة المدمرة لما أمكن قيام أي دولة إنسانية حقيقية.

### هل وجدت تاثيراً لفكرة إخاء الأديان في بناء إخاء إنساني حقيقي؟

يجب الاعتراف مسبقاً أن إخاء الأديان ليس موجوداً في الواقع الحالي، على الأقل في الأديان الإبراهيمية، فهذه الأديان تعتمد على فكرة احتكار الخلاص، وهي فكرة هدامة للأخوة والمحبة والتراحم.

وخلال التاريخ فإن الصراعات بين الأديان الثلاثة لم تتوقف واتخذت شكل الحرب العالمية في الحروب الصـليبية، وكذلك في حملات الفتوح، وإلى حد ما كان الاستعمار يعتمد على التناقض الديني.

بالطبع لن نتنكر لجهود فقهاء التسامح في الأديان كلها وكذلك الخلفاء النوادر الذي أظهروا تسـامحاً غير معتاد مع الأديان الأخرى، ولكن لا يمكن لذلك كله أن يخفي حقيقة الكراهية والبغض في الله والتمييز الإنسـاني بين أتباع الأديان والذي يختبئ عادة في أثواب الكهنة، ولكنه سرعان ما ينطلق لدى أول فرصـة تتيحها السـياسـة وكانت الحروب الصليبية تنطلق من الفاتيكان، وتشارك فيها الملوك والأباطرة، ولا

يمكن أن نتجاهل أيضاً أن حروب الجهاد كانت تنطلق من المساجد ويشارك فيها الخلفاء والأمراء.

إن قناعتي أن الأديان تحمل في نصوصها الأولى قيم التسامح والرحمة، وخاصة في الإسلام، وقد شرحت ذلك بالتفصيل في كتاب إخاء الأديان، وهذا ما يجب البناء عليه، وهو ما أفردت له فصلاً مطولاً زاخراً بالأدلة والأمثلة في كتابي إخاء الأديان، ويجب كذلك الاعتراف بأن نصوص القسوة والبغض في الله أيضاً لها أسانيدها وأصولها الوية في مصادر الأديان.

ومن جانب آخر فإن رسالة إخاء الأديان تعمل في اتجاهين: دعم الإيجابي من ثقافة الإخاء بين الأديان وإحياء رموزه وأبطاله، ومواجهة السلبي في الكراهية وتعرية رموزه وأيقوناته التي لا تزال تنشر في الأرض الكراهية

*- من القضايا التي دعوت إليها، ضرورة النظر إلى قضية الحجاب، ليس قضية دينية، ولا قضية سياسية، بل هو مسألة شخصية بين المرأة وربّها، وليس مسألة تتولى الدولة أو المجتمع فرضها؟

الحجاب أدب إسلامي كريم، ليس ارتداؤه ركناً في الدين ولا تركه كبيرة من الكبائر، ولم يذكر أحد من الفقهاء الذين صنفوا أركان الإسلام أمر الحجاب فيها، ولم يذكر أي من الذين صنفوا الكبائر أن ترك الحجاب واحد منها.

لقد صنفت في ذلك كتابي المرأة بين الشريعة والحياة، 2001م وتحدثت فيه عن مكانة الحجاب ومنزلته كأدب كريم، وكذلك عن حق المرأة في العمل والإدارة، وكذلك حقها في القضاء وفي المناصب العليا وفي إمامة الصلاة،



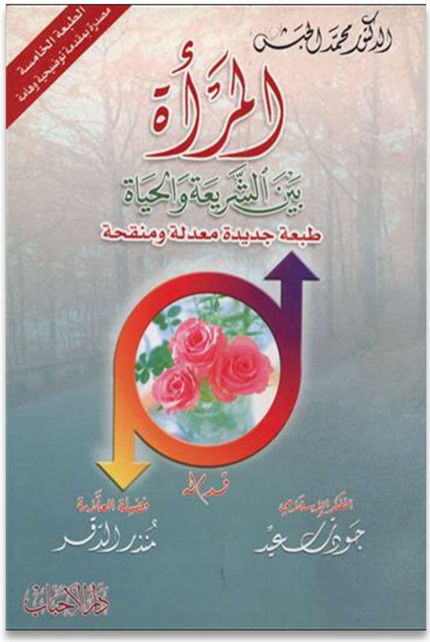

أثار الكتاب صـــدمة في المدارس الدينية المحافظة، واعتبر خروجاً على الثوابت، وواجهت في ذلك هجوماً عنيفاً وصــدرت بيانات حكومية ظالمة تليت على المنابر بأمر وزارة الأوقاف السورية قبل عشرين عاماً.

كلن ذلك خياراً قاســياً، وقد كان ذلك متوقعاً، وأنا آســف أنني نقلت الحوار إلى تجربتي الخاصة، وربما يجب التأكيد أن الناس تتسامح في قضايا خلافية كثيرة حتى إذا اتصل الأمر بثياب النساء فإن الحوار يتحول إلى ساحة اتهام وانتقام لا ترحم.

ولعل أوضـح صـور الانتقام الذكوري من فتاوى المرأة ما واجهه الفقيه الكبير الإمام الطبري، حيث تحدث بصراحة عن حق المرأة في كل منصـب، ومن ذلك القضـاء كله، وحقها في إمامة الصــلاة إذا كانت أفقه من الرجال، وحقها في الإمامة الكبرى وحكم الدولة، وقد كانت هذه الفتاوى مادة جيدة لخصــومه الحنابلة الذين ذهبوا إلى تكفيره وإعلان زندقته، على الرغم من أنه أشـهر المفســـــرين وأكبر المؤرخين، وتسـلط عليه غلاة الحشـوية من الحنابلة ورموا داره بالحجارة حتى كادت تنغمر!! وحتى تفرغت الشـرطة لحماية الدار التي بقي حبيسـاً فيها إلى موته، وحين مات فإن الغلاة لم يأذنوا للناس بالصلاة عليه ولا دفنه في مقابر المسلمين فدفن في بيته .

وبالتأكيد فإنني أرفض كل محاولات إجبار المرأة على لباس مختار ســواء كان ذلك بسلطان الدولة أم بسلطان الفقيه، وأعتبر ذلك حقاً ومسؤولية للمرأة دون سواها،

وأن ما ورد في القرآن الكريم من ذلك هو أمر استحباب وإرشاد واستحسان وهو كثير في القرآن الكريم.




وأمر الاستحباب كثير في القرآن الكريم، فالقرآن مثلاً يأمر بضرب المرأة الناشز، بصيغة واضربوهن، ويأمر بالصيد بقوله فإذا حللتم فاصطادوا، ولكن لم يقل أي فقيه بأن الضرب الذي ورد بفعل الأمر هو واجب ملزم، ولم يقل أحد بأن الصيد فريضة في الحج، والأمر في القرآن يدور بين الوجوب والاستحباب والإباحة على كلام فصله الأصوليون، ومن الواضح أن الأمر هنا معلل بشكل واضح: (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) وهو ما يجعل الأمر أمر استحباب تقدره المرأة وحدها في ظروفها وحاجاتها.

إنه من المحزن أن قضـــية حجاب المرأة تم التعامل معها بمعزل عن أي قيمة إنســـانية، وذهب الفقهاء الذين فرضـــوا الخمار على المرأة إلى اعتبار عورة الرجل الســـوأتين! وكذلك أفتوا بأن عورة الأمة الســـوأتان، وهي الأنثى المجردة من حريتها وقد تكون غاية في الفتنة والجمال، بل حرموا عليها الحجاب! وكذلك فقد أباحوا للمرأة أن تجلس مع أرحامها وقرابتها من الرضـــاع مكشـــوفة الصـــدر والظهر بادية الثدي، ومنهم من أجاز لها ذلك مع العبيد أيضـــاً، وهذا كله مما تســـتقبحه العقول

الســـليمة حتى لو لم ينزل وحي ولا كتاب، وبات من العادي جداً أن تجد من يقبل ذلك كله على ما فيه من تهاون ولكنه يصر على ارتداء المرأة الخمار.

إنه أمر محزن أن نشاهد نتيجة سياسات القمع الثيابي التي مارستها إيران وتمارسها اليوم طالبان وما عادت به من نتائج كارثية على المجتمعات المنقمعة، وأقسى منه ما تشهده اليوم المناطق التي وقعت تحت حكم التشدد الإسلامي في إدلب وشمال حلب حيث تقام الحفلات على منصـات المدارس والجامعات بأشـباح سـوداء لا يظهر منها ظفر ولا عين، ثم تتحـدث ملثمات منهن عن تكريم المرأة وحريتها وحقوقها!!

إنني أشعر بالحرج اننا مطالبون ببيان الرأي في ثياب المرأة، وتفصيل القول في ذلك، مع أنه من وجهة نظري لون من تدخل المرء فيما لا يعنيه فليس في القرآن نص يأمر الرجال بضـبط أزياء النسـاء، بل فيه توجيه أخلاقي للنسـاء لالتزام العفاف وألا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، حيث يكون العفاف الاحتماعي مســؤولية الجميع، ويقوم به الرجال والنساء على السواء.

*- كتاب "إقبال: فيلسـوف التجديد الإسلامي" هو اسـتكشـاف شـامل، تناولتم فيه أفكار إقبال وفلســفته من خلال ثلاثة محاور رئيســة شرحتم فيها رســالة إقبال التجديدية، المتجذرة في إيمانه بحاجة المسـلمين إلى إعادة الاتصال بتراثهم الروحي وإحياء تقاليدهم الثقافية والفكرية. كيف يرى محمد إقبال دور الإسـلام في العصر الحديث؟

تجربتي مع إقبال غنية وقديمة فهي الكلمات الأولى التي جرت على ألسـنتنا حين كنا أطفالاً، ووجدت نفسي راوية متخصصاً بشعر إقبال، خاصة لما كان بترجمة صديق مقعد الدراسـة الشـاعر زهير ظاظا، وقد توثقت صلتي بالمشروع الإقبالي حين زارنا في دمشـق جاويد بن إقبال، ونشـأت بيننا مودة خاصـة، ثم سـعدت بزيارة ضريح لإقبال في لاهور مرتين، وأقمت في مكتبة عبد الجبار شـاكر الضـخمة في لاهور التي خصصها بالكامل لما كتبه إقبال أو ما صدر عنه من أعمل علمية وأدبية وفكرية.

إقبال رسـالة نبيلة عابرة للقارات وهو أكثر شــعراء العالم الإســلامي تأثيراً في ضـمير المسـلم، وقد اختارت الحركات الإسـلامية كافة إقبال كشـاعر الإسـلام الأشـهر، ولا

تزال قصائده خاصة تلك التي ترجمها الصاوي شعلان صارت نشيد شباب الصحوة الإسلامية وحداءهم وغناء أرواحهم.

ولكن رجال الصحوة لم يدرسوا إقبال إنهم فقط قرؤوا أغانيه، وشغفه بالحضارة الإسلامية والوحدة الإسلامية، ولكن إقبال من وجهة نظري هو أهم أعلام التجديد الديني في القرن العشرين، وكتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام يعتبر خطوة ثورية متقدمة في الوعي بحاجات المسلمين ومطالب تقدمهم. وربما لو أتيح لكثير من القساة التكفيريين أن يطلعوا على ما كتبه إقبال فيه لواجهوه باتهامات الهرطقة والزندقة كما يصنعون مع كل أصحاب الأقلام الحرة والأصوات الجريئة، ولكن يبدو أن قاعدة يحق للشاعر ما لا يحق لسواه ليست شأناً لغوياً بل هي شأن اجتماعي أيضاً ويغفر للشاعر ما لا يغفر لسواه.

إقبال الذي كان يعيش صخب التلاطم العنيف في القارة الهندية، وطرح حلم المسلمين في القارة الهندية بوطن مستقل وحر، ولكنه لم يكن يعيش حلماً طالبانياً، ولم يكتب أبداً في استنساخ نظم الدول الإسلامية الآفلة، لقد تحدث عن دولة حديثة ملهمة، لا سلطان فيها للكهنة الذين خصهم بقصائد كثيرة تشير إلى دورهم السلبي في تعطيل كل قيام وإجهاض كل صحوة.

إقبال عبر بوضوح عن أعجابه بالحركة البابية والبهائية كحركة إصلاحية في الجسم الشيعي، وعبر عن إعجابه بكمال أتاتورك كحركة إصلاحية رائدة في الجسم السني، وكتب بإعجاب عن تجربة أتاتورك وتمنى لكل بلد في الإسلام زعيماً كأتاتورك. وفيه يقول: إن تركيا، في الحق، هي الأمة الإسلامية الوحيدة التي نفضت عن نفسها سبات العقائد الجامدة، واستيقظت من الرقاد الفكري، وهي وحدها التي نادت بحقها في الحرية العقلية، وهي وحدها التي انتقلت من العالم المثالي إلى العالم الواقعي، تلك النقلة التي تستتبع كفاحاً مريراً في ميدان العقل والأخلاق.

ترفع إقبال عن التقليد الأعمى للغرب، وكان مصراً على التفوق الشرقي الساحر للروح على المجتمعات المادية الصاخبة بالسكك الحديدية والكهرباء ودخان المصانع، ولكن ذلك لا يعني أنه كان راضياً عن همود الأمة وسباتها، ولم يكن ليسلمه إلى سبات ساذج ... لقد أعلن مشواره الإصلاحي في داخل البيت الشرقي الإسلامي، وهناك قرر إقبال أن يقول الحقيقة الكاملة، وأن يواجه بشجاعة وقوة ثقافة الإرث المعصوم الذي يوجب على السلف اتباع الخلف، ويأمر بالوقوف على

ما وقف عليه الأولون فإنهم عن علم وقفوا وأن كل خير في اتباع من سـلف وكل شر في ابتداع من خلف، وهناك اختار إقبال أن يقول الحقيقة كاملة بلغة النثر لا بلغة الشعر، ليكون أكثر دقة ووضوحاً.

ومن مواقفه الرائعة في كتاب التجديد الديني في الإسـلامي نظمت أكثر من ثلاثمائة بيت من الشعر تحكي رسالة إقبال في الوعي بالقديم والنهضة بالجديد، وأختار منها حواريته الجميلة التي اشـتكى فيها للرسـول هموم مكة ونهضـة الإفرنج، فقال ثائراً يخاطب الرسول:

مـــا النبوات التي كانت لكم ... غيـــر أشواق وأذواق ونور
أشرقت شـوقاً على أسـماعكم ... فجرت أنغـامها فوق السـطور

فلمـــاذا ختمت أسرارها ... رغم مـا يشـهـده العـالم هـذا
ولمـــاذ طويت أنوارها ... ولمـــاذا ولمـــاذا ولمـاذا؟

فكان جواب الرسول الكريم في مواجهته حيرته وثورته:

لا تلمني يـــا صديقي إنني ... خـدمـة لـلعـقـل أنهـيت الـنبـوّة
لـم أشـــأ أرضى لـكـم أوهـامـكـم ... فخـــذوا أقداركم عني بقوّة

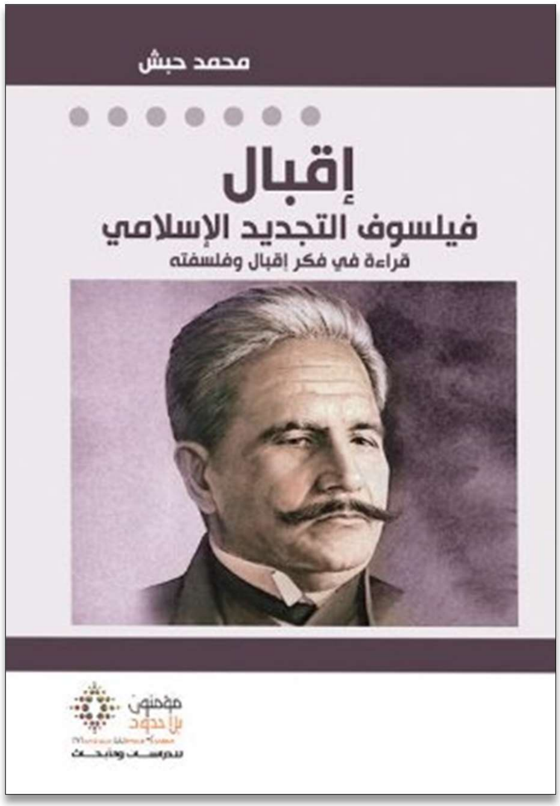
مـجـدكـم في الأرض لا تـرسـمـه ... جثث تسكن في جوف المقـــابر
فخذوا أقـــداركم وانتبهـــوا ... واصعدوا أنتم على تلك المنـــابر

إن مصبـــاحي الذي أوقدته ... نورك البـــاقي على مرّ العصور
إنمـــا زيتـــك من يسرجه ... ليس زيتي وأنـــا ابن القبور

وما البديل الذي قدمته فلسـفته في مواجهة تحديات العالم الإسـلامي؟ وما دور الفكر الفلسفي في عملية التجديد الديني؟

ولكن أعظم ما نادى به إقبال هو ثورته باتجاه الوعي بالرسـالة الخاتمة، فقد قدم للعالم رسـول الله بوصـفه خاتم الأنبياء، وأنه الرجل الذي أخرج الناس من ضـباب الخوارق إلى ضـياء السـنن، ورأى في قدومه نهاية عالم الغيب وبداية عالم الشـهادة،

ولقد قدمت في كتابي قراءة دقيقة لموقفه الفريد في اعتبار ختم النبوة في مبعث الرسول وليس في يوم رحيله. حيث أعلن إقبال أن الرسول مستمر في عقول أتباعه، ورأى أن سلوكه الديمقراطي في التشـــريع والإدارة كان في الواقع إعلاناً وافياً بختم النبوّة، وتأكيداً لولادة العقل الاستدلالي.




لقد أنكر بقوة فكرة الوقوف عند لحظة اليوم أكملت لكم دينكم، وطالب بوعي جديد، ورفض تحول النبوة إلى ورقة نعي للعقل، يوجب الاستسلام للتأويل النصّي، والوقوف على ما وقف عليه السلف، وأعلن يوم ختم النبوة أعظم أيام العقل مجداً في تاريخ الإنسانية.

لقد رآه نبياً لا كالأنبياء، وإذا كانت معجزاتهم في عجائبهم فإن إعجازه كان في إنجازه، وهو نبي العقل ورسول المنطق، وتاريخه تاريخ كفاح بشري بامتياز فيه نصـــر وفيه انكســـار، وفيه نجاح وفيه إخفاق، وأنه بذلك يصـــلح قدوة للعالمين في بناء دولة حديثة لا تعتمد على خوارق السماء بل على سنن الأرض.

وإلى جانب وعيه بالنبوة الخاتمة بوصفها إنهاء للشـــــرائع التي تقود الأرض بوحي السماء، وإنهاء للحضارات العاجزة المرتبكة التي تنتظر من السماء أن ترشدها في

بناء حضارتها، فإنه ذهب إلى خيار استثنائي في رفض الإيمان بالقدر، وإنكار أن يكون ركناً في الدين، وأعاده إلى مكانه كفكرة فلسـفية، ونص بوضـوح أنه لا يؤمن بالقدر بوصفه جبراً مكتوباً على ابن آدم.

ويبدو إقبال مدهشـاً في موقفه من القدر، الذي بات يُدرس على أنه سـادس أركان الإسـلام، ومع أن إقبال لا يناقشـه لاهوتياً، لكنه لا يترك شـيئاً للاهوت!! بعد أن حطم كل تلك الأيقونات التي كانت ترسـف على ضـمير المسـلم، وتحيله إلى شيء خاوٍ تعصف به رياح الأقدار، وتتصرف به الأمم الغالبة كما تتصرف بأشيائها، ويقدم في الوعي بالقدر سـلسـلة مواقف جريئة لا يمكن للعقل السـلفي تقبّلها بأيّ سـبيل، ولكنه لا ينفكّ عن ربط رؤيته لحرية الإنسـان وكرامته بنصـوص الوحي المبين، وجوهر القرآن الكريم في دعوته للحرية والكرامة، ويعجب إقبال كيف غابت هذه الحقائق عن العقل المسلم.

لقد مضى قرن من الزمان سـكن فيه إقبال في القلوب عزيمة في الأفئدة وأغنية على الشـفـاه ولـوحـة في مـحـادج الـعـيـون تـرسـم مـا هـو جـمـيـل ورهـيـب. وكأني به يدنو من الثائر الشـامخ بخطاب الحرية والكرامة والتضـحية، يدعوك أن تكون سـيد قدرك، وأن تقرأ كتاب التاريخ كما كتبوه، وكتاب المسـتقبل كما تخطه بيمينك وترسمه بريشتك وتصنعه بساعديك:

ثورتي البيضـاء في أرض الحجاز — بيـد قـل لي أين منهـا ثورتـك
أنا ماضيك الذي تذخــــــره — بيـد قـل لي أينـه مسـتقبلـك

*- شـهدت أرض الإمارات العربية التسـامح والانفتاح مع الواقع منذ تاريخ قديم، وقد عبّرتم عن هذا في مفتتح كتابكم "توام التاريخ الغائب"، كيف أثرى دخول الإسلام قيمة التسامح في هذه المدينة؟

دخلتُ الإمارات عام 2012 وحصلتُ فرصة عمل في جامعة أبو ظبي وبدأت تدريس المساقات الإسلامية في كليتي الآداب وكلية القانون، وكان كثير من محاضراتي في فرع

الجامعة في العين، حيث قمت بالتدريس فيه نحو ست سنوات، الأمر الذي منحني وصـــالاً وقرباً بهذه الأرض الطيبة، ورأيت من الوفاء أن أتحدث عن تاريخ الإمارات بشكل خاص في مرحلة دخول الإسلام التي بدأت تحديداً من مدينة العين.



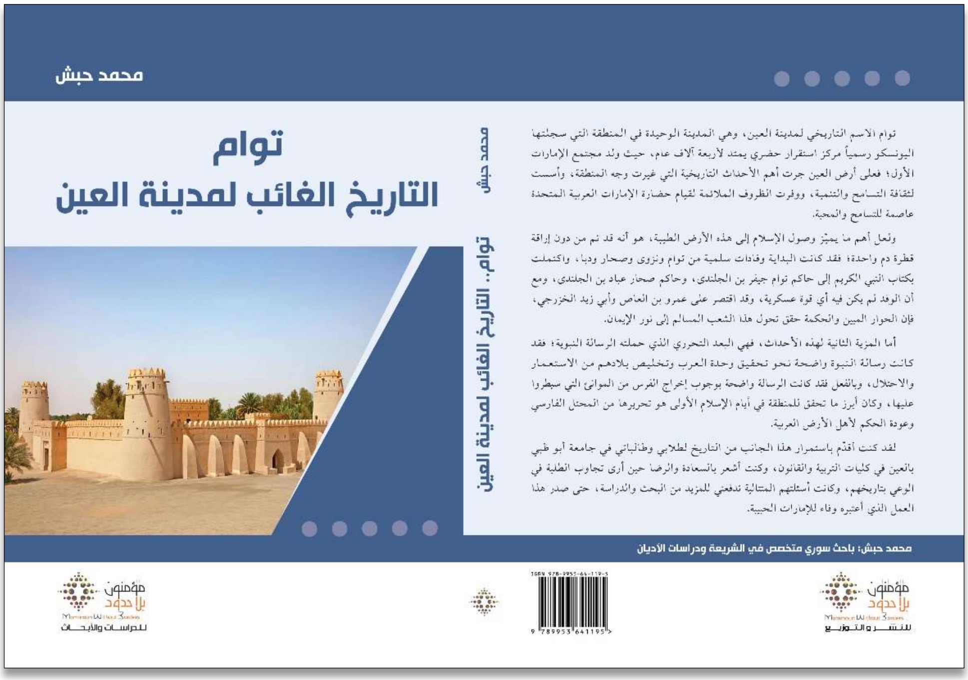

لقد حاولت أن أقدم  سردية ممتعة لأيام التحول الأولى للإســـلام، ومن الرائع أن التحول كان ســـلمياً بالكامل، وقد تم على يد اثنين من الصـــحابة عمرو بن العاص، وأبو زيد الخزرجي، وتضـمن الكتاب سردية ممتعة لحوارات عمرو بن العاص وجيفر وعباد ابني الجلندى، ومن المدهش أن الرســول كان يرســل إلى الملوك كتاباً واحداً، في حين أكد سـائر المؤرخين وكتاب السـير أنه أرسـل إلى عمان كتابين اثنين إلى ملكي عمان، مما يؤكد وجود حاضرتين اثنتين في تلك الفترة من التاريـخ.

وتشـير الدراسـة بوضـوح إلى ظاهرة الانتشـار السـلمي للإسـلام في توام، ومنها إلى كل مناطق أرض الإمارات، ويتضـح كيف انعكس ذلك على الواقع السـياسي والمجتمعي في القرون التالية، ففي حين اتخذت عمان موقفاً إباضياً معارضاً لخلافة علي وكذلك للخلافة الأموية والعباسـية، فإن أهل الإمارات اختاروا سـياقاً سـليماً وكانوا باسـتمرار

على وفاق مع الخلفاء بل إن قبائل الإمارات شاركت بفعالية في الحضارة الإسلامية وخاصة في دولة المهلب بن أبي صفرة وذريته التي استمرت قرناً ونصف وحكمت بلاد فارس وطرفاً من العراق.

كذلك فإن الكشوف الأثرية أكدت وجود كنيستين تاريخيتين على الأقل يعودان للعصر الإسلامي الأول وهما كنيسة صير بني ياس، وكنيسة ساحل أم القيوين، وهذا يكشف عن روح من التسامح تحلى بها حكام المنطقة بعد دخولهم إلى الإسلام.

وتتعين الإشارة هنا إلى الجيوش التي قدمت إلى المنطقة في سياق حروب الردة، فقد وقع قتال بالفعل على تخوم الفجيرة في بلدة دبا التي سيطر عليها خصم سياسي لجيفر، هو لقيط بن مالك، وهو أمر مؤسف بكل تأكيد، وشخصياً لا أبرر حروب الردة، وأميل إلى رأي عمر بن الخطاب الذي عارض الحرب طيلة عصر أبي بكر، وأوقفها تماماً في الأسبوع الأول لحكمه، ولكن تجب الإشارة إلى أن هذا الجيش كان ملكفاً بطرد الفرس من المنطقة وبالفعل فقد خاض حرباً ضارية ضد الفرس الذين كانوا يتجمعون في دستجرد قرب صحار، وبالفعل خرج الفرس من شرق الجزيرة العربية، وكان تحرير المنطقة من الاستعمار أحد النتائج الأساسية لدخول الإسلام إلى أرض الإمارات.




## وما تجليات التســامح والتعايش اليوم في دولة الإمارات؟ وما دوره في تحقيق الهوية الوطنية؟

في الواقع فإن روح التسامح أصيلة في الإمارات، وهو توجه رسمي للدولة الإماراتية، وهي تحتاج باســتمرار لبرامج في التســامح حيث تعتبر الإمارات وفق تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة 2019 أكثر بلد مضياف في العالم، ففي حين تتراوح نســـبة المهاجرين إلى المواطنين على مســـتوى العالم 4% فإنها ترتفع في الخليج عموماً إلى 61% ولكنها تبلغ في الإمارات تحـديـداً 89% وهو أعلى رقم في العالم لاستضافة مهاجرين ومقيمين وافدين، وهذا الرقم يفرض تحديات أساسية على بلد يريد العيش بنجاح وسـلام، ويسـتضـيف وافدين من 200 جنسـية حول العالم، يختلفون في أديانهم وألوانهم وثقافاتهم وأعراقهم.

لقد طرحت الإمارات باقات فريدة من التسامح في العالم، حيث تستضيف أكثر من 84 كنيسـة ومعبداً لغير المسـلمين، كما أقامت صرح العائلة الإبراهيمية التي يتجاور

فيها مسجد وكنيسة وكنيس، كما أصدرت قانوناً خاصاً يعاقب على ازدراء الأديان، كما استضافت أول قداس لبابا الفاتيكان في البلاد الإسلامية بحضور أكثر من مائة ألف مشارك، كما أنها الدولة الإسلامية الأولى التي تستضيف معبداً هندوسياً وبوذياً وسيخياً وبهائياً، وتسهر على رعاية هذاه المشاريع وزارة متخصصة منحت اسم وزارة التسامح، ومنحت صلاحيات استثنائية، وهي تعقد مؤتمرات قمة التسامح وقد أطلقت المعهد العالي لدراسات التسامح، كما أنها تقوم بضخ مبادرات التسامح في سائر الجهات الحكومية والشعبية والأهلية في الدولة.

لقد توضحت الهوية الوطنية للإمارات في عنوانين رئيسين الإسلام والعروبة، وينص النشيد الوطني على عبارة شعبية محببة: عشت لشعب دينه الإسلام هديه القرآن ، حصنتك باسم الله يا وطن.

إنني أعيش في الإمارات وأعمل كأخصائي أول في التسامح والهوية والوطنية، وقد أطلقت على الصعيد الشخصي- مركزا خاصاً لدراسات التسامح والإخاء الإنساني، وأشعر أن البيئة حاضنة بشكل مثالي لجهود التسامح والتراحم وإعذار المختلف وتقديم نموذج متقدم عن روح التسامح والمحبة في الإسلام.

وفي سياق حماية الهوية الوطنية فقد حصلت على ترخيص تطوعي لتأسيس فريق حماية اللغة العربية، وهو فريق حيوي يشارك فيه الآن 350 متطوعاً يعملون لحماية الهوية الوطنية واللغة العربية في الإمارات، ذلك أن الانفتاح والتسامح لا يجوز أن يكون على حساب الهوية الوطنية، وينبغي أن يعمل المخلصون على حماية الهوية الوطنية للبلاد حيث هي مسؤولية مشتركة بين الدولة وبين كل من يقيم على هذه الأرض الطيبة.

وفي ترسيخ ثقافة التسامح في الإمارات أود الإشارة إلى أمر ذي دلالة، فقد كتبت دراسة خاصة حول مصطلح "العدو" عدو الوطن وعدو الشعب وعدو الأمة وعدو

الثورة، هذا المصـــطلح الذي تلقيناه في الدول الثورية مع حليب أمهاتنا، وتعاقبت المدارس والمساجد ، والكنائس ، والحكومات ، والأمهات والآباء على التحذير منه، منه حتى باتت قناعة العربي في الدول الثورية أن العالم كله يتآمر عليه، ففي بلادي مثلاً تبدأ فكرة العدو من إسرائيل بوصــفها كياناً غاصــباً، ثم تتبعها أمريكا بوصــفها داعماً لإسرائيل، ثم أوربا بوصــفها تابعة للأمريكيين، ثم الدول العربية بوصــفها متخاذلة عن نصـرة الحق العربي، ثم يبدأ اكتشاف الأعداء في الداخل، فيتم تخوين المختلف حزبياً ودينياً وسـياسـياً وحتى اقتصـادياً، واعتبارهم جميعاً خونة متآمرين، وتصدر لوائح الترصد والاعتقال، وسيشعر المرء بأن أعداء الوطن يحيطون بالوطن من شــعبه الأربع وأنهم في الداخل أكثر منهم في الخارج، وإذا كانت لديك عشـــــر رصـاصـات، فاضرب تسـعة منها في رؤوس مواطنيك من الخونة ورصـاصـة واحدة للعدو. !!!

هـذه الثقـافـة التي تبـدو طبيعيـة وعـاديـة في التعليم المـدرسي والجـامعي والحزبي والإعلام الحكومي والشـــعبي في البلاد العربية الثورية، غير موجودة على الإطلاق في الإمارات، وخلال ثلاثة عشـــر عاماً مرت بي في هذا الوطن السعيد لم أسمع من أي مســـؤول حكومي كلمة" أعداء الإمارات" أو "أعداء الوطن" ولا يعيش الإماراتي هذا الجو المشـــحون بالكراهية لأي ســـبب، وهكذا تعيش الإمارات كمتحف للتعدد الـديني والقومي والعرقي، ولكن النـاس لا تعيش عقـدة المؤامرة ولا يســـتعملون مصــطلح العدو، ويعملون في ســياق تعاون بناء يتحاوز العرق واللغة والدين ، وقد منحهم هذا الموقف المتسـامح صـداقة شـعوب الأرض، ويمكن للإماراتي أن يدخل 181 بلداً في العالم بدون فيزا، وهو أقوى جواز ســفر في العالم، ولا شـــك أن ذلك نتيجة طبيعة لرؤية التسامح والتكامل مع شعوب العالم.

نســـتطيع اليوم أن نقول بلا تحفظ إن هناك دولاً إســـلامية باتت رائدة في ثقافة التسامح والتعاون الدولي ولا شك ان الإمارات هي أبرز تلك الدول.

*- جاء كتابكم الصـادر عن مؤسـسـة مؤمنون بلا حدود معنوناً ب: "توام التاريخ الغائب"، ما سبب هذا التوصيف؛ التاريخ الغائب؟ هل غائب أم مغيّب؟ ولماذا؟

على الرغم من العناية بمدينة العين، ولكنني فوجئت بإهمال شديد لحقبة أساسية من تاريخها حيث يتحدث الأرشـــيف الوطني في الإمارات عن العصرـ الحجري والنحاسي والحديدي الأول والحديدي المتأخر، ولكن الأرشـــيف يقفز فوراً من العصـر الحديدي المتأخر حوالي 300 ق.م مباشرة إلى العصـر البرتغالي عام 1507 ميلادية.

لقد آلمني غياب فترة تاريخية مهمة لمدينة العين، ولم أجد فيها كتابات وافية، الأمر الذي دفعني إلى البحث عن المدينة الغائبة في التاريخ، وبالفعل فإنك لن تجد شـيئاً باسـم العين، ولكن عليك ان تبحث عن الأسـماء التاريخية التي أطلقت على المنطقة وبالفعل فإن الاسـم الذي عرفت به خلال التاريخ الإسـلامي هو توام، وقد أدهشني حجم المصادر التي تحدثت عن هذه الفترة ووجدت ثلاثة عشـــر مصدراً من الكتب الأمهات في التاريخ والســـيرة تتحدث عن توام وكلها في القرون الهجرية الأولى.

وتوام كما يعرفها ياقوت الرومي الحاضرة الثانية في عمان، وهي حاضرة الجوف (الأحواف) وصـــحار حاضرة (الأســـياف) البحر، وقد ربطتها بقريش رابطة الهجرة القديمة حيث هاجر إليها ســـامة بن لؤي، وهو عم جد النبي قصيـ بن كلاب، وقد وصل سامة مع عشيرته الكبيرة إلى توام وأقام فيها، وكان علينا في الدراسة أن نبحث عن الأخبار الباقية لهذه الأسرة الكريمة، ودورها في تحول توام إلى الإســلام وكذلك

في جهود بناء الحضارة الإسلامية الآتية الأمر الذي أشار إليه العلامة ابن خلدون في إشارة مهمة وهي أن الدولة السامانية التي حكمت وسط آسيا من بخارى طيلة القرن العاشر الميلادي هي من بني سامة بن لؤي في توام.

لقد قامت حكومة الإمارات بعمل جيد حيث أطلقت الاسم التاريخي للعين على عدد من المنشآت الحيوية في العين حيث دوار توام ومشفى توام ومدرسة توام، وهي تحفيز جيد للعمل على إحياء هذه الفترة المهمة من تاريخ العين.

نعم إن غياب التاريخ المدون لتوام أمر محير، حيث يتم الاعتماد كلية على المصادر الروائية للتاريخ العماني، وهي بحاجة إلى ظهير محلي، وعلى كل حال فإن عملنا هو الإسهام في الكشف عن هذه الحقبة التاريخية ولا شك أن آخرين يعملون على ذلك، وقد نجحت في توثيق حضور توام التاريخي في ثلاثة عشر مصدراً من الكتب الأصول في التاريخ الإسلامي، ونتمنى من الأرشيف الوطني أن يهتم بهذه الدراسة التي تؤرخ لفصل بالغ الأهمية في تاريخ المنطقة.

*- يعد مفهوم التسامح في الثقافة العربية جانباً حاسماً من جوانب التوازن الاجتماعي وخلق بيئة ثقافية متنوعة، كما أنه شرط ضروري للدولة الحديثة والمواطنة وسيادة القانون ومبادئ التسامح والتعددية. تعتبر دراسة التسامح في الثقافة العربية أمرا بالغ الأهمية لفهم التحديات التي تواجه المجتمعات العربية اليوم، ما العلاقة بين الدولة والمواطنة، ومن ثم مبادئ الحرية والعدالة وسيادة القانون؟

لا شك أن التسامح هو جوهر الدولة الحديثة، ومنذ معاهدة وستفاليا 1648م تغير العالم، وتوقفت الأفكار القديمة التي كانت تنص أن الناس على دين ملوكها، وتم الإعلان عن حق الإنسان في الحرية والتدين واللاتدين.

ولكن قيام تسامح حقيقي يفرض على قادة الفكر الإسلامي أن يقوموا بجهود جبارة لتصحيح ما استقر في الذهنية الشعبية من تكريس للدولة الثيولوجية وما تنتجه من تعصب وتزمت وسحق لحقوق الإنسان.

في الواقع الإسلامي يجب الاعتراف بأن كتب الفقه الإسلامي كرست حدوداً قاسية ضد المختلف في الدين، حيث فرض الفقهاء حد الردة، الذي يتم فيه قتل من ترك العقيدة الإسلامية، كما فرضوا أحكام الجهاد والجزية في حق المخالفين من الأديان الأخرى، فيما اختار الشافعية والحنابلة موقفاً أشد تعقيداً حيث أمروا بقتل كل إنسان لا يقبل الإسلام، وقصروا الجزية فقط على أهل الكتاب من غير العرب، فلا يقبل من العربي إلا الإسلام أو السيف! ولا يقبل من غير الكتابي إلا الإسلام أو السيف.

وفي موقف أشد غرابة واستهجاناً فإن كتب الفقه لا تزال تنص بوضوح على قتل تارك الصلاة، أو منكر ما علم من الدين بالضرورة، وفي العام الماضي خضت جدلاً كبيراً مع أهم واعظ سوري في هذه الأيام وأكثرهم انتشاراً على يوتيوب حيث أفرد شريطاً خاصاً تحدث فيه بوضوح وصراحة عن واجب الدولة في قتل كل تارك للصلاة!! سواء كان تركها جحوداً أو حتى كسلاً!! وحين واجهتُ هذه الفتاوى فإنهم قذفوني بأكثر من مائة عنوان لكتب فقهية شهيرة تنص على ذلك بدون تحفظ في كتب المذاهب الأربعة!!

وكذلك فإن الحدود الآمرة بالرجم والقطع والصلب والجلد لا تزال في كتب الفقه التعليمية كما كانت في العصور الوسطى، ولم يطرأ عليها تطور حقوقي يتناسب مع لغة العصر وروح الإسلام.

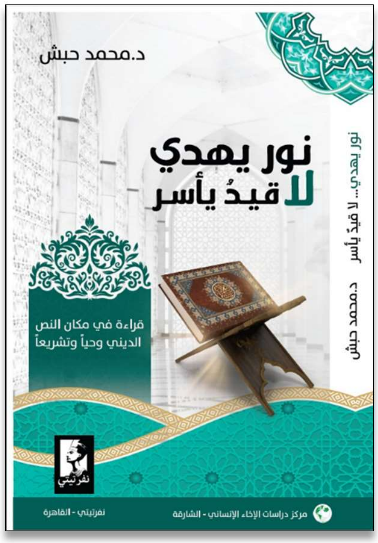
إن هذه الحقائق المرعبة لا زالت في كتب الفقه الإسلامي ويتم تدريسها بشكل آلي دون الانتباه إلى نتائجها المدمرة على المجتمع الإسلامي نفسه قبل المجتمعات الأخرى.

وحتى لا نتهم بالمبالغة فإن أول ما يدرسه طلبة المدارس الدينية الشافعية والحنبلية اليوم هو كتاب الأربعين النووية الذي يفتتح بحديث: أمرت أن أقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوها عصموا مني دماءهم.

ومن المدهش أن الدول الإسلامية قاطبة تركت من الناحية العملية تطبيق شيء من ذلك، بل إن 54 دولة إسلامية من أصل 57 غيرت قوانينها بوضوح بمشاركة عدد من كبار فقهاء الشريعة وعلمائها، ولم يعد فيها حد الردة أو حكم الجزية أو وجوب الجهاد، ولكن الفقهاء شيء ورجال الدين شيء آخر، ولا تزال منابر رجال الدين تنكر هذا كله، وبدلاً من أن ترى في توجه الحكومات إلى هذا التطور الحقوقي استجابة لمقاصد الإسلام ف ينشر السلام والرحمة فإنهم يرون هذا كله ردة عن الإسلام، ويكرسون منصاته للهجوم على هذا التهاون في حدود الله، ويطالبون بوسائل شعبوية متعددة بوجوب ترك هذه الأحكام الوضعية والعودة إلى الفقه القديم، وإعادة الحدود كلها بما فيها قطع السارق ورجم الزاني وقتل المرتد وصلب المحارب.

وبهذه المناسبة فإنني حريص على التفريق بدقة بين الفقيه وبين رجل الدين، وقد شرحت ذلك في فصل من كتابي: نور يهدي لا قيد يأسر، حيث أوضحت فيه أن الفقيه هو ذلك الحقوقي البصير الضليع في الفقه والقانون، والمطلع على قوانين الأمم، والذي تكلفه الدولة بإعداد القوانين، كما هو حال فقهاء الإسلام الكبار، الذين كتبوا قوانين الدولة الإسلامية في التاريخ، من أمثال القاضي أبي يوسف

والقاضي الماوردي والجويني وابن الخطيب والقاضي ابن رشـــد، وهم اليوم يؤدون الدور نفســه ويكتبون للدولة دسـاتيرها، ويكتبون قانون المعاملات المدنية وقانون العقوبات وقوانين الأحوال الشـــخصـــية، وهي قوانين حضـــارية في الغالب، تنص بوضوح على مرجعية الإسلام فيها، وهي معمول بها في كل العالم الإسلامي.




أما الفقيه فهو الواعظ المتخصص بالرواية عن الكتاب والسنة ومسؤوليته الأخلاق والتربية والعبادات والدار الآخرة وليس تشـــــــريع القوانين، ومن غير المعقول أن يكلف الواعظون لمجرد كفاءتهم في الخطابة والصـــوت الحســـن وحفظهم للقرآن بكتابة القوانين التي تنظم شـؤون الحياة إلا إذا طوروا أنفسـهم وتحصـلوا على علوم القانون من مصادرها وعرفوا قوانين الأمم والقانون الدولي.

وقد فصـــلت القول في هذا الأمر بالذات في كتابي الذي يصـــدر نهاية العام بعنوان: فقهاء لا كهنة.




نعم إن دســاتير الدول الإســلامية وقوانينها باتت قوانين حضــارية، تنافس ما هو معمول به في الدول الحضــارية المتقدمة، ويعمل الجميع في إطار الإعلان العالمي لحقوق الإنســان، ولكن يجب القول أننا ما زلنا نعاني أمرين اثنين: الأول: هو رجال الدين من الواعظين الذين يرون هذه القوانين قوانين وضــعية كافرة يجب نبذها والعودة إلى الفقه القديم، والثاني وهو والأخطر والأنكى وهو الاســتبداد الذي يكتب أجود القوانين ويقوم بأسوأ الممارسات.

*- هل ترى في الدعوة إلى التسامح حلاً لمواجهة إشكالية التأخر التاريخي، على غرار رواد النهضة مثل محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وغيرهم؟

يجب القول إن التســامح والإخاء الإنســاني ليس برنامجاً كافياً لقيام أمة، فالنهوض الحضـاري يتطلب رؤية وقوانين ونظماً إدراية متقدمة، ولكن التسـامح جزء من بناء

الدولة السـعيدة، إننا نعمل في هذا الحقل بهدف رفع القيود والآصـار التي ألقاها التعصب على القيام الإسـلامي، وبذلك فإن دور الإصـلاح الديني برمته لا يرقى إلى مسـتوى بناء الدولة، ولكنه ضروري جداً لرفع العوائق التي توضـع أمام برامج البناء الحقيقية.

لقد قام رواد المهضـة بدور أسـاسي في ذلك ولا زالوا يقومون، ولكن النجاح الذي حققناه لم يبلغ شـأو النجاح الذي حققه فلسـفة عصر الأنوار في مواجهة التصلب الكنسي، ويبدو أننا لم نتعلم ما يكفي من التاريخ، ومن لم يتعلم من التاريخ فهو محكوم بإعادته، وهذا بالضبط ما يحصل، وعلينا أن لا نصاب بالإحباط جراء الأثر المحدود الذي حققه الإصلاح.

لم يكن لدى الأفغاني ولا محمد عبده ولا رفاعة الطهاطاوي ولا علي عبد الرازق ولاطه حسـين ولا قامسـم أمين برنامج نهضـة، لقد كانوا فقط أصـواتاً تحث على القيام، وتميط الأذى عن طريق القيام، وهذه الإرادات الطيبة تحتاج لهمم قعسـاء تتولى وضـع برامج وطنية حقيقية للقيام، ترفعها قوى شـعبية واجتماعية، في إطار دستوري لتحقيق النهضة المأمولة.

لقد قام الرواد بجهود جبارة لنشـر الوعي في المجتمع، وانتبهت حكومات أساسية في العالم الإسـلامي إلى مطالب النهضـة، وشـهد العق الأخير تغييرات مهمة في العالم الإسـلامي وخاصـة في أندنوسـيا والسـعودية وتركيا، وصـار من الواضـح أن المطلوب هو وعي مختلف للإسـلام لا ينحبس في منـاهج المـدارس الـدينيـة، بـل ينفتح علىالعالم، بروح واعية بصيرة/ نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم.

إنها روح العصـر وسنة الله في العالم، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

## الحوار الرابع: أنفاس برس

جريدة الكترونية مغربية تعنى بالتنوير وثقافة التواصل الحضاري




محمد حبش: سيداو.. كفاح المرأة المظلومة في العالم ضد كل أشكال الجاهلية

جمعت أنفاس برس هذه الفقرات من مقالات متعددة للدكتور محمد حبش ونشرتها في 27 كانون ثاني 2024

إنها اليوم رسالة، وأسأل الله الإخلاص والثبات... وهو دفاع عن المرأة التي كرمها الله ولكن المجتمع المتخلف نظر إليها كفتنة لعينة، وضلع عاجز وعقل قاصر، ومنعت من السفر للعلم، ومنعت من إظهار وجهها، ومنعت من حقها في قرار الزواج والطلاق، ومنعت من حقها في العمل السياسي، ومنعت من حقها في الفن والغناء، واعتبرت زينتها وعطرها زنا وإثماً، مارس عليها الذكور أباً وزوجاً وأخاً وابن عم الصفع والضرب للتأديب!! ووومنعت من حقها في الملكية وإدارة أموالها، ومنعت حتى من نصف الميراث وأجبرت على الزواج طفلة، وأجبرت على الصبر على حياة الجحيم.... وقبل قليل كنت أواجه مشكلة منع النساء حتى من العمل التطوعي والإغاثي وكل ذلك بحجة سد الذرائع....!!

سيداو.. محاولة قام بها المجتمع الدولي منذ 1980 لمساعدة المرأة المظلومة في العالم ضد كل أشكال الجاهلية وهو صلب مقاصد الإسلام...... ولكن.. تشتد الحملة هذه الأيام على سيداو بوصفها كالعادة مؤامرة صهيونية ماسونية عالمية تهدف إلى تخريب الأديان ونشر الفحشاء وتبرير المثلية.

سيداو تهدف لرفع الظلم عن المرأة وتمكينها من العمل والزواج والسفر والمساواة والمشاركة السياسية ومنع استغلال النساء ومنع التمييز ضدهن، وهي تتفق بشكل جوهري مع قيم الدين الكبرى في تمكين النساء وحماية الأسرة.

وفي الواقع فإن هذا الوهم الذي يمارسه الخطاب الانفعالي ليس جديداً ولكن المؤسف هو انضمام بعض المشاهير في حقل الوعظ الديني لهذه الحملات الساخطة، وهو ما بات يفرض مناقشة هادئة واعية، ويتأكد ذلك لجملة أسباب:

أولها: الاتفاقية تم توقيعها اليوم في 54 دولة إسلامية من أصل 57، يعني كل الدول الإسلامية إلا إيران والصومال والسودان، وهناك تحفظات معروفة في 12 دولة منها، ولا شك أن هذا الهجوم الساحق على الاتفاقية يعني ضمناً تورط 95% من الدول الإسلامية في هذا المشروع الإجرامي!! وبالتالي هو دعوة للغضب والريب والشقاق الاجتماعي وتقسيم المجتمع بين ملحدين ومؤمنين، وبين دعاة الرذيلة ودعاة الفضيلة، على أساس إقرار سيداو أو رفضه، وهذه كارثة اجتماعية بكل المقاييس.

ثانيها: التيار الانفعالي المحارب بضـــراوة لســـيداو بات يرى أن كل مطلب تحرري للمرأة ينصـــفها ويحمي كرامتها هو مؤامرة دولية، وشـــهدنا لدى مشـــاهير الوعاظ تراجعاً كبيراً في خطاب تمكين المرأة وعودة لتمجيد خضـــوع المرأة لزوجها وتلذذها بضربه وسـخطه وصـبرها على شراسـته ومزاجيته، وتنهاها عن حقوقها، كما تحول التعدد من ضرورة تأذن بها الشريعة بشروط دقيقة إلى فضيلة يجب أن يتسابق إليها المتـدينون!! وكـذلـك فقـد صـــار اعتراض المرأة وحريتهـا حتى في حـدود رغبـاتهـا الجسدية تمرداً على الله تلعنها به الملائكة ويهتز له عرش الرحمن!

ومع أنني كتبت كتاباً كاملاً عن سـيداو منذ 2003 وطبع عدة طبعات، ولكنني اليوم أفضـــل أن أناقش هذا النص الاتهامي الذي يتم الترويج له على منابر المشـــاهير بغضـب، دون أن يدرك هؤلاء الغاضـبون حجم المغالطات التي يتضـمنها خطاب كهذا يقفز فوق العقل والعلم ويمارس الكذب والتلون، لمصــلحة العقلية الذكورية التي لم تعد تبالي حتى بقيم القرآن نفسه في المساواة والحريات.




وحتى لا نتهم بالمبالغة فقد تم تداول هذا النص في فقراته العشـــــــر على مواقع التواصـــل أكثر من مليون مرة!! وتداوله مشــاهير الواعظين من الســنة والشــيعة، ولعلها إحدى المرات القليلة التي يتفق فيها خطاب الواعظين الســـنة والشـــيعة، وسأذكر الفقرات العشر واحدة واحدة:

1- سيداو تقول إن المرأة مثل الرجل!!!. والقرآن يقول: "وليس الذكر كالأنثى"

وجوابي: أن الله لم يقل وليس الذكر كالأنثى وإنما هي حكاية عن أم عمران، ولا يصح نسبة ذلك إلى الله، بل إن لغة الجندر في القرآن تشمل المساواة ألف مرة، وفي آية واحدة وردت المساواة إحدى عشرة مرة: إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات...

2- سيداو تقول لا يسمح للرجل بالتعدد!!!. والقرآن يقول: "فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع".

وجوابي إن سيداو لم تذكر كلمة التعدد أبداً، ومع ذلك فإن آية التعدد مشروطة بالعدل، وقد قال القرآن الكريم: ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم، والحقيقة أن كثيراً من فقهائنا الراسخين يدعون إلى الزوجة الواحدة وكان رسول الله يأخذ العهد على أصهاره ألا يتزوجوا على بناته، وهو نفسه لم يتزوج على أم عياله أبداً حتى ماتت.

وزاد بعضهم أن سيداو تدعو إلى تعدد الأزواج للمرأة!! وهو تصور كاذب تماماً والمساواة في حق الزواج لا تعني أكثر من وجوب موافقتها ومنع الإجبار على الزواج، وإذا كانت الأمم المتحدة تناهض تعدد الزوجات!! فكيف نتصور أنها تطالب بتعدد الأزواج؟؟.

3- سيداو تقول الأولاد ينسبون لأمهاتهم في التسمية!!! والقرآن يقول: "ادعوهم لآبائهم".

والحقيقة أن سيداو لا يقول انسبوا الأولاد لأمهاتهم بل لآبائهم في حالة ، أما الولادة من حرام فإن الشريعة وسيداو يأمرون بنسبة الولد لأمه بنص الحديث الشريف: الولد للفراش...

4- سيداو تقول: لا يوجد عدة للمرأة!!! والقرآن يقول: "والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء".

والحقيقة أن سيداو لم يتعرض للعدة في قليل ولا كثير...

5- سيداو تقول الرجل لا يملك الولاية على المرأة والأب لا يملك الولاية على بناته!!!. والقرآن يقول "الرجال قوامون على النساء".

والواقع أن سيداو لم يقل إن الرجل ليس قواماً، بل دعا إلى التشارك في المسؤولية، وتبادل الخدمة والقوامة وهو قريب جداً من كلام الله: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض.

6- سيداو تقول الذكر والأنثى في الميراث واحد!!!. والقرآن يقول: "للذكر مثل حظ الأنثيين".

والواقع أن سيداو لم يقل هذا، بل دعا إلى المساواة والعدالة، ويجب القول إن الميراث في الشريعة أيضاً مداره على العدالة، وهو يدور على أحوال مختلفة تتساوى فيها المرأة مع الرجل وأحياناً تناصفه وأحياناً تزيد عليه وأحياناً تنقص عنه، ومدار ذلك على اجتهاد الصحابة والتابعين والفقهاء.

7- سيداو تقول الرجل يمكنه الزواج برجل مثله، المرأة يمكنها الزواج من امرأة مثلها!!! والقرآن يقول : "أتأتون الذكران من العالمين".

وفي الواقع سيداو لم يقل حرفاً واحداً عن الشذوذ الجنسي على الإطلاق!!!! وهذا افتراء محض!!.

8- سيداو تعطي المرأة حق الاجهاض!!!. والقرآن يقول: (ولا تقتلوا أولادكم ). وفي الواقع سيداو لم تتعرض للإجهاض في قليل ولا كثير!!.

9- سيداو لا تجرم العلاقات الجنسية خارج إطار الزوجية لكلا الزوجين!!! والقرآن يقول : (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة و ساء سبيلاً).

والحقيقة أن سيداو لم تتحدث عن العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج على الإطلاق، ودعوتها لحرية المرأة والرجل على قدم المساواة، لا تمنع التشريعات التي تعاقب على الخيانة والدعارة والاغتصاب ويمكن للدولة الإسلامية أن تمنع كل أنواع الزنا دون أن يكون ذلك ناقضاً للاتفاقية.

10- سيداو تقول: المرأة ترتبط بمن تشاء وتنفصل متى تشاء وتعاود الارتباط متى تشاء!! والقرآن يقول: (محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان).

وسيداو لا تقول هذا، وإذ تنص على المساواة مع الرجل في الزواج والطلاق تعني أن لها الحق في رفض الزوج ابتداء، وكذلك طلب فراقه بعد الزواج وهو ما أعطاها إياه

الفقه الإسلامي أيضاً بالخلع والفسخ والضرر وهو يتطور باستمرار بجهود الفقهاء الكرام.

11 – سيداو تقول: سن الزواج بعد الثامنة عشرة!!! والقرآن يقول: (وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح).

وفي الواقع لا يوجد أدنى تعارض بين النص والآية، القرآن لا يتحدث عن سن محددة، بل يطلب الرشد، وقد حدد الفقهاء الكرام اجتهاداً سن 18، وقد أقرت ذلك معظم قوانين الأحوال الشخصية في البلاد الإسلامية.

ليس هذا بالطبع رداً علمياً وافياً.. بل هو جواب على استسهالات نطرحها بلغة خطابية غاضبة، دون أدنى تمحيص ونظن أنها حقائق نهائية، ولا أشك أن من كتب هذه الوثيقة الهائجة لم يقرأ الاتفاقية نفسها بعين واعية.

وأكثر ما يوجهه المشايخ هو رفض المادة 2 التي تنص على إدراج المساواة في الدستور، وكذلك المادة 16 وهذا نصها:

تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في كافة الأمور المتعلقة بالزواج والعلاقات العائلية، وبوجه خاص تضمن، على أساس المساواة بين الرجل والمرأة:

(أ) نفس الحق في عقد الزواج.
(ب) نفس الحق في حرية اختيار الزوج، وفي عدم عقد الزواج إلا برضاها الحر الكامل.
(ج) نفس الحقوق والمسؤوليات أثناء الزواج وعند فسخه.
(ح) نفس الحقوق والمسؤوليات بوصفهما أبوين، بغض النظر عن حالتهما الزوجية، في الأمور المتعلقة بأطفالهما وفي جميع الأحوال، يكون لمصلحة الأطفال الاعتبار الأول.
(هـ) نفس الحقوق في أن تقرر، بحرية وبإدراك للنتائج، عدد أطفالها والفاصل بين الطفل والذي يليه، وفي الحصول على المعلومات والتثقيف والوسائل الكفيلة تمكينها من ممارسة هذه الحقوق.
(د) نفس الحقوق والمسؤوليات فيما يتعلق بالولاية والقوامة والوصاية على الأطفال وتبنيهم، أو ما شابه ذلك من الأعراف، حين توجد هذه المفاهيم في التشريع الوطني، وفي جميع الأحوال يكون لمصلحة الأطفال الاعتبار الأول.

(ز) نفس الحقوق الشخصية للزوج والزوجة، بما في ذلك الحق في اختيار اسم الأسرة والمهنة ونوع العمل.
(ح) نفس الحقوق لكلا الزوجين فيما يتعلق بملكية وحيازة الممتلكات والإشراف عليها وإدارتها والتمتع بها والتصرف فيها، سواء بلا مقابل أو مقابل عوض.

وهي المادة التي بنى عليها المشايخ كل التصورات العشـــرة السابقة السابقة... وهو لزوم ما لا يلزم، وفي الواقع فإن هذه الحقوق بديهية في الفقه الإســلامي، وكان بالإمكان أن ننقلها بالحرف وننسبها إلى فقيه مستنير كالإمام أبي حنيفة أو الشاطبي أو ابن حزم دون أي تثير أي إشــكال، وقد ســبق كثير من فقهائنا الأمم المتحدة في تقرير ذلك، ويمكن التوقيع عليها دون أن نتخلى عن أي من ثوابت ديننا.

نعم الاتفاقية تلزمنا بالتخلي عن كثير من التراث الفقهي المتعصـــب، ومنعه من التسلل إلى قوانين الأحوال الشخصية، ولكنها لا تناقض أبداً قيم الإسلام في حماية المرأة، أو على الأقل إنها تطابق تصور فقهاء مسلمين كبار كانوا سباقين إلى إنصاف المرأة ومنحها هذه الحقوق وأكثر.

مفكر سوري/ أستاذ في جامعة الشارقة بالامارات العربية المتحدة


المراة في حياة
محمد
الدكتور محمد الحبش


الخطوبة والحب الحلال
وقضايا اخرى
الدكتور محمد الحبش


المراة بين قول الله
وشرح الشارح
تور محمد الحبش

## الحوار الخامس: أسامة ياغي - صحيفة نينار NINARPRESS

22/9/2024

أجرى الحوار الكاتب والأديب أسامة ياغي[4]





الأحد, سبتمبر 29, 2024 أعداد الجريدة اتصل بنا من نحن القائمة البريدية

نينار برس NINAR PRESS نضيء الحقيقة

الصفحة الرئيسية مقالات الرأي تقارير سياسية

الرئيسية › العدد 234 › الدكتور محمد حبش في حوارٍ فكري مع نينار برس: مصطلح التنوير الإسلامي فيه نرجسية لأنه يقرّر أننا نمارس النور والآخرين

العدد 234 حوار الأسبوع مقال مثبّت

الدكتور محمد حبش في حوارٍ فكري مع نينار برس: مصطلح التنوير الإسلامي فيه نرجسية لأنه يقرّر أننا نمارس النور والآخرين يمارسون الظلام

بواسطة أسامة آغي — تم النشر بتاريخ سبتمبر 21, 2024

شارك 55 0

التنوير مصطلح أوربي برز في عصر النهضة، قام على مفهوم قوّة العقل وقدرته على فهم الظاهرات الطبيعية، والعلمية،

[4] أسامة آغي كاتب وأديب وإعلامي سوري، من دير الزور، درس في كلية الزراعة في جامعة حلب، ثم تحول إلى العمل الإعلامي وترأس عدة مؤسسات إعلامية آخرها مؤسسة نينار التي كانت تنشر من تركيا ثم تحولت للنشر من دمشق.عرف بمواقفه الرافضة للعنف والتدخل الخارجي وتأييده الكبير للثورة السورية البيضاء

د. محمد حبش" محاكمة التاريخ بأدوات الحاضر لا تُنتجُ نقداً موضوعياً"

الدكتور محمد حبش المحترم

تحية طيبة وبعد

التنوير مصطلح أوربي برز في عصر النهضة، قام على مفهوم قوّة العقل وقدرته على فهم الظاهرات الطبيعية والعلمية والاجتماعية.

أما التنوير الإسلامي فهو يحتاج إلى إضاءة مفهومه والركائز التي نهض عليها.

ترغب صحيفتنا نينار برس أن تجري معكم حواراً واسعاً حول معنى التنوير الإسلامي ومفهومه، والركائز الفكرية التي ينهض عليها، وفيما يلي الأسئلة:

السؤال الأول:

هل يمكنكم تقديم تعريف علمي لمفهوم التنوير الإسلامي؟

أشكرك..

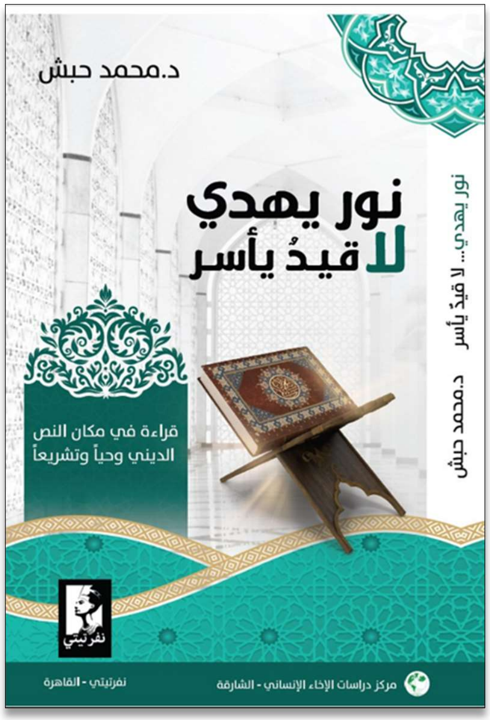
التنوير الإسلامي هو مصطلح عفوي يطلق على الكتاب الذين يقرون بأننا نعيش في واقع مظلم، وهو مصطلح حديث، ويعكس الرغبة الأكيدة في القيام بدور مشابه لما قام به فلاسفة عصر الأنوار لكسر قيود الكنيسة وقاعاتها الكئيبة والانفتاح على الحياة.

والتنوير مصطلح جديد لم يستخدمه أعلام النهضة التجديدية في عهد الآباء الأوائل في القرن العشرين، ويمكن القول إنه بدأ في الانتشار في النصف الثاني من القرن العشرين.

ولا يمكن إنكار ما في المصطلح من نرجسية لأنه بوضوح يقرر أننا نمارس النور وأن الآخرين يمارسون الظلام، ولعل الإصلاح الأكثر تعبيراً عما نقوم به هو الإصلاح الديني.

## أين يكمن جوهر التنوير الإسـلامي؟ في إضـاءة النص القرآني، أم في إعادة نقد العقل الإسلامي وفهمه للعالم على قاعدة العلم؟

النص القرآني نور يهدي، لا قيد يأسر، ولقد كتبت كتاباً خاصـاً بهذا العنوان، حيث اعتبر ان أكبر مشاكلنا التاريخية هي الغلو، وإذا كان المسيحيون قد وقعوا في الغلو في حب المسيح فعبدوه، فإننا وقعنا في الغلو في حب القرآن، حتى اعتبرناه حكماً نهائياً لكل زمان ومكان، وحين فرض تطور الحياة حقائق صـارخة تناقض مفهوم النص ظهرت حملة القراءات المعاصرة، التي تعيد قراءة النص على قواعد أخرى غير التي ذهب إليها السلف، وتقوم بإنتاج أحكام عصـرية من النص القرآني عبر نبذ قواعد الفقه القديم، واعتماد خيارات اللغة وعجائبها ومفرداتها، وقد تعمقت هذه الدراسـات، وهي تنطلق من مسـلمة أسـاسـية هي أن النص يحكم كل زمان ومكان ولكن بفهم جديد، وشـخصـياً فإنني أفضـل تصـنيف القراءات المعاصرة في باب الإعجاز اللغوي، وهي صـورة من تصـور الإعجاز تشـبه ما يدعو له فقهاء كثير من إعجاز جغرافي وإعجاز فلكي وإعجاز عددي وإعجاز صـوتي في القرآن، وهي بكل تأكيد قراءات غلو في القرآن لم يكن يعرفها أحد من السـلف أصـلاً، ولم يشر إليها الرسول في كثير ولا قليل.




وفي الواقع فإن القراءات المعاصرة عموماً تفرض سؤالاً في غاية الإحراج، وهي غموض النص والتيه في فهمه والخطأ في تطبيقه الذي استمر قروناً طويلة، وبالتالي فما هو ذنب هذه الأجيال التي اتبعت النص بشكل خاطئ، ولماذا لم يكن القرآن مبيناً. ولماذا نزل بهذا التعقيد والاحتمال؟

قناعتي أن النص محكوم بظروف تنزله، وأن المنطق أن نفهمه كما فهمه سائر الناس، بوصفه برنامجاً تاريخياً أنشأ حضارة كاملة في القرن السابع، ولكنه ليس بالضرورة وصفة لكل القرون والبلدان والأجيال، والزمن هو البعد الرابع للاشياء، ولا معنى لاي معطى علمي دون اقترانه بالزمان والمكان، وفي الواقع فإن القرآن الكريم لم يذكر أي جغرافيا خارج مصر والجزيرة العربية، ولم يذكر شيئاً عن الشعوب العالمية من غير نسل إبراهيم، وهذا في الواقع يحدد الأفق الذي تنزل القرآن فيه، لتنذر أم القرى وما حولها، مع أنه جاء رحمة للعالمين، فليس في القرآن الكريم ذكر أوروبا ولا امريكا ولا الهند ولا الصين، وليس فيه ذكر السلاف ولا البربر ولا الآريين ولا الفايكنغ ولا الكارولنجيين، هذا كله لا يعيبه ولا ينقصه، ولكن يفرض موضوعياً علينا نحن أهل القرآن والتوحيد أن لا نحمل القران ما ليس فيه وأن لا نستنطقه بما لم ينطق فيه، وأن نترك أفقاً أكبر للعقل في المسكوت عنه في النص.

وفي القرآن قيم أخلاقية مستمرة وأحكام حياتية متغيرة، وقد نجح الفقهاء منذ فجر الإسلام باقتراح حلول كثيرة للتعامل مع النص القرآني باحترام وعقلانية، منها الناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، والمتشابه والموقوف، وهي أبواب أصولية وفقهية شهيرة، تعكس قدرة أصولية كبيرة في التعامل مع النص القديم، ولكننا اليوم نكتفي للأسف بروايتها عن الأولين ولا نسمح لاي مجتهد بتكرار التجربة بحيث نصل إلى قوانين حديثة متطورة.

ما هي المسائل والقضايا التي لقت اهتماماً أكبر من التنويريين الإسلاميين؟

يكتب التنويريون في هموم الأمة، في المشكلات التي تعيق النهضة والقيام، في مواجهة الفكر الخاطئ الذي أدى بنا إلى هذا الانحطاط، وكل يكتب في حقله المعرفي.

بالنسبة لي فالقضية الأكبر هي التشريع، وقد بسطت القول فيها في كتابي : النبي الديمقراطي، الذي قدمت فيه ثمانية وأربعين تجربة خاضها النبي الكريم في التشريع إنشاء أو إلغاء أو تبديلاً أو نسخا، وكلها تعكس حيوية التشريع بالأدوات الديمقراطية والعقلانية، ونجاحه في تقديم تشريع مناسب لعصره، وتقديم نموذج حيوي للحركة المستمرة التي تحكم الحياة المدنية، وهذا هو التشريع الذي يمارسه الفقهاء بدون توقف منذ فجر الإسلام إلى اليوم، وهو الذي يحكم تطور الحياة، وبه قيام الدولة وبناء الحاضر والمستقبل.

ولكن هذا الجهد التشريعي كله بات اليوم مطارداً بتهم الكفر والردة باعتباره تشريعاً وضعياً معانداً للقرآن ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون.

من المؤلم الاعتراف بأن هذا الفهم الحرفي لظاهر هذا النص تحديداً كان وراء عشرات الاشتباكات الأهلية في البلاد الإسلامية، والتي تسببت في دماء كثيرة وسجون مظلمة وانهيار دول بحالها، ابتداء من حركة إخوان من طاع الله في نجد وصولاً إلى الحركات الجهادية القائمة والنائمة في حواضر العالم الإسلامي اليوم.




والعجيب أن هذا النص نفســـه لم ينزل في وجوب تحكيم القرآن بل في وجوب تحكيم التوراة والإنجيل، وأنصح القارئ الكريم بقراءة هذه الآيات الكريمة المتتالية ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون/الظالمون/الفاســقون، في ســـورة المائدة 44 وســيجد أن الحديث عن التوراة والإنجيل، وهو يختتم بعبارة: وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله في ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون.

ولا شــك أن الإخوة الســلفيين يعلمون هذا ولكنهم تأولوا ظاهر الآية وقالوا ظاهرها منسوخ والحكم بما أنزل الله يعني الحكم بالقرآن والسنة وكل زيادة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

السؤال الثاني:

التنوير الأوربي نهض على قاعدة قوة العقل في فهم العالم، أي أنه ابتعد عن اعتماد النص اللاهوتي في ذلك.

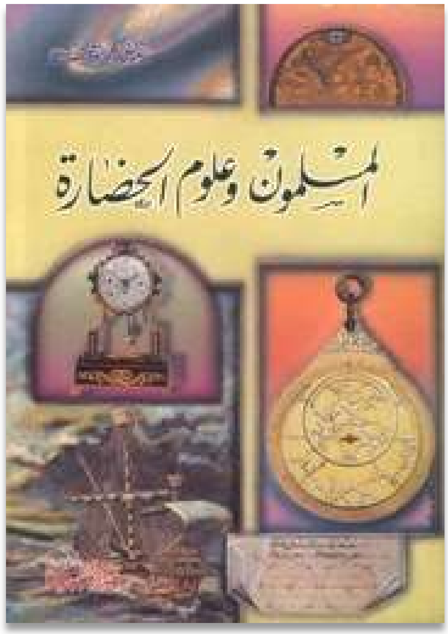
هل التنوير الإسلامي هو اجتهاد جديد على النص القرآني؟

وهل يمكننا القول إن التنوير الإسلامي هو نقد الفهم السائد للدين والذي تأسس في زمن الأئمة؟

هل التنوير الإسلامي محاولة لتجميل الفهم الديني على قاعدة نقد الفهم والاجتهاد السائدين؟

الاعتماد على قوة العقل هو الركن الأساسي في كل قيام، ولا شك أن هذا الاستحقاق كان وراء أول انقسام في المجتمع الإسلامي ، وظهرت على الفور الثنائيات المشهورة: أهل الرأي وأهل الحديث، النص والاجتهاد، النقل والعقل، التأويل والظاهر، المفوضة والمؤولة، الظاهرية والفقهاء، وكان الجدل كله يدور حول مكان العقل في التشريع، وكان التنوير دوماً يناضل من أجل مكان أكبر للعقل، وأجد من الواجب ان أشير إلى أن الفقه حقق انتصارات كثيرة ولعل أبرزها علم أصول الفقه الذي تجاوز القاعدة السلفية الشهيرة: الدين كتاب وسنة وما وراءه بدعة وضلال، قف على ما وقف عليه الأولون، فإنهم عن علم وقفوا، والدين ما كان فيه قال حدثنا ** وما سوى ذاك وسواس الشياطين!!

وقد استطاع علماء الأصول وضع قواعد للتشريع استناداً إلى العقل، وفي مرحلة لاحقة أصبحت هذه المصادر قسيمة للكتاب والسنة، وهي الاستحسان والاستصلاح والعرف والذرائع وغيرها، فهذه المصادر الشرعية قادرة على إنتاج الأحكام في التشريع، وهكذا كانت الدول التي نشأت في التاريخ الإسلامي وأسهمت في الحضارة الإنسانية كانت تجد نصوصها وقوانينها من خلال اجتهاد الفقهاء بهذه المصادر، وما كان يترتب عليها من انتصار للعقل على النقل.




إن الفهم الســـائد للدين والذي حرره الأئمة في القرون الأولى للإســـلام ليس خياراً سيئاً، وإن بدا اليوم كذلك، ولكن ظروف الزمان والمكان والعـــصـــر هي التي تقرر جدوى هذه الأحكام وإيجابيتها

من حقنا بالطبع أن نوجه النقد للماضي بكل اختياراته، ولكن ينبغي أن لا نقع في مطب النرجســـية وننصـــب أنفســـنا حكاماً على التاريخ، فمحاكمة التاريخ بأدوات الحاضر لا تنتج نقداً موضوعياً.

العبودية مثلاً نظام قبيح، وقد صـــار يعتبر اليوم نظاماً إجرامياً، وقد وقعت كل دول العالم بلا استثناء على اتفاقية منع الاتجار بالبشـــر، ولكن علينا أن نتذكر أن أمريكا على سبيل المثال خاضت حرباً أهلية ضارية في منتصف القرن التاسع عشـــر كادت أن تودي بوحدتها، حيث اصـــطفت ولايات الجنوب في مواجهة ولايات الشـــمال وكان العنوان الرئيس هو الدفاع عن العبودية، حيث كانت ولايات الجنوب ترفض بشـــدة تحرير العبيد، وكان العبيد هم كور الثورة ومادتها، ووقفوا يقاتلون الأفكار الشـــيطانية التي كانت تدعو لتحررهم وخلاصـــهم من العبودية والرق، لقد تشـــبع العبيد بحب العبودية، بعد أن أقنعهم أســـيادهم أن تحريرهم يعني أن يصـــبحوا بلا ســـيد ولا مأوى ولا معيل، وأنهم ســـيتحولون إلى هومليس في الشـــوارع، ومن أجل ذلك قاتلوا بضراوة للدفاع عن عبوديتهم في وجه الإرادات الشريرة لتحرير العبيد!!!

كان ذلك قبل قرن ونيف من الزمان في الأرض الأمريكية التي يفترض انها أكثر بلاد العالم استعداداً للتنوير والانفتاح والحريات.

بهذه المقارنة يتعين أن نعترف بأن تطبيق المعايير المعاصرة على حركة التاريخ لن ينتج قراءة موضوعية مستقلة.

بالنسبة لي ما قام به الأئمة كان جيداً، ولم يكن ديناً موازياً، ولكن تصنيم ما فعلوه في التاريخ، واعتباره إجماعاً يجب اتباعه ولا يجوز الخروج عليه، هو مقتل هذا الجهد الإصلاحي التشريعي الذي قدموه.

السؤال الثالث:

الدين الإسلامي يرتكز في جوهره على النصّ القرآني. والنصّ القرآني هو نصٌّ الله الثابت غير القابل للنقض. وهذا يعني منع العقل من نقده.

لقد أشرنا في السياق إلى ظاهرة الغلو في القرآن وهي الظاهرة التي أدت إلى منع أي نقد لنص الوحي، وحين بدأ الخليفة المأمون مشروعاً حيوياً لتطوير الإسلام تأسيساً على قاعدة خلق القرآن وارتباطه بحوادث معروفة في الزمان والمكان ظهر في مواجهة ذلك تيار متشدد رفض تحديد أي مناط للقرآن زمانياً أو مكانياً، واندفع الحنابلة للقول بقدم القرآن، والقول بسرمديته في الزمان والمكان، ومع أن هذه الفكرة خطيرة جداً على التوحيد لأنها تقول بتعدد القدماء، وقد رفضها العقلانيون بشدة في التاريخ الإسلامي ولكن الحنابلة في النهاية اعتبروها انتصاراً لكتاب الله، وأظهر الإمام أحمد بن حنبل صلابة شديدة في التمسك بهذا الرأي، وبعد سجن وتعذيب واضطهاد استمر أيام المأمون والمعتصم والواثق انتصر الخليفة المتوكل للحنابلة وفرض رؤيتهم في المذاهب الإسلامية.

إن مسألة خلق القرآن ليست مسألة هامشية أو عابرة، ومن التسطيح القول بأن الأمة الإسلامية سقطت ضحية خلاف لفظي لا أثر له، لقد كانت مسألة خلق القرآن فيصلاً صارماً بين تيارين، تيار يرى عبادة النص وتكريسه أزلياً سرمدياً، فهو

نص أزلي غير مخلوق، ويقتضـــي ذلك أنه عابر للزمان والمكان، وهو منتهى الغلو، ومقتضاه أن النص بظاهره صالح لكل زمان ومكان وإن علينا أن نقاتل بكل الوسائل لفرض دلالات الكتاب الظاهرة على كل المجتمعات في العالم

وتيار يرى أن النص مخلوق، وقد نزل بحوادث معروفة وأجاب على مسائل محددة، وأنه نص أدبي وتربوي كريم، ثابت في قضايا الأخلاق والتوحيد، ولكنه في المعاملات وســـائر شـــؤون الحياة محكوم بالوقائع، وهو نص محدود والأحداث بلا حدود، أو وفق عبارة الأصـــوليين النصـــوص متناهية والأحداث غير متناهية، وما يتناهى لا يضبط ما لا يتناهى.

كانت رســـالة المأمون هي تكريم القرآن كنص تاريخي مخلوق، وفتح المجال للعقل للاستنباط والاجتهاد فيما يتصل بالحياة في سائر شؤونها.

هل توافقون علمياً على اعتماد منطق العقل في نقد النص القرآني؟ أم أن هذا النصّ غير قابل للنقد باعتباره نصّاً من عند الله؟

هل التنوير الإسلامي فكرٌ يعمل على نقد ما بعد النص القرآني؟

تحمل كلمة النقد ذاكرة سيئة لدى المتلقي في مجتمعاتنا، لأنها ترتبط بالنقد الهدام، ولكن النقد البناء هو جزء من استكمال حيوية المشـــــروع وفعاليته، وأول ما يتمناه الكاتب أو المفكر أن تقوم دراســـات نقدية حول دراســـته، فالنقد اســـتكمال لروح الرسالة وإحياء لمقاصدها.

على كل حال لسـنا بحاجة إلى اسـتخدام مصـطلح نقد القرآن، ويمكننا الاكتفاء بما حرره الفقهاء المتقدمون في التعامل مع النص القرآني، حيث قرروا تقســـيمه إلى محكم ومتشـابه، ثم إلى ناسـخ ومنسـوخ، ثم إلى خاص وعام، ثم إلى مطلق ومقيد، وهي خطوات جريئة ومتقدمة تمنح العقل قدرة واضـــحة على إعمال النص وعلى التوقف فيه، إنهم لم يناقشـوا ثبوته وقداسـته ولكنهم ناقشـوا دلالته ومناطه، وهذا كان كافياً لبناء دول متطورة في زمان في عصـر متقدم، بل إن الحنفية كانوا أكثر جرأة فقسموا القرآن الكريم إلى قسمين:

الواضح وهو أربعة: المحكم والمفسر والنص والظاهر

وغير الواضح وهو أربعة: الخفي والمشكل والمجمل والمتشابه

ولو اننا استخدمنا اليوم وصف السادة الحنفية في آية قرآنية بأنها مشكلة او مبهمة أو خفية أو أنها من باب غير الواضح لاتهمنا في ديننا، مع أن هذه التصانيف كانت عادية وموضوعية في العصر الذهبي في الإسلام.

لقد تعامل الفقه الإسلامي بوعي متقدم حين تعرض لنصوص الوحي بواقعية وموضوعية، ونجح في تصنيف كثير من نصوص الكتاب في باب المجاز الذي لا يراد ظاهره، أو المؤول على خلاف ظاهر النص، وكذلك القول بالنسخ سواء النسخ بطريق الكتاب أو بطريق السنة أو بطريق الإجماع، كل هذه الوسائل العلمية باتت اليوم في دائرة التابو، ولا يمكنك التقدم بخطوة منها إلا بإسناد إلى السلف.

## كيف يمكننا عقلنة التنوير الإسلامي دون نقد الرؤية القرآنية للكون والحياة والمجتمعات البشرية؟

إن دعوات التنوير التي تطالب برفض آيات في القرآن هي دعوات غير واقعية وتؤدي أثراً ضاراً في الوعي الإسلامي، بل المطلوب هو وضع هذه الآيات في سياقها الزماني والمكاني، والدعوة لإعمال العقل في الحاضر والمستقبل.

في عبارة مهمة لأدونيس في كتابه موسيقى الحوت الأزرق أشار إلى أن التنوير الأوروبي لم يذهب إلى إصلاح الدين وإنما ذهب إلى إصلاح الدنيا، وفي الواقع فإن فلاسفة التنوير لم يقوموا أبداً بتحديد نصوص مقبولة ونصوص محذوفة من الكتاب المقدس، وإنما ذهبوا إلى وضع إطار لإعمال هذه النصوص، بحيث لا تكون حكماً سرمدياً على الحياة وإنما هدي إرشادي مرتبط بعصر. وزمان ومكان، قد يصلح في زمان ولا يصلح في آخر.

لقد قامت نصوص الكتاب المقدس وبشكل خاص نصوص العهد القديم بتبرير جرائم الحروب الصليبية، وكان الصليبيون القادمون بالأسنة والموت والنار يرتلون نصوص أشعيا كما يفعل نتنياهو اليوم، ويثيرون حفائظ الجند بترتيل الكتاب الذي يأمرهم بإبادة أعدائهم، وقد تمكن الكهنة بقيادة بطرس الناسك من إقناع الجمهور بأن إرادة الرب تفرض عليكم قتال المسلمين الكفار إلى النهاية، وقد استمرت هذه

الكوارث مائتي سنة ودمرت استقرار العالم وأشعلت الحرب بين الشرق والغرب، والشمال والجنوب إلى الأبد..

واليوم فإن نصوص الكتاب الذي أمر بالقتال الصليبي موجودة بنصها في العهد القديم لم يتغير حرف منها، ويرتلها الكهنة بخشوع وبكاء، ولكنها لم تعد تصنع إرهاباً ولا تطرفاً، ولم تعد تحشد جيوش الحروب الصليبية ضد الكفار، فما الذي تغير؟ إن التغير الحقيقي طرا على العقل الأوروبي ولس على الدين الأوروبي، لقد نجح الفلاسفة في إقناع الجمهور المسيحي أن الكتاب المقدس مخلوق، وأنه محكوم بظروف نزل فيها وأنه لا يمكن اعتباره حكماً صالحاً لكل زمان ومكان، وانتهى الجميع إلى قناعة واضحة بفصل الكنيسة عن السياسة، والتشريع بالأدوات الموضوعية للفقه والاجتهاد دون انحشار في قفص النص.

السؤال الرابع:

التنوير الأوربي نقد الفهم الديني المسيحي للحياة الاجتماعية.

هل مارس التنوير الإسلامي نقد الفهم الديني الإسلامي للحياة الاجتماعية؟

ما الموضوعات الرئيسية الاجتماعية التي تناولها التنوير الإسلامي بالنقد؟ وما الموضوعات الاجتماعية التي لم يقترب من نقدها هذا التنوير؟

حين اعلن نيتشة موت الله، كان يعبر بوضوح عن ثقافة عصره وفلاسفة عصره، ومع أن عبارته كان تهكماً بعقيدة الكاهن المهرج الذي يعبد المسيح وفي الوقت نفسه يؤمن بصلبه وموته، ولكنها اتخذت طابعاً أبعد، وهو وجوب الانتهاء من حكم النصوص التاريخية مهما كانت قداستها في الواقع الإنساني، وأن الرب الذي يؤسس لأخلاق ضعيفة مهزوزة تشتمل على الاستسلام والاستخذاء والضعف غير قادر على حماية نفسه، وقد وجد مصلوباً، وهو غير جدير أن يعبد وشريعته غير جديرة أن تتبع.

لقد كانت نيتشه يكرر ما كرره إبراهيم في قومه من قبل حين قال هذا ربي،، ثم قال لا أحب الآفلين، إن الإله الذي تغرب شمسه ويكون محكوماً بظروفه الخاصة لا

يجوز أن يمنح حق التصرف بأقدارنا ومستقبلنا ولا يجوز أن نفوضه بكتابة الشريعة التي نحتكم إليها.

لقد كان نيتشة واحداً من عشـــرات الفلاسـفة المؤثرين الذين عصـفوا بسـلطان الكنيسـة في الحياة التشـــريعية وأجبروا الكهنة أن ينسحبوا من سدة التشـــريع، ليتمكن الفقهاء والحقوقيون المتخصـــصـــون من كتابة قانون الحياة بقلم علماني بعيداً عن تأثيرات اللاهوت.

إن ما يجب التأكيد عليه هنا هو أن هذه الحركة الفعالة في التنوير قد تم إنجازها بالكامل في العصـــــر الإسـلامي الذهبي، وذلك على يد المتنورين من الفقهاء الذين عملوا في خدمة الدولة العباسـية والدولة المصـــرية والدولة العثمانية، وقد وجد هؤلاء السـبل الكافية لتحييد نصـوص كثيرة باتت لا تصـلح للتطبيق وذلك عبر قواعد أصـولية حيوية شرحناها في السـياق وكانت بالفعل قادرة على إنتاج فقه ملائك للعصر الذي كانوا فيه.

قناعتي أن ما طالب به فلاسـفة الأنوار هو ما حققه الفقهاء المسـتنيرون، حين وضـعوا قواعد أصـول الفقه وأقاموا الاسـتحسـان والعرف والذرائع مصـادر شرعية كاملة في مواجهة ظاهر النص، وهو ما يمكن أن يتكرر اليوم، ويحقق للمجتمع قوانين حيوية واقعية، ولكن تكمن المشكلة في أمرين اثنين:

الأول: أننا أصـبحنا في مكان آخر، وتقليدهم لن ينتج فقهاً حيوياً، بل النسـج على منوالهم وكتابة فقه جديد مختلف عما اختاروه، ولكننا للأسف لا نملك الجرأة التي كانوا يملكون، وقد تحولنا في قراءة فقههم الحيوي إلى منصـة الرواية دون أن يكون لنا قدرة الإبداع والابتكار.

الثاني: إن ما أنجزه فقهاء الإسلام الكبار في حقل مصادر الشـريعة قد رفضه رجال الدين الإسلامي، وهنا يتعين التفريق بين الفقيه وبين رجل الدين، فالفقيه هو البصير العارف، الذي اطلع على تجارب الأمم في الفقه والتشـريع، وعرف القانون المقارن، في الأمم المختلفة، وهو القادر على إنتاج الأحكام بنور النص ولكن ليس في قيوده، ويمكنك أن تجد هؤلاء الفقهاء في التاريخ وفي الحاضر في اللجان التشـــريعية الاختصـاصـية التي تشـكلها الدولة للوصـول إلى قوانين حيوية، وليس الفقهاء

بالضـــــرورة أكثر الناس صـلاة وصـياماً ولحى وجلابيات، بل هم أكثر الناس معرفة بالقنون المحلي والدولي والفرنسي والروسي

أما رجل الدين فهو الواعظ الذي يرتل الروايات ويقود الشـــعائر الدينية ولا يتجه فيها إلى أي ابتكار، وليس مطلوباً منه أصلاً أي ابتداع ولا جديد.

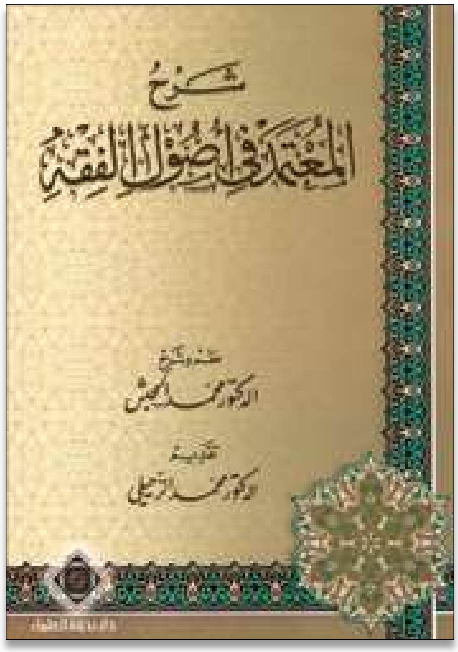
السؤال الخامس:

سبق وأن نهض الاجتهاد على تفسير النصّ الديني في السابق على مبدأ "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرســول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا"

التنوير الغربي رفض تدخل الدين في صـياغة العقد الاجتماعي. هل يسـتطيع التنوير الإســلامي رفض الاعتماد على النصّ القرآني في صــياغة العقد الاجتماعي للشــعوب الإسلامية؟

هل يمكن اشـــتقاق فهمٍ جديد لتجاوز مفهوم الطاعة كما ورد في نص الآية القرآنية المذكورة؟

لقد أشرت في كتابي المعتمد في أصــول الفقه إلى قاعدة غاية في الأهمية، وهي حق ولي الأمر ومســؤوليته في ترجيح الرأي الفقهي، فحين يقوم الفقهاء بتقديم فتاويهم وآرائهم حول أمر ما، وتصـــدر الفتاوى المتعددة، فإن رجال الدين اليوم يقومون بالترجيح بناء على قوة الســـند ودقة الرواية وعلم الرجال، ولكن هذه القاعدة التي اعتمدها المحدثون ليســت قاعدة الفقهاء التاريخية، هي قاعدة الرواية وليســت قاعدة الفقه، لقد أتاح الفقهاء لولي الأمر ترجيح الرأي الفقهي، واختياره وعند ذلك يصبح هو الراي الراجح الذي يجب العمل بما فيه.




وولي الأمر هنا ليس شخص السلطان، بل هو مؤسسات الدولة التشريعية من لجان تشريعية ووزارة عدل ومجلس شورى ومجلس نيابي وبرلماني، ووفق ذلك فاختيار ولي الأمر للمسألة يجعلها فقهياً أقوى الآراء، بغض النظر عن قوة سند الدليل ووهنه، وهو للأسف ما يعارضه الواعظون ورجال الدين، في حين أنه صورة التطبيق الحقيقي للشريعة في العصر الذهبي للإسلام.

هذا الوعي يمكن الوقوف عليه بسهولة في كل كتب التفاسير الأولى عند آية النساء: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فسائر المفسرين ذهبوا إلى أن أولي الأمر هم الدولة، ولكن هذا الوعي لا يستقيم في الدولة الفاشلة المستبدة، بل يستقيم في الدولة الحقيقية، أما الدولة التي يختصرها لويس الرابع عشر بقوله أنا الدولة والدولة أنا، فهي ليست المقصودة بكل تأكيد، وهذا تكريس للاستبداد والفردية، وقد كانت الآية واعية تماماً، فلم تقل بطاعة صاحب الأمر، ولا حتى ولي الأمر، وإنما بطاعة أولي الأمر، وهذا تعبير مؤسساتي جمعي ينطبق على فريق عمل منتظم وليس على إرادة فرد مستبد.

إن هذا الذي نطرحه هنا ليس اختراعاً نبتدعه، بل إنه ليس شيئاً اخترعته الحضارة الإسلامية بل هو منطق الأشياء، وهو جوهر مسؤولية الدولة الحديثة، التي تقوم بتنظيم القانون العام والقانون الخاص في كليات متخصصة، وتميز بين حقوق

الأفراد التي يمتلكونها باستقلال وبين الشأن العام الذي يفرض وجوباً تدخل الدولة وترجيحها وقرارها، وهو بالضبط المقصود بالآية الكريمة: أولي الأمر منكم.

ألا يعتبر تدخل المشــايخ الإســلاميين "رجال الدين" في توجيه الرأي العام في فهم الصراع الاجتماعي هو شكلٌ من إعادة إنتاج الطاعة لأولي الأمر بدلاً عن الحاكم؟

أليس هناك ضرورة لأن يكون الدين دين عبادات لله الواحد، وليس تيارات سياسية تريد فرض رؤيتها الشمولية على الحياة المتغيرة؟

لا يمكن منع الإسلام السياسي، الرسول كان إسلاماً سياسياً وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، والسياسة كانت حاضرة في مشروع الرسالة الأولى، ومن حق الإسلام السياسي أن يشارك في الحياة، ولكن من حق الآخرين أيضاً أن يمارسوا نقد موقفه ورؤيته.

أما الحديث عن دور رجال الدين فهو حديث مكرر، وعلينا أن نفهم دور رجال الدين في سياق صحيح، وقناعتي أنه يمكن بإرادة سياسية أن يكون رجال الدين عنصراً إيجابياً في حركة التطور، إذا نجح السياسي في دعم تيار مسؤول من الفقهاء الذين يمتلكون رؤية التجديد، وهذا من وجهة نظري قد تحقق بشكل مرض في تجربة الخليج العربي، حيث يقوم رجال الدين بدورهم بشكل فعال كمرشدين أخلاقيين وتربويين، بعيداً عن السياسة، فيما يتولى مجلس من الفقهاء المتنورين أمور التشريع في البلاد، ويقوم السياسيون باحترام ما أنجزه الفقهاء، وبالطبع فإن هذه التجربة أثبتت نجاحها في ظل الأنظمة الملكية، وربما يتعذر نسخ التجربة إلى الأنظمة الجمهورية ولكن يمكن استلهامها والبناء عليها.

السؤال السادس:

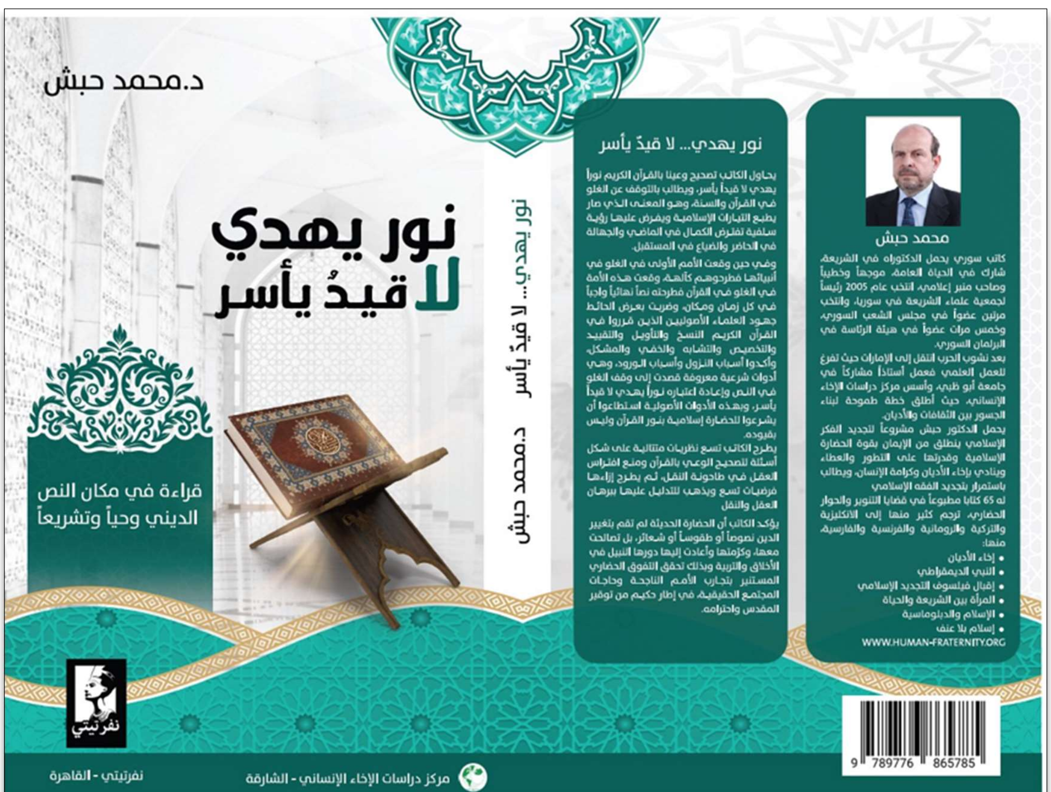
النص القرآني نصّ ثابت المعنى "إنا له لحافظون"، بينما حياة الإنسان الاجتماعية تخضع للتغيير والتطور باستمرار وهذا جزء من ناموس الحركة في الكون.

كيف يمكن قياس المتغيّر في الحياة على الثابت من النصّ القرآني؟

تخضـــع الحياة للتطور، وأقرب طريقـة للموت هي التوقف عن الحركة والتطور والتغير، وهذه قاعدة عقلية معروفة، وقد عبر عنها هرقليطس بوضـــوح يوم قال: إنك لن تســـتحم بماء النهر مرتين، ومع أن المفهوم القريب أن الماء يتغير، ولكن الحقيقة أن الإنســـان أيضـــاً يتغير بين يوم وآخر، بل إن قانون الطبيعة يتغير هو الثالث، مما يجعل كل حدث في الطبيعة إنجازاً كاملاً حرياً بالدراسة والاعتبار.

وفي التشـــريع الإسلامي فإن الرسول الكريم هو مؤسس الفكر المتنور، عبر مواقفه الكثيرة وطريقة تعامله مع النص القرآني تقوم على قاعدة نور يهدي لا قيد يأسر، وقيامه بشجاعة وحكمة بنسخ نحو عشـــرين آية من القرآن الكريم وثمانية وأربعين من السنة الشـريفة، والتحول إلى أحكام جديدة تناسب تطـــور العصر، على الرغـم من أن التحول الحضاري بين مكة والمدينة كان محدوداً وقصير الأجل.

وقد تم هذا التطور الكبير دون أن يســـيء الرسـول الكريم إلى قداسـة نص الوحي، ودون أن يأمر بإلغاء شيء منه وكان واضـــحاً في دعوة الأمة لترتيل هذه النصـــوص وتدبرها دون أن تذهب إلى الاحتكام إليها.



كما يمكن التماس هذا الجهد النبيل لدى أعلام الفكر الإسلامي في عصـــر السلف الأول وعلى رأســـهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وعائشـــة بنت أبي بكر ومعاوية بن أبي ســـفيان وعمرو بن العاص وســـكينة بنت الحســـين وعائشـــة بنت طلحة، ولو جمعت ما أثر عن هؤلاء الأعلام لكان مدهشـــاً لجهة احترامهم للنص المقدس وشجاعتهم في الاختيار لحياتهم الجديدة من هدي العقل وتجارب الأمم.

على أن تأصيل هذه المواقف التشريعية تم في القرن الثاني على يد الإمام الجليل أبي حنيفة النعمان الذي يعتبر مؤسس علم الفقه الإسلامي، حيث أطلق قدرة المسلم في الاستحسان بعنوانه الكبير: هو اجتهاد ينقدح في عقل المجتهـــد يعســـر التعبير عنه، أو هو ترك ظاهر النص والتزام مقاصـــده، أو بتعبير أشـــهر: ترك القياس والأخذ بما هو أوفق للناس.

أما تحرير الثابت والمتغير فهو قرار فقهاء الدولة في كل عصـــر، وفي كل مكان، وحتى لا نترك الســـؤال بدون جواب فإن الرســـول في تجربته الأولى لقيادة المجتمع كان واضحاً في أن مركز الشريعة هي الإنسان، وفي سبيل ذلك قام بنسخ أقدس الثوابت في الإسلام وهي القبلة مرتين، لا يوجد شيء أقدس في الإسلام من القبلة، ومع ذلك فإن الرســـول نســـخ التوجه إليها من الكعبة إلى القدس ثم من القدس غلى الكعبة، وقد أثار هذا النسخ غضب اليهود وسخطهم واستهزاءهم: سيقول الناس ما ولاهم عن قبلته التي كانوا عليها، ولكن الرســـول أراد بوضـــوح أن يقول إن الثابت هو مصلحة الناس وحاجاتهم ، الإنسان هو الثابت وما سواه متغير، والثابت الوحيد في هذا العالم هو قانون التغيير.

ألیس الفكر الإسلامي السائد منذ زمن الائمة هو نتاج مرحلة اتسمت بدرجة تطور في حينها؟

كيف نسلّم بصحة هذا الفكر بعد تطورات مذهلة شهدها العلم والفكر النقدي ونقد المجتمعات وبنى الدولة والسلطة؟

بكل تأكيد ، لقد نشأ علم أصول الفقه في عصـــر نهضة حضارية، ولولا أن التطور كان سـمة التشـــريع لم يكن للفقه أن يستجيب لحاجات الدولة والمجتمع التي تتطور باستمرار، وفي السياق إياه كان المعتزلة يفســـرون هذا الموقف العقلاني ويكتبون بوفرة حول وجوب الثقة بالعقل في اختياراته، وتطوير الاســـتدلال به

للوصول إلى العقل الجماعي التشـــريعي (البرلمان)، وقد أخذ بهذه المناهج عدد من الخلفاء المتنورين وعلى رأسـهم الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز والرشـيد والمأمون والمعتصم، وكانوا يرسمون أسس الدولة الحديثة وفق نور العقل وتجارب الأمم مع الاحترام المطلق لنصوص الكتاب العزيز والسنة المشرفة.

وفيما بعد تم تأصيل هذا المنهج بلغة فلسـفية محكمة عبر فلاسـفة الإسلام الكبار وبشـكل خاص ابن سـينا والفارابي وإخوان الصـفا والبيروني وابن رشـد في السـياق الأبستمولوجي والجمع بين نور الوحي ونور العقل، فيما قام الفقهاء بتقرير المسائل أصولاً وفروعاً في السياق الحقوقي، واستطاعوا أن يعدوا نظامـــــاً متكاملاً لتطوير الشريعـــة والجمع بين الدليل النقلي والدليل العقلي، عبر ما أسموه مصادر التشريـع الإسـلامي وقد بلغت عشـــــرة مصـادر، منها ثلاثة تلتزم النص مباشرة أو تبعاً وهي الكتاب والســنة والقياس، فيما تتحرك ســبعة مصــادر أخرى في إطار العقل وهي الإجماع والاستحسان والاستصلاح والاستصحاب والعرف والذرائع والمقاصد.

وقد بت مقتنعاً أننا نمتلك منهاجاً حقيقياً لتطوير الإسـلام يفترض أنه حظي تاريخياً ولا يزال يحظى بتأييد تيار عريض من الخلفاء والفقهاء والفلاسـفة، فيما يرفض هذا التوجه بشـــدة معظم رجال الدين ومعهم بالطبع جمهور آخر كبير يلتزم منطق ما وجدنا عليه آباءنا، ويرى في رجال الدين ورثة للأنبياء، ويعتبر ما اختاره الفقهاء والفلاســفة من تطوير الإســلام ليس إلا تجاوزاً للثوابت، وأن المطلوب منهم ليس بيان برهانهم وحججهم بل التوبة والعودة إلى ما كان عليه السلف من رجال الدين، وتحديد مصـادر الشريـعة بمصـدرين اثنين فقط هما الكتاب والسـنة، والتشـكيك بالمصـــادر الأخرى باعتبارها عبثاً بالثوابت، وأن الأفق العقلي المأذون به هو فقط تفســير النص الديني والاجتهاد فيه وذلك وفق قواعد وشروط معقدة تمنع التفكير خارج الصندوق وتوجب على المجتهد اتباع منهاجية صارمة تمنع الاحتهاد في مورد النص وتلزمه التفكير والاجتهاد وفق ما أنجزه الأولون، ويحصر مقاصـد الشريـعة والاستنباط منها بالقدر الذي أنجزه الأولون والرواية عنهم لا غير، وتكاد تنحصـــر فرصــة الاجتهاد عند هؤلاء على المســائل المســتجدة والقياس على ما ســبق من مسائل.

وبعيداً عن العبادات والغيب التي يلتزم فيها المؤمن نص الكتاب والسـنة، فإن كاتب هذه السـطور يعتقد أن الفقه الإسـلامي في المعاملات يتطور باسـتمرار، وإن الفقهاء والخبراء سواء كانوا من أئمـة الشريعـــة أو أهل الاختصاص من القانونيين وعلماء

الاجتماع الذين تختارهم الدولة لتنظيم القطاعات الحيوية في المجتمع والتجارة والصـناعة والسـياحة والنقل والدفاع يقومون بدور كبير وحقيقي في تطوير الفقه الإسلامي، والاستجابة لتحديات العصر الجديد، وتقديم البدائل الحقيقية للتشريع السعيد، ويمكن القول إن الدساتير الحالية في 53 دولة إسلامية من أصل 57 دولة هي دسـاتير متطورة وتحكم بالعقل والمنطق والبرهان، وهي التطور المثالي للفقه الإسلامي في إطار المعاملات، وأن ما يلزمنا هو إقناع الجيل بتكامل الشرع والقانون وليس بإعلان الصراع المستمر بين الشرع والقانون كما يطالب كثير من رجال الدين.

ويجب القول أن ما نطالب به من رؤية متجددة للفقه الإسلامي قد بات اليوم أيضاً واضحاً وظاهراً في معظم التوجهات السياسية للقادة العرب والمسلمين، ولن تواجه هذه الأفكار صـداماً ذا بال مع معظم الحكومات العربية والإسـلامية، التي باتت تقدم في الجملة خطابا إسـلامياً متسـامحاً واقعياً، وتتجنب فتاوى التشـدد والاسـتعلاء، وتفسـح المجال للخطاب التنويري بقدر ما يتناسـب مع مصـالحها، وبات من الواقعي أن نعول على الخطاب الرسـمي للحكومات العربية والإسـلامية في كل قضـايا التنوير مع التحفظ الشـديد بالطبع على ما تمارسـه تلك الأنظمة من سلوكيات باطشة لخدمة الاستبداد يتناقض بالكلية مع شعاراتها وبرامجها.

**أليس المطلوب في زمننا الحالي كفّ تدخّل المشايخ الإسلاميين في فهم الصـراع الاجتماعي على قاعدة تنويرية ملموسـة ترفض هذا التدخل انطلاقاً من منهج علمي صارم منفتح على التطور؟**

كف المشايخ عن التدخل في السياسة ، ومنع الإسلام السياسي هو ظاهرة قمع، ولا يمكن تبريرهـا، ويجـب أن نعلم أن حضـور الـدين في حيـاة المجتمع أكبر ممـا يتصـورون، فالدين أقوى غرائز المجتمع، ولا تزال هذه الأمم الشـرقية تقاد من معابدها، وعلينا أن نرشد هذا الوعي بدل أن نحاربه ونقاتله.

قبل أشهر تابعت رئيس الوزراء الهندي ناريندرا مودي وهو يفتتح معبداً هندوسياً، لقد جرت العادة أن يقوم السياسيون بافتتاح المعابد في إطار بروتوكولي لا يزيد عن دقائق معدودة يتلوه كلمة احتفالية على سـبيل المجاملة واحترام التنوع، ولكن الزعيم الهندي مودي أمضـى ثلاث ساعات في المعبد وهو يؤدي طقوس العبادة الهندوسية ولم يترك صنماً إلا قبّله ومسح بدمع عينيه وجثا على ركبتيه!!!

وبعد أيام عرض التلفزيون الهندي فعالية أخرى لرئيس الوزراء الهندي يشـــارك في صلاة في معبد هندوسي في قاع البحر! حيث ارتدى ثياب الغطاس وأمضـــى نهاره يسبح ويهلل لآلهة عجيبة غامضة تعيش في قاع البحر!!

الهندوســية أكثر الديانات رسـوخاً في الخرافة والميتافيزيق، وفيها رصـيد من الآلهة يشمل ملوكاً وأمراء ومحاربين وفاتكين وحيوانات وحشـــرات تبلغ نحو 300 مليون إله!!! ولا أظن أن مودي يجهل هذه التناقضـــات، ولكنه زعيم ســـياسي لأمة تبلغ مليار وأربعمائة مليون ، ويعلم جيداً أن ســلوكاً كهذا هو ما يفرح به المليار هندوسي وهو ما يضمن له محبة جمهوره وانتخابهم له...

نكون ســطحيين إذا تصـورنا أن الديانات بما فيها من خرافات وأســاطير قد فقدت تأثيرها على الناس، وإذا كانت مراكز الأبحاث الأســاســية في العالم كمركز بيو ومركز أردا في جامعة بنســـلفانيا تتفق على أن 87% من ســـكان الكوكب لا يزالون ينتمون لدين ما، على الرغم من عدم التزامهم بتعاليمه، فإنني أسـتطيع الجزم بأن 50% من سكان الكوكب ما زالوا يقادون من معابدهم.

## أليس تدخل المشـايخ الإسـلاميين في تشـكيل الوعي الاجتماعي هو شـكلٌ من إعادة إنتاج مربع تبعية العقل الإنساني لمفهومٍ مزيّن بلغة دينية؟

هناك طريقتان واضـحتان للتعامل مع الدين في الشـأن السـياسي، الطريقة الفرنسـية والطريقة البريطانية، ولعل خطيب الثورة الفرنســية ميرابو قد منحنا تفصـيلاً كاملاً لرؤية العلمانية الفرنسـية في إبان غليان الثورة حين قال: سـنشـنق آخر ملك بأمعاء آخر قســيس، وكانت النتيجة في الواقع دموية وإرهابية وانجلت صـــفحة الثورة الفرنســية فوراً عن عصــــــر الإرهاب الذي قاده روبســبير وهو أبرز زعماء الثورة الفرنسية، وكان من أكثر عصور التاريخ توحشاً وإجراماً، حيث قامت مقصلة باريس بفصل سبعة عشـــر ألف رأس من نخبة المجتمع الفرنســـي ولم تتوقف طاحونة الموت إلا عندما سـيق إليها رأس روبسـبير نفسـه، ثم تلى ذلك مباشرة العصـــــر النابليوني الذي شـهد الحرب العالمية الصفر والتي لا تقل في ضراوتها وبشاعتها عن الحرب العالمية الأولى والثانية، وأعقبها عصر الاستعمار الفرنسي وهو أكفر عصور التاريخ بالحرية الإنســـانية وحقوق الإنســـان وخاصـــة في الجزائر، ورغم ذلك كله بقيت الملكية ثمانين عاماً إضافياً، فيما بقي رجل الدين إلى يومنا هذا.

أرجو أنني لا أتجنى على الثورة الفرنسـية التي تعودنا أن نسـميها ثورة الحريات وحقوق الإنسـان والمسـاواة، ولكنها في الواقع كانت كما رويناها وهذه حقائق اتفاقية، وأجد نفسي مختلفاً تماماً في تقويم الثورة الفرنسية العنيفة، ولا أكاد أحترم منها إلا شعاراتها وفلاسفتها الذين كتبوا شيئا مضيئاً ومجيداً، ولكن التدبير السياسي الذي كان يقدس تلك الكتابات تصرف بطريقة ستالينية ماحقة حتى نفض التاريخ كتفيه بعد مائتي عام، وخرجت فرنسـا من الحرب العالمية الثانية وتم ظهور الأمم المتحدة وانتهى الاسـتعمار الفرنسـي وتحولت فرنسـا إلى دولة حديثة يحكمها دسـتور الحريات كما تمناه فلاسـفة عصر الأنوار، على الرغم من وجود ممارسـات تمييزية مخجلة لا تليق بقيم ثورة الإنسان والحريات.

أما الطريقة الثانية فهي الطريقة البريطانية، وفيها يقوم الدين والملك بدور إيجابي في الدولة، ويمثلان بشـكل متواز القيم البريطانية التاريخية، بعد أن اقتنع الطرفان بوقف مباشرة السـياسـية اليومية، والاكتفاء بالدور الأخلاقي والقيمي، وقد احتفظ الدسـتور البريطاني للملك نفسـه بصـفة الرئيس الأعلى للكنيسـة الإنجليكانية، ولا يزال الملك والقسـيس يؤديان دوراً مهماً في الحياة ولكنه أبعد ما يكون عن التدخل المباشر في السياسة وبذلك فإن الديمقراطيات تزدهر في نظام يحقق تداول السلطة دون دماء، حتى الدول التي كانت تحت التاج البريطاني فإنها تنتظم اليوم في منظمة الكومنولث ضمن تعاون دولي فعال، يميل بوداد وشغف إلى دور الدين ودور الملك الشـرفي، وقد أصبح من المأسسة بحيث تختاره شعوب الكومنولث بحبور، ولو سـئلت تلك الشـعوب لاختارت البقاء في الكومنولث بعد أن تم تنظيم دور الدين والملك بشـكل مؤسـسـاتي، بحيث يقدمان خدمة للمجتمع ولا يعيقان الحياة السياسية.

وفي خطاب الملك تشـارلز لتولي العرش البريطاني أقسـم الرجل بوضـوح أن يبقى خادماً وفياً للكنيسـة البروتسـتنتية الاسـكتلندية ولقيمها الروحية والدينية، وسـمع العالم كله يمين القسـم، وفيه: "أنا ، تشـارلز، أقف بإخلاص وبصـدق أمام الله، وأشهد وأعلن أنني بروتستانتي مخلص، وأنني وفقًا للقصد الحقيقي للتشـريعات التي تضمن الخلافة البروتسـتانتية على العرش، سـوف أؤيد وأحافظ على التشـريعات المذكورة بأفضل ما في وسعي وفقًا للقانون"، ولم يخطر في بال أحد أن هذا التمسك بالقيم الدينية قد يقود إلى إتناح مجتمع داعشـي سيفرض إرادة الرب على العالم بسطوة السلاح.

نعم إنني أفضل التحول البريطاني إلى الدولة الحديثة، وأعتقد أنه الأنسب لمجتمعاتنا، ولا أجد أي جدوى من الحرب على الإسلام السياسي بطريق القمع، ولكن أنا مع ترسيخ الديمقراطية، وتعزيز فرص الجميع، وسينتخب الناس من هو أكثر قدرة على إسعادهم.




السؤال السابع:

التنويريون الإسلاميون الذين برزوا في القرن العشرين هم مارسوا التنوير بعيداً عن نقد النص القرآني عقلياً.

قامت حركة التنوير في مصر على يد الشيخ محمد عبده وجمال الدين ألأفغاني بدور أساسي في اليقظة، وقد جرت الأقلام بتسمية هذا التوجه بالإصلاح الديني، وقد اتجهت الحركة بالفعل إلى الإصلاح تحت ظل النص وفي إطار احترامه وتكريمه، ولكنها اختارت النضال في التأويل، وقد مارست تأويلاً مختلفاً للقرآن الكريم، ولكنها

ركزت على تحقيق الإصلاح في الناس وليس في النصوص، وقناعتي أن هذا التوجه كان أكثر ملاءمة للواقع المصري وقد حقق احترام الناس على الرغم من العداوة الظاهرة التي برزت بين الأزهر وبين مدرسة الإصلاح الديني، ولكن الأزهر في النهاية سلم بضرورة هذا الإصلاح وجدواه، واختار قاعة كبرى في حرم الأزهر أطلق عليها اسم قاعوة الإمام محمد عبده في تقدير واضح للدور الإصلاحي، وقناعتي أن الشيخ محمد عبده يمتاز عن سائر المصلحين بأنه مارس الإصلاح الديني وظل قوياً في بيئته ومحترماً لدى جزء كبير من المجتمع المصري، ومن المؤلم أن أعترف لك أن في تراث الشيخ محمد عبده كثيراً من التنوير، وفيه أيضاً فتاوى ظلام وجدت نفسه مضطراً لمجاراة المجتمع فيها حرصاً ألا يفقد جمهوره، وهي لا تعكس رؤيته التنويرية والتجديدية

هل برأيكم يمكن للتنوير الإسلامي أن يشتغل على نصف القضايا "واقع حال الأمة" ويهمل نقد الأساس الذي ترتكز عليه هذه القضايا "العقل الديني؟

يواجة العقل المسلم في هذه الأيام الصاخبة صرخات متناقضة، تدور بين تقديس كل شيء ورفض كل شيء، بين الانتماء للتاريخ الإسلامي واعتبار هدي السلف خير هدي القرون، ودعوة البشرية إلى العودة لهدي السلف، وبين تيارات أخرى ترى أن التراث الإسلامي برمته صار عبئاً على الحياة والتطور وسبباً للقطيعة مع العالم وأنه لا خلاص لهذه الأمة إلا بنبذ الماضي كله واعتباره كذبة ضارة حالت بين هذه الأمة وبين لحاقها بالأمم.

ولا شك أن هذه الصورة غاية في الوضح لكل متابع، ولن تنفعنا المجاملة في شيء فقد فضَحَنا عالم التواصل الاجتماعي وكشفت لنا المنابر المفتوحة على مواقع التواصل كلاً من التيارين الساخطين وقد توفر لكل منهما جماهير مليونية غاضبة لا سبيل لإنكارها إلا بقدر كبير من التعسف والمكابرة، وقد بات من المؤكد أن الأصوات الأكثر صراخاً وتعصباً في الجانبين هي من يحصد الجماهير الهادرة فيما يتخافت صوت الاعتدال والمنطق حتى يكون نادياً نخبوياً يكتب بحذر ومداراة على حروف المعاني ثم ينصرف مذعوراً من ضعف الحيلة وقلة النصير.

وفي السنوات الأخيرة تفجر الصراع الدموي المؤلم في بلاد الشام والعراق ومصر وليبيا واليمن، وكان من تداعياته ما تكرس من انقسام مجتمعي خطير، بين الرؤية

الإسـلامية والرؤية العلمانية، وبات الانقسـام بين الجانبين مريراً وقاسـياً، تتناوله الريب الصـارمة، وتحولت الخصـومة إلى عداء والاختلاف إلى صراع والاتهام إلى اغتيال، ولا زال المشـهد يشي بمزيد من الرعب والتشـاؤم، وبدا أن البلاد العربية تشهد تماماً العصـر الأوروبي في انتقاله من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، وبات المشـاركون في معمعة الخصـام لا يبالون أن يأخذوا بلادهم إلى مواجهات فاصلة على مستوى بارتلميو وحرب الثلاثين عاماً في سبيل انتصار ما يراه كل فريق الحق الذي لا مرية فيه.

ألا تعتقدون أن الاجتهاد في التنوير الإسـلامي على علاقة بمسـتوى تطور وعي الناس بمفهوم الدين خارج مفهوم التسليم؟

ألا ترون أن عبادة الله الواحد الأحد لا تعني أن يعتمد القرآن وكأنه نصّ فكري عقدي اجتماعي؟ بل أن عبادة الله هي علاقة الانسان بربه؟

القرآن نص أدبي وتربوي، ولذلك فهو حمّال أوجه ويحتمل تأويلات كثيرة وهو ليس كتاباً حقوقياً قانونياً صـارماً بحيث يكون له تأويل واحد، وفيه المترادفات، وفيه المجاز، وفيه آيات محكمات هن أم الكتاب وفيه آيات متشـابهات لا يعلم تأويلها إلا الله، وهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً.

أما النظر إليه على أنه نص قانوني وكتاب حقوقي يفصل كل الأحكام فهو موقف غلو ومبالغة، فليس في القرآن الكريم تفاصيل وافية عن إدارة الحياة والمجتمع، بل فيه إشـارات ملهمة، لا يتكون منها نظام كافٍ للحياة، وبالتالي فإنّ هذه النصـوص هي نور يهدي وليس قيداً يأسر، وأما إدارة المجتمع والتنمية فقد حكم عليها الرسـول الكريم بقوله "أنتم أعلم بأمور دنياكم" والأمة ببرلماناتها ومجالس التشـريع فيها تسترشد بنور القرآن ولكنها تحتكم إلى مصالح الناس وقواعد العقد الاجتماعي.

وإذا كانت المسيحية قد غالت في المسيح وهو روح الله ورسوله، فإن المسلمين قد غالوا في القرآن وهو وحي الله وكلامه، ونعتقد أن الغلو في القرآن هو أحد أشـكال الغلو التي نهت عنها الآية الكريمة: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق.

والقرآن نص مقدس ولكنه محكوم بالزمان والمكان، ويقابله الإنسان المقدس بما نفخ فيه من روح الله، والوحي والروح عطاءان إلهيان، والقرآن يبعث في الإنسان إرادة الاجتهاد والبحث والنظر، والإنسان يبعث في سطور القرآن الأمل والحياة، فيكتمل الوحي والروح، والتنزيل والإنسان.

السؤال الثامن:

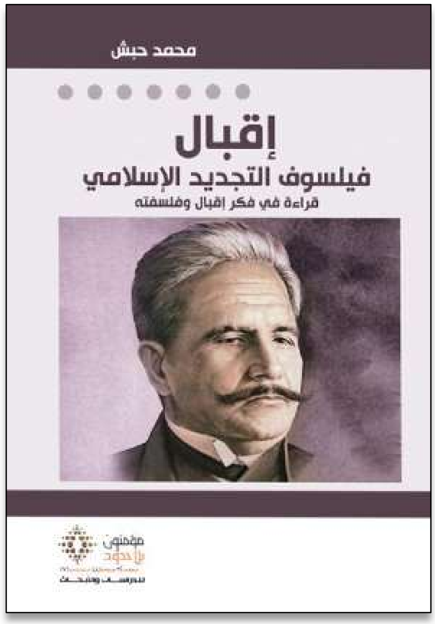
التحرر من أسر العقل التوكلي السلبي يحتاج إلى ضخّ فكري وعلمي واسعين، إضافة إلى المطالبة بإدخال الفكر التنوير بصورته العامة ضمن مناهج المدارس بشتى مراحلها.

لو طلب منكم وضع خارطة طريق لنشر التنوير الإسلامي. هل يمكنكم وضع برنامجٍ متدرج لنشر الفكر التنويري؟

ما أهم القضايا المعاصرة التي تحتاج إلى التنوير في مرحلتنا؟

هل توافقون على بناء أذرع مادية للتنوير الإسلامي أم ترون أن التنوير بناء فكري عقلي لا يحتاج إلى بناء مؤسسة خاصة به؟

لعل أفضل من واجه العقل الاتكالي والتفويض للاقدار هو العلامة محمد إقبال الفيلسوف والشاعر الإسلامي الأشهر، فقد وقف بوضوح ينكر عقيدة القدر، حيث كانت هذه العقيدة تدفع المسلمين في الهند إلى الرضا بالواقع المهين الذي كان يواجههم والقعود عن التصرف والمواجهة ، وقد نشرت كتابي إقبال فيلسوف التجديد الإسلامي الذي شرحت فيه بالتفصيل دور إقبال في نهضة المسلمين في الهند ومعالجته لأخطر أمراضهم التي كانت تروجها المدارس الدينية التقليدية الخاوية من أي وعي بالمستقبل والمسجونة في قيود الغابرين.




كتب إقبال نصوصاً كثيرة تعكس رأياً مختلفاً تماماً في القدر، وبالتأكيد فإنه لم يكن ليقبل أبداً الفهم السائد للقدر بأنه ذلك الكتاب الحتم الذي ألغى إرادة الإنسان وأحاله إلى محض آلة بكماء تقع عليه فيها نوازل القدر، ويرش فيها على الموت السكر، ويرضى ببؤس الأقدار مستسلماً بالعبودية والخضوع....

وفي مواجهة مباشرة مع الفهم التقليدي للقدر بأنه الخضوع لإرادة الدهر كتب إقبال عبارات ثورية مباشرة فقال: إنه من المخجل أن يكون القدر جزءاً من العقيدة!! إنه شيء اخترعه الأمويون لتأمين خضوع الناس لإرادتهم![5]

لا شك أن تعبيرات إقبال في مسألة القدر لا تتسق على الإطلاق مع الفهم الأشعري التقليدي في الاعتقاد، ومن الواضح أنها تبدو ردة صارخة، أو انقلاباً معتزلياً على أقل تقدير، تذكرك بالمفكرين العقلانيين الذين يرون أن الأقدار تكتب بعد وقوعها، مستدلين بالنصوص القرآنية: ونكتب ما قدموا وآثارهم (سورة يس 12)، ستكتب شهادتهم ويسألون (سورة الزخرف 19 )، كلا سنكتب ما يقول وياتينا فرداً (سورة مريم 79)، سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق (سورة آل عمران 181 )

وقد قارب إقبال في شعره موقف الفلسفة السينائية والفارابية التي التزمت دليل وجود الخالق ولكنها أنكرت دليل العناية، واعتبرت الإنسان في هذا العالم سيد

[5] إقبال، محمد ، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 132

قدره، وأن الله خلق الكون وأحكم سننه، وشاء أن تتولى هذه السنن إدارة العالم، دون أن يكون فيها مكان للخوارق أو الامتيازات.

ولكن إقبال لم يكن يخوض حواراته على نسق جدل اللاهوت العقيم هذا، لقد كان يعالج مسألة القدر في نضال الإنسان وقيامه، وتحديه للطبيعة من حوله، وصناعته أقداره بيده، وهو أفق آخر في الجدل لا يشبه في شيء جدل اللاهوت العقيم..

ويمكن القول أن إقبال تجاوز ابن سينا بأشواط كثيرة، حيث انتهى من جدل الخلق والعناية، وانطلق مباشرة إلى فقه الشراكة والتكامل، حيث لا يكون الإنسان شيئاً من أشياء الله، بل سراً من أسراره، وقدراً من أقداره، وسيداً في مملكته، وفي بيام مشرق كتب قصيدته الجريئة كما ترجمها عبد الوهاب عزام:

أنت خلقت الليل... وأنا صنعت المصباح

أنت خلقت الطين... وأنا صنعت الأقداح

أنت خلقت الغابة والجبل والصحراء ..

وأنا صنعت الرواق والبستان والكرم

أنت خلقت الحجر وأنا صنعت منه المرآة

أنت خلقت السم وأنا استخرجت منه الترياق..

لم أعد أنتظر أن تقد لي السماء أقداري على نسق مرادها وقرارها، وفق مواعيد الخلق المرتبة من الذرة إلى المجرة، لقد أصبحت سيد قدري، وأنا من ينتقي من لوحة الخلق ما أحقق به ذاتي، ويجعلي أهلاً لتسجد لي الملائكة وتسخير الأكوان.

لقد أعاد كتابة الإنسان بلغة لا وجود لها في تراثنا الفقهي، وبدلاً من لغة الفقهاء التي كانوا يصدرون بها كتبهم بصيغة العبد الفقير، والضعيف والعاجز، نادى إقبال مثاله بوصف مختلف: الإنسان الحر، الجسور، المتمرد، القلندر، الإنسان المتجرد، وهو شائع في كتاباته وشعره، وحين يريد أن يشير إلى النزعة العرفانية فيه كان يسميه بالدرويش، ولكنه يصر أيضاً أنه درويش لا يأبه لصارم ومهند، ولا يرهبه زحف ولا جيش.

ذهب الدراويش الذين عهدتهم    لا يأبهون لصارم ومهند

وبقيت في كنف يتـــاجر شيخه بوشاح فاطمة ومصحف أحمد

أما وضـع خارطة لنهوض التنوير فلا أعتقد أن أحداً يسـعه فعل ذلك، التنوير جهد متفاعل، ينهض به رجال متميزون، لا يتخرجون من مدرسة محددة، ولكن يستيقظ في جوانحهم رسالة لإنقاذ لأمة غارقة في الشتات والهوان، فيبحثون عن سبل القيام والنهضة، ويكتشف بعضهم بعضاً ويعملون على توحيد صفوفهم.

إن علينا أن نوفر البيئة الحقيقية للفكر والتنوير ولكن قرار الناس في دخول هـذه المواجهة هو شأن يعنيهم، وربما نفشل في الإحساس بمواجع الجيل الجديد فيبدو تنويرنا في غير معنى، وينصرـف عنا الجيل الجـديـد، وربمـا نلامس حـاجـاتهم فسيبادرون متتابعين لدعم رسالة التنوير.

هي مســـألة تفاعل تاريخي ديالكتيكي، فالعـالم كله ليس حقيقة قارة، بل جدل متلاطم.

السؤال التاسع:

علمنا أن مؤسسة تدعى "تكوين" تمّ إنشاؤها في مصر.. ما أهداف هذه المؤسسة؟ ومن يقف خلف تمويل ابحاثها؟ هل الحكومة المصـــرية هي من دفع إلى إنشائها ليواجهوا بها تنظيم الإسلام السياسي المصري " الإخوان المسلمين"؟

هل تتوقعون بإمكانية إنشاء مؤسسة أبحاث تنويرية في سورية؟ وهل تؤيدون هذه الفكرة؟

مؤسسة تكوين هي واحدة من عشـــرات المؤسسات التي تقوم في العالم العربي بهدف مواجهة الثقافة السائدة وتقديم قراءات جديدة، وقد اثارت هذه المؤسسة جدلاً كبيرة بسبب طبيعة بعض المؤسسين وحضورهم الإعلامي الكبير، ولكنني لا أعتقد أنها أهم مؤسسات الفكر الجديد، فهناك دور نشـــر أصدرت مئات العناوين وكلها في إطار التنوير وتخصصت في نشـــر فلسفة تجديدة مخالفة للوعي السائد، ولو شئت لعددت عشرات من مراكز الأبحاث ودور النشر الجادة التي تقوم بهذا.

أما أن هذه المؤسسة ممولة حكومياً، فلست في موقع يسمح لي بإصدار الأحكام، ولكنني لا أرى في توجه المؤسسة لإطلاق رسالتها أي خطأ في البحث عن التمويل، والتمويل الذي يتم الغمز والهمز به من قبل الساخطين ليس بالضرورة شأناً سلبياً، بل هو تكامل مصالح، وهو مسؤولية الدولة في حماية التنوع، فالبرامج التقليدية كلها مدعومة من الدولة، والدولة في مصر تنفق على مئات الآلاف من المساجد وعلى الأئمة والخطباء والأزهر وهذا واجبها، وكذلك فإن حماية التنوع هو واجب الحكومات أيضاً.

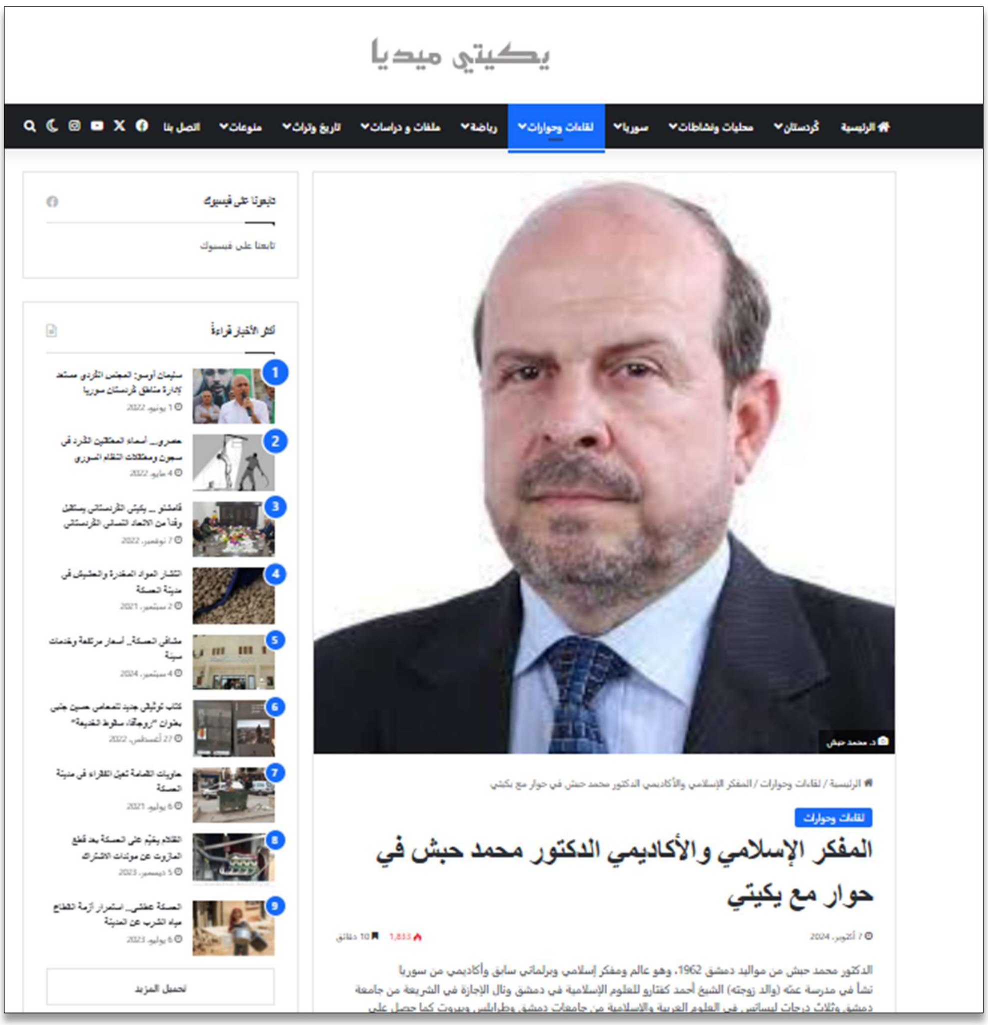
وحتى التمويل الخارجي فهو أمر طبيعي أيضاً ومراكز الدراسات تتنافس دوماً في اقتراح برامج حيوية وفعالة تستهدف المشاريع الاستراتيجية للدول وتحصل على التمويل وهذا كله يكون علنياً ومكشوفاً، بل إن الأنظمة الديمقراطية باتت تنص في قوانينها على وجوب الإعلان بأن هذا المشروع ممول، ومن حق الناس أن تعرف ذلك، ولا يوجد في ذلك أي خطا قانوني أو حقوقي، وعادة ما تقوم الدول الغربية بتمويل مشاريع ثقافية وبحثية ويتم ذلك بشكل علني وواضح الأهداف، كتعزيز الديمقراطيات والحريات وحقوق الإنسان، وتقوم بمتابعته ومراقبته هيئات حكومية محاسبية تخضع لمتابعة دقيقة من الحكومة والمعارضة على السواء.

أما الفكرة الموهومة في ان جهات ما تملك الملايين وتريد ان تنفقها لنشر أفكار شاذة أو غريبة وفق ما نقرؤه في بروتوكولات حكماء صهيون المزعومة إذا أردت أن تدمر بلداً... وإذا أردت نشر فساد في مجتمع، وإذا أردت إبادة الأخلاق والأديان، فهذه من وجهة نظري أوهام، لا وجود حقيقي لها، وإن ظهرت في نطاق محدود فهو خليط بين الوهم وبين الرعاب المتبادل من الآخر.

لا أعلم تفاصيل قيام مؤسسة تكوين ولا نظامها الداخلي، ولم يسبق لي تعامل معها، ولكنني لا أحتاج لافتراض الأسرار فيها ، بل إنني أعتقد اننا بحاجة إلى ألف تكوين لنصحو من غبار القرون.

## الحوار السادس: صحيفة يكتي الكردية

حوار مع صحيفة يكتي الكردية 2 أكتوبر 2024



سؤال

التنوير مصطلح إشكالي فيصفه البعض بأنه آفة العصـر والآخر يصفه بالخروج عن القصـور العقلي ورفض الوصـاية، حيث تم تنظيم المئات من المؤتمرات، ولم نجد تقدم مثمر في هذا المنحى، فما زال الخطاب الديني المتأزم مسيطرا" حيث الطائفية والمذهبية وزيادة ثقافة التطرف، وأنتم تبنيتم مشــروعا فكريا عن خطاب التجديد برأيكم دكتور ما هو مفهوم التنوير الذي تستمدون منه مشروعكم حول التجديد؟

أطلق مصطلح التنوير على مساهمات الحكماء من فلاسفة أوروبا حين قاموا بالثورة على ظلمات العصور الوسطى بعد قرون من سيطرة اللاهوت على الحياة في أوروبا، وما نتج عن ذلك من خنق لروح الإبداع والتجديد، وامتهان لكرامة الإنســان وحقوقه.

ولعل من اللافت أن المصـطلح لم يجد رواجاً في أعمال الرواد في النهضـة العربية، الذين اسـتخدموا مصـطلح الإصـلاح الديني، فيما رأوا في مصـطلح التنوير نرجسـية متعالية، حيث تقتضي- وصـف الآخرين بالظلام، كما أن الحضـارة الإسـلامية كانت مزدهرة خلال العصور الوسطى، ولم يكن مشروع النهضة يستهدف طمس التاريخ الحضاري للأمة بقدر ما كان يريد استنهاضها على قواعد المعاصرة والعقل.

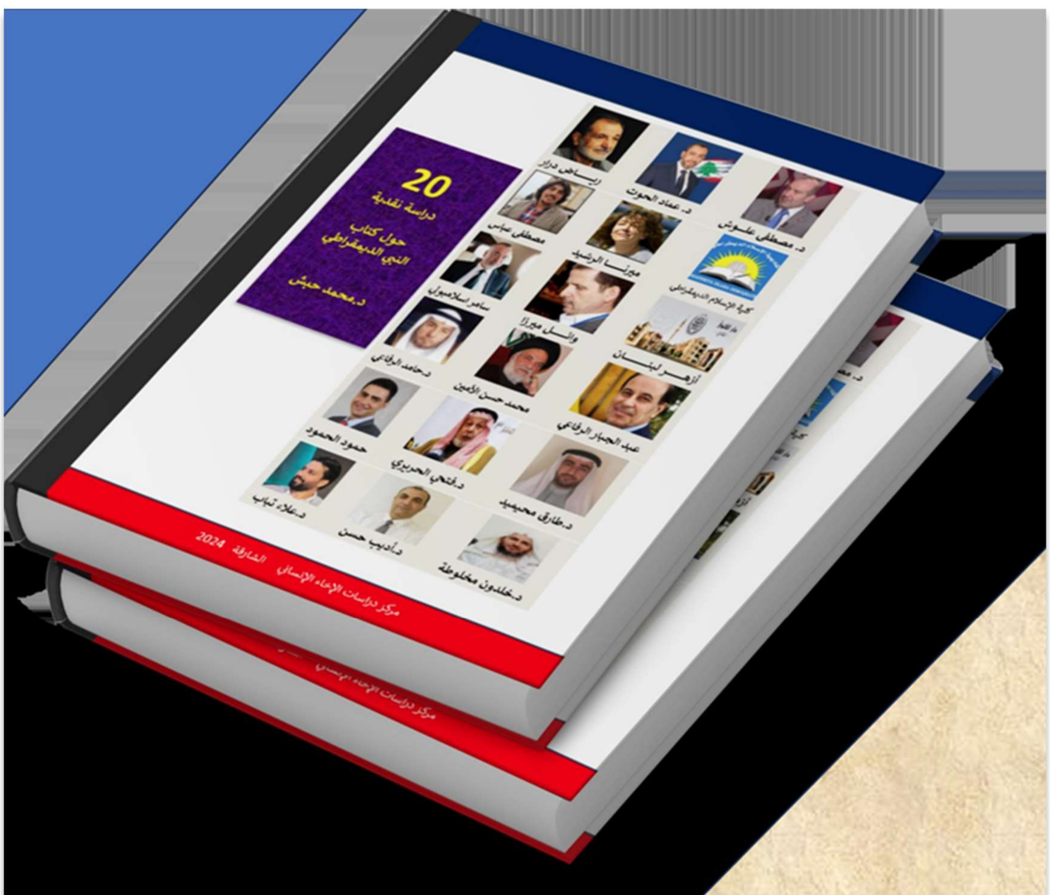
وبعيداً عن المصطلح فإنني أتفق معك بحزن في وصـف الواقع، فنحن لا زلنا نعيش في محيط متزمت، يعيش في الحاضر ويحتكم إلى الماضي، ويختار من الماضي أشده تطرفاً ولم ندرك بعد أن منطق الحياة يقتضــي ان يكون المسـتقبل هو المقدس وليس الماضي

1- وماهي أبرز العقبات التي تعيق تجديد الخطاب الديني وسبل الحل؟

يعاني خطاب التجديد الإسـلامي عموماً من قيود اللاهوت التي تمنع العقل من أداء دوره، وتفرض نفسها سلطة على العقل ترسم له حدود التفكير، وتمنعه من التفكير

خارج الصندوق، وتكرر القواعد القمعية المستمرة: قف على ما وقف عليه الأولون فإنهم عن علم وقفوا، وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف، وكل إبداع ضلالة وكل ضلالة في النار.

وهذا الفهم القاصر للشـــــريعة كان يقف تاريخياً ضـد كل تنوير، وضـد كل تجديد، ولذلك رأينا رجال الدين يحرمون على الناس كل جديد، بحجة أنه لم يأخذ به السلف، ولعل من أوضح هذه المفارقات هو موقفهم من الديمقراطية التي اعتبرها المتشـــددون شركاً وكفراً، وكلنا شــاهد اللافتات الكبيرة التي رفعها المتشــددون في محافظات سـورية تخضـع لحكمهم بعنوان الديمقراطية كفر، وقد واجهت هجوماً عنيفاً من المتشـددين حين أصـدرت كتابي: النبي الديمقراطي، وعلى الرغم من أنهم لم يقرؤوا حرفاً من الكتاب ولكنهم اعتبروه إهانة وبدعة وشركاً، مع أن الكتاب يورد أوضح الأدلة على موقف النبي الكريم من الشورى والديمقراطية ومشاركة الناس في الإدارة والتشريـع، وقد أوردت فيه 48 موقفاً تخلى فيها الرسـول عن رأيه وموقفه، واستجاب لمطالب الجمهور، وحاجات الناس ومصالحهم الحقيقية.



بل إن ذهنية التحريم كانت تطال كل جديد ولعل من أوضح الأدلة على ذلك موقف المشايخ من الطباعة، فحين ظهرت الطباعة في القرن الخامس عشـــر، أفتى رجال الدين بتحريم طباعة القرآن، وحين طُبع القرآن الكريم عام 1507 في روما، أفتى مشـــايخ الأزهر والأســـتانة بتحريم النظر فيه وتم إتلافه بالكامل، وظلت الفتوى بتحريم طباعة القرآن عدة قرون، وحين رخصـــت الدول العثمانية أول مطبعة في استانبول لإبراهيم منفرقة 1724م نص قرار الترخيص على منع طبع القرآن!! وذلك اســـتناداً إلى أن ذلك بدعة في الدين، وزيادة مرفوضـــة في الشرـــيعة، وظل التحريم مستمراً إلى أن قامت الامبراطورة الروسية كاترين بطباعة أول مصحف للمسلمين في القوقاز 1777م، ولم تتم طباعة المصـــحف رســـمياً إلا في عام 1924م على يد الملك فؤاد في مصر.

والأمر نفســـه في تحريم التلفزيون والهاتف والبنوك والتأمين وســـفور وجه المرأة وحقها ومســـاواتها في العمل والكفالة والشـــهادة والوكالة وكثير من هذه القضـــايا لا تزال إلى اليوم محل جدل في أوســـاط التيارات المتشـــددة، ولا زالت المناطق التي سيطر عليها التشدد الديني في سوريا تقدم نماذج من التشدد لا يمكن تفسيرها، ولا تعبر إلا عن غياب تام للوعي بروح الشريعة القائمة على التسامح.

إن مواجهة التشدد الديني لا تتم بالتشدد العلماني واستفزاز المجتمع، بل تتم بدعم التيارات المتنورة في الشـــــريعة، أولئك الذين يؤمنون بالشريعة ويؤمنون بيقين أنها رسالة تسامح ومحبة وأنها رحمة للعالمين

1- -2لنعرج قليلا" على الجانب السياسي وانتم كنتم عضو في مجلس الشعب السوري وشخصتم الواقع السوري في اكثر من مناسبة ، وبالرغم من تعدد الجولات الامية وقراراتها حول سوريا، فلا زال افق الحل غير واضح وتزاد محنة السوريين في ظل مناطق سيطرة النفوذ وسلطات امر الواقع...كيف تنظرون لمستقبل سوريا في ظل هذه اللوحة ؟

وقعت الكارثة في سوريا بسبب الاستبداد، وعدم الاعتراف بمعاناة الناس والمظالم التي ترتكب بحقهم كل يوم، حيث كان النظام يمارس قبضـــته الحديدية ولا يعترف بالمظالم التي تعاظمت وتعاظمت ثم انفجرت في أجواء الربيع العربي.

شخصياً لم أكن مؤيداً للثورة في سوريا، لقد كنت مؤيداً للإصلاح، وكان النظام يملك هذه الفرصــة، ولكنه ضـيعها بإصراره على الحســم العســكري، وتوهمه بأن الأمر صغير وسينتهي خلال أسابيع.

ولا شــك أن العنف المتبادل وفر الفرصــة باســتمرار لظهور الجماعات الجهادية المتطرفة وأكثرها تسلحاً وخطورة كان تنظيم داعش الذي صبغ خمس سنوات من تاريخ المنطقة بالدم والموت والجريمة.

بالطبع لا أريد أ ن أســتعرض الأحداث التي يعرفها الجميع، والدور الســلبي للتدخل الدولي إيرانياً وتركياً بشــكل خاص، وما تلا ذلك من تدخل روسي وتحالف دولي لمواجهة داعش، وهو الواقع الذي لا زال مســتمراً، حيث باتت ســوريا اليوم رســمياً تحت حكم جيوش ستة لكل جيش منها علمه وراياته ومصالحه، فهناك جيش تركي وجيش إيراني وجيش روسي وجيش أمريكي وجيش إسرائيلي إضــافة إلى جيش حزب الله والكتائب الطائفية زينبيون وفاطميون وغيرها، وبذلك فإن الحل في ســوريا بات دولياً بامتياز.

الحلول باتت اليوم على موائد الدول المتدخلة وبشكل خاص أمريكا وفريق أستانة، ومن الواضح أنه لا توجد أي إرادة دولية لفرض حل على سوريا في الظروف الراهنة.

ولكن المسؤولية الأكبر تقع من وجهة نظري على النظام، فهو لا يزال يملك المبادرة لفتح حوار وطني ينهي الكارثة، ويجب الاعتراف أن ثلاثة عشـــــر عاماً من الحرب المستمرة، أدت إلى سقوط مليون سوري بين قتيل وجريح وسجين، وتشريد سبعة ملايين أخرى، وخروج أكثر من 52% من الأرض الســورية عن سيطرة النظام، ولكنه خلال ذلك كله لم يطرح أي مبادرة للحل إلا الحل العسكري، والاستعداد لمزيد من الاعتقال والترصد، ولم يطرح أي مبادرة تهدف حقيقة لعودة الشعب الشــــريد في دول الجوار على الأقل وهو الواجب الإنساني الأكثر إلحاحاً وإنسانية وضرورة.

لم يطرح النظام إلا الحل العسـكري، ورهانه على إيران وروسـيا مسـتمر، على الرغم من الواقع المأسـاوي للشـعب السـوري وانهيار حياته واقتصـاده، وشراد ملايينه في الأرض.

إنني إذ أصرح بهذا لا زلت مؤمناً بان النظام هو الجهة الوحيدة القادرة على حل المشـكلة في الداخل إذا هو طرح حلولاً معقولة تسـتجيب لمصـالح الناس، وأعتقد

أن أي مبادرة حقيقية ستحظى بدعم دولي وستحظى كذلك بدعم المعتدلين في المعارضة، وبالتالي ستوفر مناخاً لعودة الحياة الطبيعية إلى سوريا.

يراهن النظام على معافاة اقتصاده وهو مستمر في طرد شعبه، واحتكار السلطة بالكامل لحزبه الحاكم، وبالتالي ستستمر الدول المقاطعة في حصاره، ولن يتحقق أي شيء.

يراهن النظام على الجيش الإيراني وإيران تزداد عزلة كل يوم وتواجه اقداراً مرعبة، وفي تحالفها مع النظام لم تقدم للسوريين إلا السلاح!!!

يراهن على الروسي وقد صرح الروسي كل مرة أنه غير معني باقتصاد سوريا وأنه فقط مستعد لتوفير السلاح!!

1- وما هو نموذج النظام السياسي المناسب لسوريا المستقبل ؟

لقد طرحت في منابر إعلامية كثيرة وعبر قنوات مؤثرة على النظام ومنها القناة الروسية أن الحل في سوريا يكون بمبادرة يطرحها النظام للتواصل المباشر مع قوى الأمر الواقع الأربعة في سوريا وهي شرق الفرات وشمال حلب وإدلب والسويداء، وعقد مؤتمر 4+1 وفيها يكون النظام مستعداً لتنازلات حقيقية والاعتراف بشكل من الإدارة الذاتية لهذه المناطق المهمشة تاريخياً، والتي لم يجلب لها حكم البعث من ستين عاماً حقوق الإنسان التي يحتاجها الناس، وتسبب في تأخرها وهمودها، وعجز عن حمايتها من التطرف ووقف يتفرج على المذابح التي تعرض لها أهلها خاصة في المرحلة السوداء لسيطرة داعش.

لقد كانت كوارث رهيبة كل واحدة منها كفيلة بإشعال ثورة، والآن أصبحت الأمور أكثر وضوحاً وقد بات أهل هذه المناطق يسيطرون بشكل واقعي على الأرض منذ عشر سنين.

في مبادرة كهذه يشعر فيها الجميع بأنهم سينتقلون إلى واقع آخر، تحترم فيه حقوقهم وإنسانيتهم، وتتولى الدولة في المركز أسلوباً تداولياً من السلطة المركزية بمشاركة الجميع، وتقوم مؤسسات حقيقية بحماية حقوق الإنسان، وأولها المجلس الأعلى لحقوق الإنسان الذي يشارك فيه الجميع ويذهب إلى كل مكان يهان فيه السوريون لإنصافهم ومحاسبة ظالميهم.

للأسف هذه المبادرات طرحت بالتفصيل في مؤتمر صحارى قبل ثلاثة عشـــر عاماً وكانت قادرة على إنهاء الكارثة كلها، حيث صـدرت التوصـيات التي وقع عليها نائب الرئيس فاروق الشـــــرع بتكليف من الرئيس وموافقة منه، ولكنها للأسـف لم تجد طريقها للتطبيق وظلت في أدراج الرئاسة وذهبنا إلى الكارثة.

إن مبادرة 4+1 تقوم على اعتراف الأربعة ببعضـــهم، والتوجه إلى النظام بوصـــفه طرفاً أساسياً في الحل، وهي نقيض تام لمبادرة 4-1 التي نادت بها منصات التفاوض المختلفة، التي ظلت ترفع اللاءات الثلاثة في وجه النظام: لا صـــلح لا اعتراف لا تفاوض، ثم وافقت على التفاوض فقط لتسـليم السـلطة!!! وهي لا تملك من قرار التغيير شيئاً.

ويجب الاعتراف أن أكبر مقتل للعملية التفاوضـــية التي دعمها المجتمع الدولي في الرياض وسـوتشـــي والعملية الدسـتورية كانت إصرار الجانب التركي على اسـتبعاد الإدارة الذاتية وهي أكثر قوى السـوريين وضـوحاً وتنظيماً وتأثيراً، ومن المؤسـف أن قوى المعارضة في معظمها بررت ذلك وأيدت الطلب التركي الغاشم، وفسرته وأولته وأعطته بعداً وطنياً مقاوماً!!!

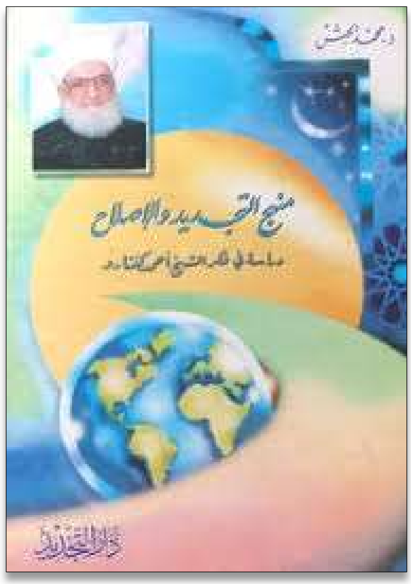
أقول ذلك بكل أســف، على الرغم من أننا حتى الآن لم نجد أي مبادرة لجمع قوى الأمر الواقع في أي سـبيل، ولا زال الواقع السـوري قائماً على قاعدة 1 ناقص 4 وهو ما يعني الانسداد التام لأي أفق في الحل.

إن نجاح أي جهة محلية وأولها النظام، أو دولية في تحقيق هذه المبادرة، وجمع السـوريين على هذه القاعدة 4+1 سـيفرض تلقائياً على الدول المتدخلة في الشـأن السـوري الاسـتجابة لإرادة الشـعب، وحين يلتقي السـوريون سـيلتقي من حولهم المجتمع الدولي بواقع المصالح المشتركة والأمر الواقع.

1- في مقالة منشـــورة لكم بعنوان( اشـــواق كردســـتان) ذكرتم ( لا أعتقد أن المثقف يســـتطيع حقوقيا"ولا أخلاقيا" ان ينكر حق الأمة الكردية في بناء حضـــارتها وتاريخها ، ولا اكتم موقفي من عدالة القضـــية الكردية وحق هذه الأمة المعذبة ببناء كيان حقيقي على أرضـــها التاريخية ) ...برايكم دكتور ما المطلوب من الكرد لترجمة الثقافة المترسخة في (أشواق كردستان) ؟

لقد كتبت مراراً في المسألة الكردية، وأعترف لك أنني مدين للشيخ العظيم معشوق الخزنوي في قدرته على شرح مظلومية هذا الشعب الكريم، وقد دفع حياته ثمناً لمبادئه، وبات في ضميرنا شيخ الشهداء.

وفي رحلاتي المتكررة للجزيرة السورية الجميلة تعرفت إلى أهلها عرباً وكرداً وكنت ضيفاً دائماً على الشيخ حميدي دهام الهادي الجربا، وعلى آل كفتارو وآل حقي وآل الخزنوي، وأعتقد انني كونت صورة حقيقية لما يمكن أن يحققه أبناء هذه الجزيرة الطيبة بثقافتيها الكردية والعربية من تنمية مزدهرة ومجتمع نبيل.



قبل مائة عام وفي اعقاب الحرب العالمية الأولى وانهيار الدولة العثمانية، أعلنت عصبة الأمم أن العالم بات يؤمن بالدولة الحديثة وأن زمن الدولة القومية قد ولى، وأن العالم ماض إلى دولة المواطنة والحرية والمساواة.

كان القادة الكرد خلالئذ يفرحون بهذا الوعي الجديد وكان الضمير الكردي يتهيأ ليقدم في دولة المواطنة الحديثة كل ما يملكه من علوم وفنون وآداب وابتكار وتنمية اقتصادية للجميع بدون تمييز، ولكن هذه النوايا الطيبة كانت غافلة عما تتجه إليه المنطقة، ووجد الكردي نفسه محاطاً بثلاث قوميات شوفينية عنصرية لم تمنحه من حقوقه شيئاً، فقد تنامى المشروع القومي الفارسي في إيران والمشروع الطوراني التركي في تركيا، والمشروع البعثي القومي في العراق وسوريا، ووجد الكرد أنفسهم في محيط من القوميات المتعصبة التي لا تعترف بالآخر إلا في سياق تبعية

تامة، وقال لهم الترك والعرب والفرس كلمة واحدة: تكلموا لغتنا وتخلوا عن هويتكم وأنتم جزء من دولنا القومية!!

لقد تعاملت في المظالم الكردية وتقدمت من موقعي البرلماني بأكثر من مشـــــروع قانون لمنح الهوية للمواطن الكردي الذي وجد نفســه على الحدود منذ خمسـين عاماً لا يعترف به أحد، ولا يمنح حتى وثيقة ولادة!! ولكن هذه المشـاريع كانت تصطدم دوماً بمشروع التعريب القســري في الجزيرة وكانت تفشل باستمرار بحجة الحفاظ على الأمن القومي.

إنني مؤمن تماماً بوحدة ســوريا، ولكنني مؤمن أيضــاً بالحلم الكردي في قيام دولة مستقلة آمنة، يتم الوصول إليها عبر تصويت برلماني يتأسس على مصالح الناس وحاجاتهم، وليس على السلاح وفرض الأمر الواقع.

لقد شـهدت بريطانيا في العام الأخير جهوداً كبيرة لاسـتقلال اسـكتلندا عن بريطانيا على سبيل المثال، وتمت مناقشات حامية في البرلمان، وقدم كل فريق قناعته، ولم يقل أحد لأحد إنكم تخونون بلادكم، ولو نجح حمزة يوســف في إقناع البرلمان البريطاني بالتصويت لصالح مشروعه في استقلال اسكتلندا فسيحترم الجميع ذلك، وقناعتي أن ذلك ممكن في المســتقبل القريب وقد يكون من مصـلحة الأمتين الإنكليزية الإسكتلندية.

لماذا تقوم دول مستقلة مثل جيبوتي والبحرين وسـيشـل ولينخشـتاين وموناكو لا يزيد سـكانها عن بضـعة آلاف، في حين يحرم الشـعب الكردي بملايينة الثلاثين من حلم طبيعي وفطري وإنساني.

قناعتي أن اللحظة الآن هي الاعتراف بمظلومية شرق الفرات، وحقه في تنظيم أموره لكل أبنائه، ضـمن الدولة السـورية الواحدة، وأن الاسـتقرار في المسـتقبل والنضـوح البرلماني كفيل بأن يفهم الناس معنى قيام حلم كردي جميل يجمع الملايين الطيبة التي تؤمن بشــمس كردســتان، عبر الديمقراطية والســلام والمحبة في دولة واحدة تحيي مجد الكورد، وتتفاعل مع التنوع الاجتماعي فيها بإيجابية واحترام، وتقدم ما يدهش العالم.

## الحوار السابع: أحمد كامل - مركز حوار الثقافات – فرانكفورت



محمد كامل – مركز حوار الثقافات – 5 كانون الأول 2024




"مركز حوار الثقافاتCDC "، مركز دراسـات متخصـص في طرح قضـايا "حوار الثقافات"، تم تأسيسـه في فرانكفورت، ألمانيا الاتحادية، عام 2024، على ضـوء تصاعد أهمية التفاعلات الثقافية عبر العالم

## مركز حوار الثقافات

## بقلم أحمد كامل

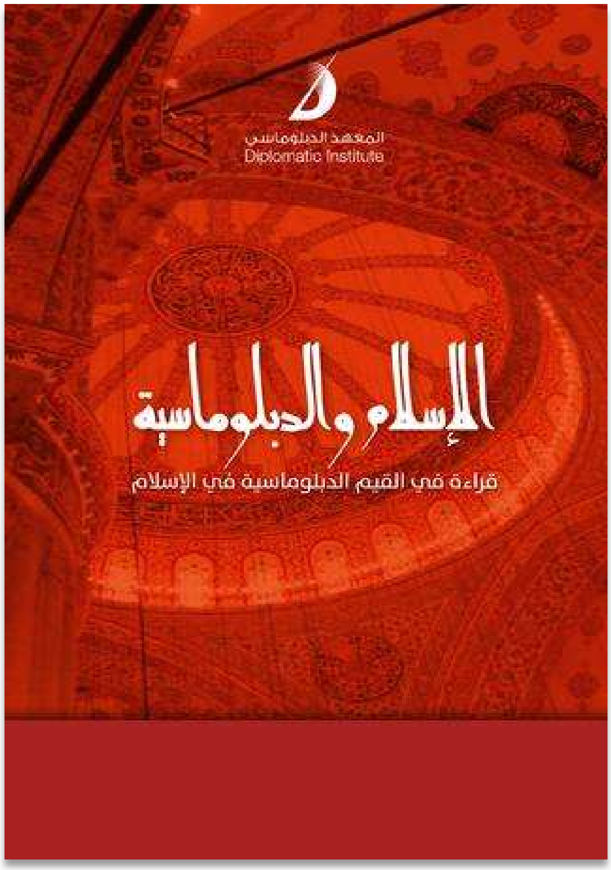
## تعريف حول مشروع الدكتور محمد حبش

للإسـلام قدرة ذاتية على التجدد والتطور الديني، هذا ما رآه المفكر السـوري محمد حبش (1962م)، وهو الأمر الذي حدث باستمرار في فترات تاريخية مختلفة، أهمها في حياة النبي محمد عليه الصـلاة والسـلام، كما يرى أن الإسـلام تطور أكثر من مرة وفقاً للاحتياجات الاجتماعية للناس في عهد النبي.

ورغم القدرة الذاتية للإســلام على التجدد، فإن رجال دين وقفوا ضــد التجديد بالمرصاد، ورأوا في أي محاولة تجديد أو استخدام للعقل أو الفكر تجاوزاً ضد الدين ذاته، مخالفين في ذلك طبيعة الدين نفسه، فهم فعلوا ما جاء الإسـلام لمحاربته في اتباع تقليد الآباء والتزام ما هم عليه.

المفكر السـوري "محمد حبش" يعطي للفقيه أهمية كبرى في مشروعه، ويفرقه عن رجل الدين الذي يمارس الوعظ ويدعو للعودة إلى الماضي؛ فالفقيه يجب أن تتسـع معارفه وصلاحياته؛ فيجب أن يكون الفقيه على اطلاع بالنصوص الدينية والقانون والعلوم الإنسانية، ليصبح علمه شاملاً يلغي أي اشتباك بين الاجتهاد الديني والعمل القانوني أو المجتمعي.

وضَـمَّن "حبش" مشــــروعه الفكري في مؤلفاته، التي زادت على الخمسـين مؤلفاً، مثل: "النبي الديمقراطي"، و"إسـلام بلا عنف"، و"المسـلمون وعلوم الحضـارة"، و"سـيرة رسـول الله"، و"المشـترك أكثر مما تعتقد"، و"منهج التجديد والإصـلاح"، و"المعتمد في أصول الفقه"، "والإسلام والدبلوماسية"، وغيرها.




تجدد الإسلام

يرى "حبش" أن الإســلام قادر على التجدد باســتمرار، وشريعته متطورة ومتجددة بشــكل دائم، والعالم الإســلامي يمتلك منهجاً قادراً على تطوير الإســلام، وهو منهج قديم ممتد في التاريخ الإسلامي على يد العديد من الخلفاء والفلاسـفة والفقهاء؛ في المقابل، فإن معظم رجال الدين وأتباعهم، يرفضون هذا الاتجاه، ويرون في أنفسهم ورثة الأنبياء.

يقول "حبش"، إن الشريعة والفقه الإسلامي يتطوران باسـتمرار، لا سـيما في قطاع المعاملات الفردية والجماعية وتطورات المجتمعات الإســلامية، والفقهاء ســواء العاملين في الفقه الإسلامي أو في القانون أو علوم الاجتماع، يقومون بشكل مستمر بتطوير الفقه الإسلامي، وفقاً للتحديات العصــرية الجديدة، لا سيما وأن التجديد الديني يحتاج إلى تكاتف رجال الدين والفقه مع رجال القانون ورجال الاجتماع، لتلبية الاحتياجات العصرية للمجتمعات، على أن يطرح رجال الدين فكرة النزاع بين الشرع والقانون التي تقف حائلاً ضد التجديد، حسب قوله.

رفض التجديد

يوضح "حبش" أن رجال الدين، الذي رفضوا التجديد ووقفوا له بالمرصاد، يرون في محاولات التجديد التي مارسـها فقهاء وفلاسـفة، تجاوزاً ضـد الدين وضـد العقيدة والثوابت، فيقتصـــــرون على العمل الديني وفقاً لمصـدرين هما الكتاب السـنة، ويرفضـون أي مصادر أخرى ويشـككون فيها، ولا يسـمحون بأي إعمال عقلي إلا في تفسير النص الديني، وفق قواعد ثابتة جامدة، ويقتصـــر الاجتهاد عندهم في قياس المسائل الجديدة على الأحكام الفقهية القديمة، ويرفضـون الأدلة والبراهين العقلية التي يقدمها المجددون، بل ويطالبونهم بالتوبة عن "التجديد"، والعودة إلى ما كان عليه السلف، الأمر الذي يقف حائلاً ضد التجديد الديني.

ويذهب "حبش" إلى أن الدول العربية والإســلامية في حاجة ملحة إلى التجديد الديني بشكل عام، وعلى رأسه رؤية متجددة للفقه الإسلامي، تجديد يتميز بتجنب الفتاوى المتشـددة والتفكير الاسـتعلائي، ويقدم خطاباً إسلامياً واقعياً أكثر تسامحاً، ويعطي المجـال للخطـابـات والمشــاريـع التنويريـة، فتَبنِّي مثـل هـذه المواقف التجديدية والتنويرية أصـبح ضرورة من ضرورات العصـــــر الحديث والتطورات المستمرة، حتى يستعيد العالم الإسلامي مكانته في التاريخ وبين الحضارات، حسب قوله.

ويرى "حبش" أن العالم الإسـلامي يعاني من وجود فريقين متناقضـين ومتصـارعين فيما بينهما، ويخوضــان معركة صــفرية، لا يهتم فصـيل فيهما إلا بانتصــاره على الفصيل الآخر، وهما:

- أولاً: تيار يقدس الماضي، ويرغب في إعادة المجتمعات العربية لعصـور السـلف، ويرى في التراث حلاً لكل الإشــكاليات، وبالتالي يرفض أي محاولة تجديد أو إعمال عقلي.

- ثانياً: تيار يرفض التراث بشــكل كامل ويدعو إلى نبذه، ويراه عبئاً على المجتمعات الإســلامية ويدعو لقطيعته ومغادرته للأبد، لأنه سـبب التراجع والجمود والتخلف الذي يعيشه العالم الإسلامي.

يقول "حبش" إن الصـــراع بين التيارين السابقين، تيار القديم الرافض لأي تجديد، وتيار التجـديد الـذي ينبذ أي قـديم، يمثـل صراعاً وجودياً ويهـدف إلى كســب الجماهير، الأمر الـذي جعل أصــوات الاعتدال والعقل والمنطق خافتة لا يُمكن

الاستماع إليها، ما تسبب في انقسام مجتمعي، بما يستلزم العمل المشترك وإعلاء روح التعاون، والاستماع لصوت العقل، للاستفادة من القديم النافع في تنفيذ الجديد الطارئ، حسب قوله.

فقهاء مجددون

يفرق "حبش" بين رجل الدين والفقيه؛ فرجل الدين تقتصر مهمته على رواية التاريخ والتراث، ونقل كلام السلف والأولين إلى أسماع الناس، ويهدف بذلك إلى رعاية الأخلاق وتفعيلها، ويرى رجل الدين أن حل المشاكل الدينية يكون بالعودة إلى الماضي، ويستخدم لتحقيق ذلك الرواية عمن سلف، وتنحصر مصادره في الكتاب والسنة فقط؛ بينما الفقيه يهتم بالشريعة وتجديدها واستنباط أحكام جديدة تناسب العصر الحالي ومتطلباته، والفقيه يجب أن يكون دارساً للشريعة الإسلامية ومصادرها ونصوصها، ويتوسع في دراسته إلى القانون بتفريعاته، إضافة للعلوم الحديثة، حتى يتمكن من أدوات الاجتهاد والتجديد، ويتمكن من التجديد الديني والفقهي الذي تحتاجه المجتمعات الإسلامية، حسب قوله.

ويعتبر "حبش" أن القرآن مدخل للتجديد الديني، ويستشهد بذلك على تطور الإسلام في حياة الرسول عبر الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، والقرآن يمكن من تفعيل آليات التجديد الديني، عبر تعديل الأحكام القديمة وتطويرها واستبدالها، وهي ممارسات يجوز الانطلاق منها وفق القرآن الكريم، ويجب أن تتوفر لأي مشروع تجديدي اجتهادي، كما أنه يُمكن نسخ النص أو تعطيل النص وفقاً للإجماع ولمصلحة الأمة، مثل ما حدث في نصوص ملك اليمين، وفرض الجزية وقتال المشركين، التي بطل العمل بها.

ويوضح "حبش" الآراء المختلفة حول نسخ آيات القرآن وتعطيلها:

- نسخ القرآن بالقرآن، وهو مذهب أهل السنة.

- نسخ القرآن بالسنة، وهو مذهب الحنفية والمالكية والحنابلة، ورفضه الشافعي.

- نسخ القرآن بالإجماع، وهو رأي موجود لدى السلف عند العديد منهم، مثل الحافظ ابن عادل الحنبلي وابن حزم الأندلسي وشمس الأئمة السرخسي وسيف الدين الآمدي، وغيرهم، حسب قوله.

المشاريع النهضوية

يقول "حبش" إن المشاريع النهضوية والتنويرية تواجه عقبات تقف أمامها وتمنع من تطبيقها، ويمكن القضاء عليها عبر خطوات، تتمثل في إلغاء الغلو في اتباع النص الديني، وفتح باب التفاعل معه دون الجمود، وتحديد مقاصد القرآن العليا، التي تمثل جوهر الإنسانية ومبادئه العالمية، والتأكيد أن النبي عليه الصلاة والسلام كان رجل شورى، تعامل مع الشريعة وغيرها وفقاً لاحتياجات عصره، الأمر الذي ضمنه في كتابه "النبي الديمقراطي"، إضافة إلى تفعيل جهود الفقهاء في تقديم العقل واحترام ما يصلح من النقل، إضافة لإعمال العقل فيما لا يوجد فيه نص، مع التأكيد على قبول الإسلام للتطوير المستمر، حسب قوله.

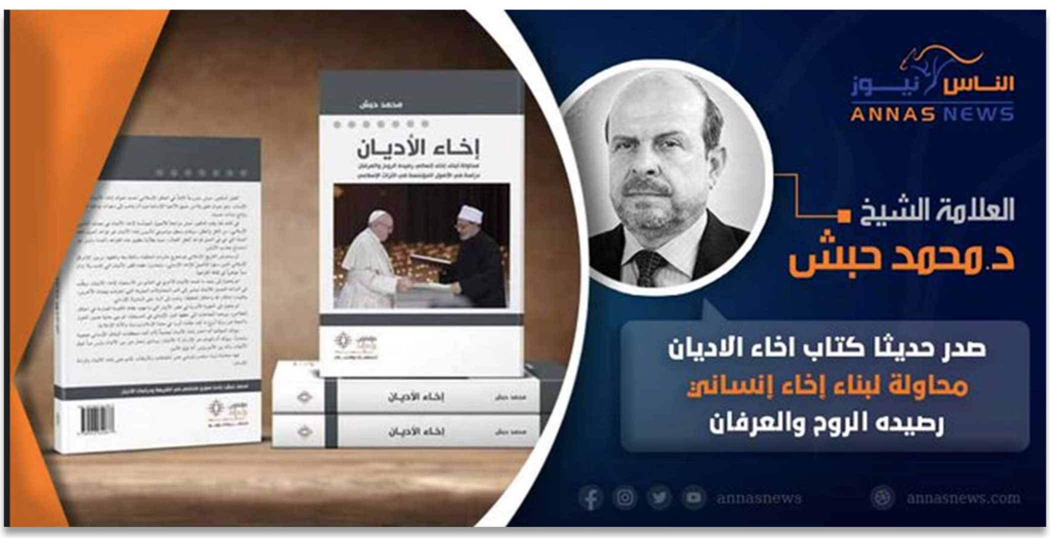



ويوضح "حبش" أن الإسلام دين رسالته السلام، والقرآن ينقسم في خطابه إلى قسمين؛ الأول يخاطب الفرد، والثاني يخاطب الدولة؛ فآيات الجهاد في القرآن، هي خطاب للدولة وليس للفرد، ما يجعل مسائل الجهاد والحرب والغزو والسلم، هي مسؤولية الدولة وعلى عاتقها، تقرر فيها كيف تشاء وفقاً للمصالح العليا للدولة والمجتمع، وليس وفقاً لفتاوى رجال دين وشيوخ؛ ونصوص القرآن والسنة المتعلقة بالحرب والجهاد، محكومة بمصالح الأمة والعلاقات الدولية، وفق ما تقرره الأمة، الأمر الذي يُسقط ما يُسمى محاولات الجهاد خارج إطار الدولة ضمن التنظيمات الإرهابية أو غيرها، وفقاً له.

ويدعو "حبش" إلى قبول الآخر المختلف مذهبياً أو دينياً، في ضوء من السماحة والقبول التي دعا إليها القرآن صراحة، الذي نص على عدم الإكراه في الدين

والعقيدة، وأكدت نصوصه على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ويرفض ما تسوقه الجماعات الإرهابية من مقولات مثل أن "الدين مصحف وسيف"، فيرى أنها مقولة خاطئة، فـ"الدين هو الرحمة والحب ورسالة الإيمان والأخلاق" الذي لا يحتاج إلى سيف لأنه ليس له مكان في المسجد، ومكانه في القضاء، يحكم به القاضي لا الفقيه وينظمه القانون دون الشريعة، حسب قوله.

وينادي "حبش" إلى الإخاء الديني، بديلاً عن حوار الأديان ومقارنتها؛ لأنه لا يمكن تغيير جوهر أو حقيقة أي دين؛ ويتمثل الإخاء الديني في احترام المخالفين دينياً وتقديرهم من القاعدة القرآنية ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6]، إضافة لإيجاد سلوك اجتماعي بين أصحاب الديانات المختلفة مناهض للكراهية ورفض الآخر؛ فالهدف من الإخاء الديني الذي يدعو إليه المفكر السوري، هو إيجاد إخاء إنساني يُمكن من التعايش المشترك عبر قبول الاختلاف والتنوع، إضافة لإلغاء ما وصفه بـ"عصر التبشير الديني" وإحلال التراحم مكانه، حسب قوله.




وختاماً، يجتهد "حبش" في مشروعه الفكري لإبراز حقيقة الإسلام القابلة للتطور والتجديد، لتلبية الاحتياجات البشرية في المجتمعات المختلفة، ويبني مشروعه على توضيح حقيقة متمثلة في وجود رجال دين يرفضون حقيقة الإسلام، فيضعون أعينهم على فترة زمنية مضت وولت، غافلين عن الحاضر ومتطلباته، الأمر الذي يجب معالجته والقضاء عليه عبر توضيح حقيقة الإسلام المتطورة التي تلبي حاجات الناس، وإيجاد فقهاء مجددين اهتموا بالعلوم الدينية ودمجوها في العلوم الإنسانية الحديثة والعلوم التقنية، حتى يتمكنوا من القدرة على التجديد الديني،

كما أنه وسع في استخدام مصطلح الفقهاء، ليشمل المتخصصين في القانون والعلوم الاجتماعية والإنسانية الذين يعملون على تطوير مجتمعاتهم.

أسئلة حوارية للدكتور محمد حبش

- هل الإسلام ثابت، أم أنه دين قادر على التجدد والتطور وفقًا للتطورات الاجتماعية والفترات التاريخية؟

لا أعرف في الدنيا ديناً أو فلسفة أو تعليماً قابلاً للتطور كما هو الإسلام، لقد كانت هذه الحقيقة صارخة منذ فجر الإسلام الأول، وحين جاء الرسول الكريم برسالته وحياً من السماء افترض الناس القداسة المطلقة فيها، وكان الرأي الشائع أنها حقائق نهائية لا تقبل النقاش، وأن البشرية ظلت في عماه وتيه إلى أن تنزلت النصوص الحاسمة التي تحكم كل زمان وكل مكان.

ولكن التحول السياسي والاجتماعي في حركة الرسول الكريم فرض تغييرات جوهرية وكان أول التحديات الصارخة مسألة تحويل القبلة، فقد صلى المسلمون عشر سنوات نحو بيت المقدس وصارت القبلة رمزا لهذا الدين تميزه عن ديانات العرب كافة، التي كانت تصلي إلى مكة.، ولكن هذا الواقع تحول بشكل صارخ حين وصل الرسول إلى المدينة فقد كان الحضور اليهودي كبيراً، ديموغرافياً وثقافياً، ولما كان القرآن الكريم قد تحدث مراراً عن التوراة والإنجيل ودعا إلى سؤال اهل الكتاب لمعرفة مسائل الدين العميقة، فقد فهم اليهود هذا التوجه القرآني القائم على تكامل الثقافات في إطار مختلف، حيث مارسوا تنمراً وهيمنة على الدين الجديد، واتهموا النبي والصحابة بالخروج على تعاليم إبراهيم واختراع ديانة جديدة غير الألواح، وهكذا فقد صار الانتماء إلى قبلتهم ضاراً باستقلال المشروع الإسلامي ونهوضه، وقد اختار الرسول الكريم تحويل القبلة من القدس إلى مكة وجاء القرآن بتأييد الرغبة النبوية: قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام.

بالطبع القبلة على رأس الثوابت في الإسلام، ومع ذلك فقد تم اتخاذ قرار شجاع، وتم التحول إلى قبلة أكثر انسجاماً مع الدين الجديد، وقد أثار هذا عاصفة كبيرة لدى اليهود في اتهام هذا الدين بالبراغماتية والتحول وعدم الرسوخ، فيما أعلن القرآن الكريم صراحة أن الشريعة سيكون فيها ناسخ ومنسوخ، وتغير الأحكام بتغير

المكان والزمان، وفي ســـورة البقرة نحو ثلاثين آية وردت في تداعيات تحويل القبلة وتطور الإسلام، فالرسالة هي الإنسان وليست الشعائر.

وفيما بعد صار الناسخ والمنسوخ من شمائل الشريعة وكتب فيه كل فقهاء السلف على تفاوت في نقلهم، والجانب الأهم هو أن عدداً كبيراً من الفقهاء الأصـــوليين جزموا بأن التطور في الدين مستمر عبر آليات معروفة أبرزها النسخ وكذلك التأويل والتقييد والتخصـيص والقول بالتشـابه وهي مناهج عميقة للأصـوليين تخدم في النهاية الفكرة الأساسية وهي أن هذا الدين قابل للتطور وتقديم نسخة متجددة في ضوء الظروف والأحداث والزمان والمكان.

ويجب أن لا نفهم من ذلك أن التطور واقع على نصـوص قليلة وقد ذهب ابن حزم وابن الجوزي أن النصوص المنسوخة في القرآن تتجاوز المائتي آية، والعدد مستمر بالارتفاع كما قلنا عبر آليات التقييد والتخصـيص والمجاز وحتى النسـخ نفسـه عن طريق الإجماع.

- وفي رأيك ما هو الثابت وما هو المتغير في الدين الإسلامي؟

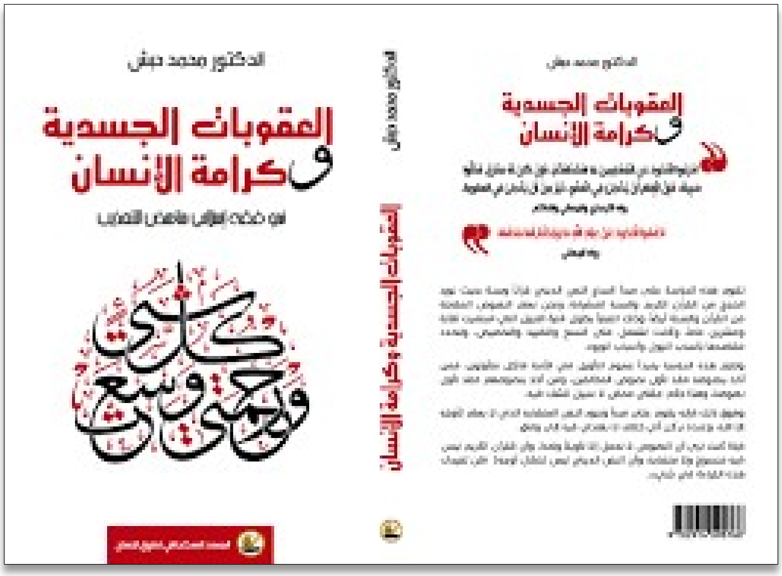
رحم الله الشيخ المعلم جودت سعيد لقد سألوه عن الثابت والمتغير فقال الثابت الله!!، وما سواه متحول ومتغير.

لقد أشرنا أن القبلة وهي رأس الثوابت في الإســلام، قد تغيرت طبقاً للتحولات الاجتماعية ومصــالح الأمة، وبهذا المعنى فإن النص الديني كله في خدمة الإنســان وهو يدور مع الإنسان وجوداً وعدماً.

لقد شرحت ذلك بالتفصــيل في كتابي نور يهدي لا قيد يأسر، وهو الكتاب الذي تناولت فيه دور النص في الشـريعة، ووجوب تحديد موقف الأمة من النص والتمييز بين ما هو نص عبادي وشـعائري، شـأنه الرسـوخ، وبين ما هو نص تعاملي يتناول عادات الناس ومعاملاتهم وأكدنا أن ذلك كله من باب المتغيرات التي تحكمها المصالح العامة.

يكمن الفارق هنا أننا نعتبر المعاملات كلها محكومة بمصـــالح الأمة، ولو قالت النصــوص خلاف ذلك، كما في نظام العقاب بالقطع والصـلـب والرجم، فهذه الممارســات هي آلات للعقوبة، ويمكن أن تتغير مع الأيام إلى عقوبات أكثر فاعلية

وواقعية، كما تطورت أدوات الحج مثلاً من الضامر والناقة إلى السيارات والطائرات، وآلات الأذان من الصوت إلى المذياع ، وهكذا.




وهذه القاعدة طبقها بشـجاعة الإمام أبو حنيفة عبر مبدأ الاسـتحسـان الذي نص فيه على ترك حكم النص رعاية لمصالح الأمة، أو وفق تعبير خر ترك القياس والأخذ بما هو أوفق للناس.

ويمكن القول بأن العقائد والعبادات هي من باب الثابت، دون أن ننفي بالطبع حجم التأويلات الكبير في هذا المقاصد بين السلفيين والصوفيين والفقهاء.

أما المعاملات بكل أشـكالها من صـحة واقتصـاد وقانون دولي وقانون جنائي وقانون مدني فهذا كله من المتغيرات التي يجب أن تقدم فيها مصـالح الأمة الكبرى على أي موروث من نص أو فقه أو رواية.

- ما هي الملامح التي يجب أن يكون عليها التجديد الديني في الإسلام؟

التجديد الديني أفق كبير، يجب ان نحمي القيم النبيلة التي يمنحها الدين للمجتمع، فالدين في العمق هو أقوى غرائز المحتمع، وهو أكثر الدوافع تأثيراً في الإنسـان، وعليه فإن أي إصـلاح يتجاهل الدين فإنه لن يحقق الوثوب المطلوب، خاصـة في هذا الشرق الغامض المكتنف بالأسرار.

ولكن الإنصات لدور الدين لا يعني التسليم بما قدمه الأولون، والتزام مواقف السلف، بل المطلوب أن ننتج فقهنا وثقافتنا وخياراتنا، فالمقدس ليس هو الماضي الذي صار اليوم مثار الجدل والانقسام والتحارب، بل المستقبل هو المقدس.

كلمة التجديد محببة للجميع لأنها نص في كلام الرسول الكريم، يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لأمتي أمر دينها، ولكن الكهنوت يلقي على هذه الكلمة قيوداً من الشروط القاسية تجعل التجديد كله في غير معنى، حيث يتم توسيع دائرة الثوابت وصيغ الإجماع إلى الحد الذي يخنق كل احتهاد جديد.

إن التجديد المأمول هو ما قامت به الأمم المسلمة الناجحة، كما هو الحال في ماليزيا وتركيا وأندونوسيا والإمارات وقطر والكويت، فهذه الدول حققت قفزات هائلة في التنمية والمجتمع وهي تصر على إعلاء القيم الإسلامية، ولا شك أن خيارات هذه الدول في التوجه الحضاري تحظى بتأييد فقهاء مستبصرين يعملون في أجهزة الدولة الحقوقية والقضائية والتشريعية، وتدعم التوجه الحضاري للبلاد، ولكنها بكل تأكيد على الدوام صدوداً مستمراً من رجال الدين.

- وما هي المعوقات التي تقف حائلًا ضد أي تجديد ديني أو اجتهاد حقيقي؟

من الطبيعي أن تواجه حركات التجديد تحديات كثيرة، فترك المألوف أشد من ضرب السيوف، والناس أعداء ما جهلوا، والقرآن الكريم شرح ذلك في آيات كثيرة، وصفها المعلم جودت سعيد بأنها النزعات الآبائية، وقالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، وهذا هو التحدي الذي واجهه الأنبياء جميعاً، وقد فصل القرآن الكريم هذه الحقيقة في مواجهة إبراهيم مع أبيه آزر، الذي رفض بشدة دعوة إبراهيم لأنها تخرج على تقاليد الآباء وما استقر عليه أمر دينهم، ورفض آزر دعوة إبراهيم وقال لأرجمنك، وفي النهاية شارك في إلقائه في النار، وكان إبراهيم يقول أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم؟

وقد شرح نيتشه هذه الحقيقية بقوله لا تأخذك الظنون بأن الناس ستبتهج لمن يقول الحقيقية، منذ القدم والبشر لا تعاقب إلاّ من يقول الحقيقة ، إذا أردت البقاء مع الناس شاركها أوهامها، الحقيقة يقولها من يرغبون في الرحيل".

ويمكن تلخيص التحديات التي تواجه تيار التجديد بنقطتين:

الأولى: عبادة النص القديم، وهو ما يقوم به الكهنوت للدفاع عن جذوره الصلبة، حيث يتحول النص الديني من نص إرشادي وتنويري إلى نص مهيمن يمنع استخدام العقل ويرفض الخروج على نهج السلف ويلزم الخلف باتباع السلف، ويتحول اختيار السلف في التنزيل والتأويل إلى نص مقدس يمنع كل اجتهاد.

الثانية: الدور السلبي للعلمانية المتطرفة، كما تمارسه التيارات المعادية للدين والتي ترى فيه موروثاً لا يمكن إصلاحه، وتختار الوقوف في وجه التاريخ والمجتمع، وتقوم بدور سلبي جداً في تشويه كل تجديد حقيقي.

- كيف ترى الفقه التقليدي ومنهجه الرئيسي في قياس الجديد على القديم؟ وما هو المنهج الذي يجب ممارسته في الفقه حتى يحدث اجتهاد وتجديد حقيقي؟

- قلت أن "العالم الإسلامي في حاجة ملحة إلى التجديد الديني ورؤية متجددة للفقه"، ما هي ملامح التجديد الديني بشكل عام والفقهي بشكل خاص؟

لم يجد الفقهاء حرجا ان يصرحوا بهذه الحقيقة الواضحة، واستخدموا عبارة حكيمة تعد من روائع الفقه العالمي: وهي أن النصوص متناهية والحوادث غير متناهية وان ما يتناهى لا يضبط ما لا يتناهى....

مثل هذه التصريحات الفقهية المتينة والحكيمة يتم وصفها اليوم في العقل الفقهي الانفعالي المتعالي بأنها شك بالقران وكفر بالسنة، وأن هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأنه كتاب الله وحكمه وأمره للأولين والغابرين والحاضرين والأتين والآخرين....

وبعيداً عن العقل الانفعالي الإطلاقي الذي يحاكم الأشياء بعواطفه ويحجم عن حكم العقل وبرهانه فإن الأمة منذ عصر عمر بن الخطاب أعلنت عن الحاجة إلى مصدر إضافي على النص يحقق أهدافه وهو القياس، ونص عبارة عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري: الفهم ..الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب الله تعالى ولا سنة نبيه، اعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور بنظائرها.

ولكن القياس على النص نفسه لم يصمد أكثر من قرن واحد عندما أعلن أبو حنيفة أن القياس لا يأتي دوما بالحلول المناسبة وأنه يجب العدول عن القياس إلى الاستحسان وأعلن بالفعل بداية عصر العقل وانتهاء عصر القياس على النص وأن

الاستحسان هو السبيل لمعرفة الأحكام والحكم على الأحداث والشعوب والمستجدات في كل زمان ومكان، وعرفه تعريفا يقطع كل جدل بقوله: الاستحسان ما يستحسنه المجتهد بعقله، وفي عبارة أخرى هو دليل ينقدح في عقل المجتهد يعسر التعبير عنه.

لم تكن ثورة أبي حنيفة سهلة، فقد تضمنت الإعلان الصريح أننا أمة العقل لا أمة النص، ولم تمر دون حفلة تخوين هائلة، كان أهونها كتاب الامام الشافعي الغاضب إبطال الاستحسان ومن استحسن فقد شرع، وقول سفيان الثوري: إنه ينقض عرى الإسلام عروة عروة، وقول الإمام مالك إنه يكيد الدين ومن كاد الدين كاده الله!!!

ومع ذلك فقد ثبت أبو حنيفة وأصر على الاستحسان المذهل الذي هو في الواقع احتكام إلى العقل والبرهان والشورى بمعايير قد تتجاوز ظاهر النص إلى مقاصده.

بالطبع ذهب بعض الفقهاء فيما بعد إلى اختراع تعريفات للاستحسان لا يرضاها أبو حنيفة ولا ترضي طموحه، وتعيد طموح العقل إلى قفص النص، وتجعله نوعاً من القياس وهو أبعد ما يكون عن طموح أبي حنيفة.

باختصار: علينا أن نأخذ من تراث الآباء الجذوة..... وليس الرماد!

- ثمة تياران فكريان متعارضان في العالم الإسلامي الأول يقدس الماضي ويدعو للعودة إليه والثاني يرفضه بشكل كامل، ما تقييمك للتياران ومدى الحاجة إلي أي منهما؟ وما الذي يحتاجه العالم الإسلامي بالفعل؟

ان ما نطالب به من تقديم العقل واحترام النقل هو المنهج الذي ساد في التاريخ الإسلامي وطبقه بعناية وشجاعة الفقهاء الكرام الذين تصدوا لأمر الناس ونجحوا في تقديم قوانين وشرائع يحتكم إليها المجتمع.

إننا لا نعيد اختراع الحروف ولا صناعة المطبعة، ما نطالب به هو ببساطة الطريق التي سلكها العالم فجر العصر الحديث من البحث والنظر والنقد البناء وتمكن من خلال ذلك من عبور العصور الوسطى المظلمة إلى العصر الحديث.

إنها حكاية واحدة يمكنك رصدها في أوروبا وأمريكا واليابان والصين وسائر الدول العظمى التي عاشت معاناتنا المريرة من صراع العقل والنقل، وجربت لقرون طويلة حسم هذه المعركة العابثة، وأعلن رجال الدين فيها حروباً صليبية مقدسة للقضاء

على الزنادقة والهراطقة والعلمانيين، فيما أعلن العلمانيون أنهم سيشنقون آخر ملك بأمعاء آخر قسيس، ولكن كل هذه الوعود الثارية لم تأتهم بالتقدم المأمول ولا بالحلول الواقعية لتشظي المجتمع، وفي النهاية انتصر صوت العقل في العواصم الحضارية الناجحة وتبنت دساتيرها وإعلانات استقلالها صيغة من احترام النقل واتباع العقل، وهكذا أشرق فجر الحضارة وتوقفت حروب الأديان.

هذا بالضبط ما نحتاج أن نصل إليه لنطوي عصر الخيبات والاصطفافات، وننجح أيضاً في احترام النقل وإكرام العقل، وبناء مجتمع منسجم ينظر إلى الماضي باحترام وينظر إلى المستقبل بقداسة وأمل

- في رأيك ما هو الفرق بين رجل الدين والفقيه، وما هي سمات الفقيه التي نحتاجه في العصر الحالي؟

رسالة الفقهاء في التاريخ الإسلامي هي إنتاج الأحكام الملائمة في سائر شؤون المعاملات وليس روايتها كما يقوم به المحدثون.

وأنا أفرق بشدة بين طبقة رجال الدين وطبقة الفقهاء فبينما يقوم رجال الدين ومعهم الرواة والمحدثون بمهمة النقل فإن مهمة الفقهاء ومعهم الحقوقيون هي إعمال العقل وإنتاج الأحكام بناء على مصالح الأمة وتجارب الأمم مع الاستنارة بنور القرآن الكريم.

والفقهاء وفق ما أفهمه وأعلمه هم علماء الاجتماع والقانون والأساتذة الحقوقيون الذين درسوا الشريعة باتقان ودرسوا شرائع الأمم وأصول الاستنباط وباتوا قادرين على التشريع بما يناسب الزمان والمكان.

وقد بت مقتنعاً أننا نمتلك منهاجاً حقيقياً لتطوير الإسلام يفترض أنه حظي تاريخياً بتأييد تيار عريض من الخلفاء والفقهاء والفلاسفة، فيما يرفض هذا التوجه بشدة معظم رجال الدين ومعهم بالطبع جمهور آخر كبير يلتزم منطق ما وجدنا عليه آباءنا، ويرى في رجال الدين ورثة للأنبياء، ويعتبر ما اختاره الفقهاء والفلاسفة من تطوير الإسلام ليس إلا تجاوزاً للثوابت، وأن المطلوب منهم ليس بيان برهانهم وحججهم بل التوبة والعودة إلى ما كان عليه السلف من رجال الدين، وتحديد مصادر الشريعة بمصدرين اثنين فقط هما الكتاب والسنة، والتشكيك بالمصادر الأخرى باعتبارها عبثاً بالثوابت، وأن الأفق العقلي المأذون به هو فقط تفسير النص

الـديني والاجتهـاد فيـه وذلـك وفق قواعـد وشروط معقـدة تمنع التفكير خـارج الصندوق وتوجب على المجتهد اتباع منهاجية صارمة تمنع الاحتهاد في مورد النص وتلزمه التفكير والاجتهاد وفق ما أنجزه الأولون، ويحصرـ مقاصـــد الشرــيعة والاســتنباط منها بالقدر الذي أنجزه الأولون والرواية عنهم لا غير، وتكاد تنحصرـ فرصــة الاجتهاد عند هؤلاء على المســائل المســتجدة والقياس على ما ســبق من مسائل.

لقد شرحت ذلك بالتفصيل في كتابي: فقهاء لا كهنة الذي طبع في مصر




- ما هي الطريقة التي يجب اتباعها مع التراث الإســلامي والنظرة الدينية التقليدية وإنتاجها الفكري؟

الإســلام كائن حي يتفاعل ويتكامل ويتطور، وأن آية اكتمال الشرــيعة قد تم فهمها بطريقة خاطئة بحيث تقضي على الإبداع والإضافة، وأن الآية كانت في الواقع تبياناً لاكتمال رسالة النبي الكريم في قومه وأنه أدى رسالته في قومه على أتم وجه.

إن الإسلام الذي تأسس بالنبوة والوحي قد اغتنى تاريخياً بجهود علماء كثير وتيارات تنويرية وإصلاحية ومدارس فقهية، ولا شك أن كل الإنجارات الحقيقية للإسلام في

التاريخ أصبحت جزءاً من هوية الإسلام وقد أسهمت بشكل حيوي في التأثر بالوحي والتأثير فيه.

وتؤكد هنا أن فكرة رفض كل محدثة واعتبار كل بدعة ضـــلالة هو تعميم أدى إلى عكس المقصـود، وأوصـل الأمة إلى نتائج متناقضـة تكرس التقليد وترفض الإبداع وهو عكس ما قصدت إليه الرسالة الإسلامية.

وأنا متمسك بموقفي أن الإسلام يتوهج كل يوم ولا معنى للتوقف عند نقطة محددة باعتبارها نهاية التاريخ مهما كانت مزخرفة بقداسـة النصـوص، لأن هذا ضـد مسـير الحياة، فالعالم نفسه ليس حقيقة قارّة بل جدل متلاطم.

- كيف يمكن التعامل مع النصوص الدينية، وأي منهج يجب التعامل معها؟

القرآن الكريم وحي من الله أشرق به في قلب النبي الكريم محمد عليه الســلام، وهو الإشراق نفســه الذي شــعر به الأنبياء والحكماء والفلاســفة خلال التاريخ، ولا زال إلهاماً في الأرواح النقية والقلوب السليمة.

والقرآن نص أدبي وتربوي، ولـذلـك فهو حمّـال أوجـه ويحتمـل تـأويلات كثيرة وهو ليس كتاباً حقوقياً قانونياً صــارماً بحيث يكون له تأويل واحد، وفيه آيات محكمات هن أم الكتاب وفيه آيات متشــابهات لا يعلم تأويلها إلا الله، وهو شــفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً.

ليس في القرآن الكريم تفاصــيل وافية عن العبادات والمعاملات، بل فيه إشــارات ملهمة، لا يتكون منها نظام كاف للحياة، وبالتالي فإن هذه النصــوص هي نور يهدي وليس قيداً يأسر، أما العبادات فيتم اســتكمالها بما روي من الأحاديث الكريمة وهدي العارفين بالله، وأما المعاملات فقد حكم عليها الرســول الكريم بقوله أنتم أعلم بأمور دنياكم، والأمة ببرلماناتها ومجالس التشــريع فيها تسترشد بنوره ولكنها تحتكم إلى مصالح الناس وقواعد العقد الاجتماعي.




والقرآن نص مقدس ولكنه محكوم بالزمان والمكان، تقيده أسـباب النزول وظروف التنزيل، وقد تعرضت عشرون آية منه للنسخ في حياة الرسول، كما استمر الفقهاء في تحديد مناطه وظروفه ودلالاته ولأجل ذلك ابتكروا منطق تخصـيص العام وتقييد المطلق وتأويل الظاهر والقول بالمتشابه، وفي سائر الأحول فهو أيضاً حقيقة ومجاز.

أما النظر إليه على أنه نص قانوني وكتاب حقوقي يفصل كل الأحكام ويلزم كل زمان ومكان فهو موقف غلو ومبالغة، وهو المقصود بوصية القرآن: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق.

- هل ثمة صراع بين العقل والنقل في الدين الإسلامي، وهل يمكن حسمه؟ وكيف ذلك؟

المقاصد العليا للقرآن هي المقاصد العليا للإنسانية، وهي لا تحتاج لمصنفات ولا كتب شارحة، هي الفطرة التي فطر الناس عليها، وهي القيم التي كان يعرفها الأعرابي حين يجالس النبي ساعة من زمان ويعلن إسلامه ويتحول إلى قومه مبشراً وداعياً...

إنها ليست أشياء تعلمها ولا هي نصوص قرأها ولا تفاسير ولا شروح... إنها ببساطة القيم المغروسة في الإنسان والتي تحتاج فقط للإرادة والعزيمة حتى يعلن المرء التزامها والعمل بها.

مات الرسول وليس للمسلمين فكرة عن مصحف مكتوب ينسخ العقل ويفرض الحقائق من الغيب، ويميز لهم الخير من الشر، وحين اقترح عمر بن الخطاب جمع القرآن اعترض ابو بكر غاية الاعتراض، واعتبر ذلك ترفاً لا مبرر له، فلم يرد أي أمر عن الرسول بهذا الشأن، وفي النهاية جرى الاتفاق على جمع الوثائق لأسباب معرفية وتراثية بحتة، ولم تخرج الوثائق من حجرة حفصة بنت عمر إلى منتصف عهد عثمان

هل كانت الأمة خلائذ بدون قيم ولا مبادئ؟ أم أن الناس كلهم كانوا يحفظون القران من الجلدة إلى الجلدة ولا حاجة للتدوين؟ يروي البخاري في الصحيح ان الذين حفظوا القران كله على عهد النبي الكريم هم فقط اربعة أشخاص كلهم من الخزرج وهم زيد بن ثابت وأبو الدرداء وأبي بن كعب وأبو زيد، والأخير ليس له ترجمة، والأربعة ليسوا هم الخلفاء ولا قادة الفتوح ولا أمراء السرايا ولا المستشارون الكبار، إنهم الخبراء الوثائقيون الذين يديرون في العادة المكتبة الوطنية في جو أبعد ما يكون عن السياسة والإدارة والحرب.

إن المقاصد العليا للقران ليست أسراراً بوهيمية ولا عجائب متخيلة إنها القيم ذاتها الذي ما زال الإنسان يناضل من أجلها بفطرته ونقائه وصفائه، هي التوحيد والعدل والمساواة والرحمة والعفاف والسلام والفضيلة والخير، والرذائل هي بالضبط ما يناضل الإنسان لمواجهته منذ فجر التاريخ وهي الشر والمكر والغدر والخيانة والشرقة والفحشاء، ومع أن فقهاء الإسلام كتبوا طويلاً في المقاصد والقيم العليا للإسلام، وربما كانت أوضح هذه الحوارات في التاريخ الإسلامي هي حوارات الحسن والقبح العقليين التي اشتهر بها المعتزلة، ودخلت في فقه أهل السنة والجماعة عبر أبي منصور الماتريدي، مع اختلاف في الألفاظ والمصطلحات.[6]

ولكن من الوهم أن نتصور أن قيم الفطرة شأن خاص بالمسلمين، بل هي القيم الإنسانية إياها التي تحدث عنها الحكماء والفلاسفة في كل العصور، والتي يمكن ببساطة اكتشافها في كل دين وفي كل حكمة وفي كل دستور وطني أيضاً.

---

6

- ما تقييمك للمشــروعات الحداثية والتنويرية، وكيف يمكن تحقيق الحداثة والنهضة في العالم الإسلامي؟

وبعيداً عن العبادات والغيب التي يلتزم فيها المؤمن نص الكتاب والسنة، فإن كاتب هذه السطور يعتقد أن الفقه الإسلامي في المعاملات يتطور باستمرار، وإن الفقهاء والخبراء ســواء كانوا من أئمة الشريــعة أو أهل الاختصـــاص من القانونيين وعلماء الاجتماع الذين تختارهم الدولة لتنظيم القطاعات الحيوية في المجتمع والتجارة والصـــناعة والســـياحة والنقل والدفاع يقومون بدور كبير وحقيقي في تطوير الفقه الإسلامي، والاستجابة لتحديات العصر الجديد، وتقديم البدائل الحقيقية للتشريع السعيد، ويمكن القول إن الدساتير الحالية في 53 دولة إسلامية من أصل 57 دولة هي دســاتير متطورة وتحكم بالعقل والمنطق والبرهان، وهي التطور المثالي للفقه الإسلامي في إطار المعاملات، وأن ما يلزمنا هو إقناع الجيل بتكامل الشرع والقانون وليس بإعلان الصراع المستمر بين الشرع والقانون كما يطالب كثير من رجال الدين.

ويجب القول أن ما نطالب به من رؤية متجددة للفقه الإسلامي قد بات اليوم أيضاً واضحاً وظاهراً في معظم التوجهات السياسية للقادة العرب والمسلمين، ولن تواجه هذه الأفكار صـــداماً ذا بال مع معظم الحكومات العربية والإســـلامية، التي باتت تقدم في الجملة خطاباإســـلامياً متســـامحاً واقعياً، وتتجنب فتاوى التشـــدد والاســـتعلاء، وتفســح المجال للخطاب التنويري بقدر ما يتناســب مع مصــالحها، وبات من الواقعي أن نعول على الخطاب الرسمي للحكومات العربية والإسلامية في كل قضـــايا التنوير مع التحفظ الشـــديد بالطبع على ما تمارســه تلك الأنظمة من سلوكيات باطشة لخدمة الاستبداد يتناقض بالكلية مع شعاراتها وبرامجها.

إن الفقه المالكي مثلاً الذي طبق في القرن الثاني الهجري وحكم به قضـــاة الحجاز وأفريقيا والأنـدلس قـد تطور اليوم إلى درجـة لافتـة، واليوم تســـتخرج قوانين المعاملات المالية في البلاد العربية من هذا الفقه المالكي، وعلى سـبيل المثال فهذه النهضـة الاقتصـادية الهائلة في الإمارات يحكمها قانون المعاملات المدنية المسـتمد بالكامل من الفقه المالكي، والذي ينظم كل ما في الدولة من عقود مع أكبر الشـركات ال

في التاريخ الإسلامي تطورت المذاهب الفقهية تطوراً كبيراً، خاصة تلك التي اعتمدتها دول إسلامية ناجحة، وألزمت القضاة باعتمادها، وقد أدى ذلك إلى تطور كبير في المذهب كما في المذهب الحنفي والمالكي، وتقوم هذه المذاهب اليوم بقيادة الحالة التشريعية في دول إسلامية أساسية، وقد باتت تملك الحلول على إجابات كثيرة، وتقوم قوانين حديثة ومتطورة على أسس الفقه الإسلامي التشريعية من استحسان واستصلاح وعرف وذرائع.

على سبيل المثال فقد شهدت الإمارات نهضة هائلة نجحت في استقدام أكبر الشركات العالمية لتنفذ مشاريعها العملاقة من جامعات ومصانع وجسور وطرقات وتكنولوجيا كشركات غوغل ومايكروسوفت وتسلا وغيرها من الأسماء الكبرى في العالم، وقد تم تظيم كافة العقود من بيع وشراء ووكالة ورهن واستصناع وفي قانون المعاملات المالية الإماراتي الذي صدر في 1258 مادة ويسمى أبا القوانين، وتنص المادة الأولى منه أنه مستمد بالكامل من الفقه الحنفي والمالكي، والذي تتكون مواده من 25 إلى 70 من قواعد فقهية مشهورة من آيات وأحاديث واستنباط فقهي.

- انتقلت في فكرتك عن إخاء الأديان من الإخاء  الديني إلى الإخاء الإنساني للبشرية كلها، كيف ذلك؟

إخاء الأديان هو المصطلح الذي أتحمس له وأنادي به، وهو يختلف عن توحيد الأديان الذي يعتبر عملاً غير واقعي ولا مفيد، وتثبت الدراسات أنه لمن يكون مقبولاً في أي دين، وكذلك فإنني ابتعدت عن مصطلح حوار الأديان الذي يحمل طابعاً تبشيرياً يركز على اللاهوت، وبالطبع فإنني ضد صراعا الأديان وصدام الأديان، وقد اخترت إخاءالأديان لانني سأقبل الثقة والتعاون والتكامل مع الأديان على ما هي عليه، ولا أحمل مشروعاً تبشيرياً لإثبات هيمنة دين على دين، ولا أحمل غاية أخرى لتشويه الأديان، بل هو بناء الثقة والمحبة بين أتباع الأديان، واحترام ما تنطوي عليه من قيم نبيلة




- ذهبت إلى أن الإخاء الديني مسألة هامة وملحة وقد دعا إليها القرآن الكريم، هل ترى في الأديان الأخرى ما يدعو إلى فكرة الإخاء الديني؟

لقد كتبت في هذا المعنى كتابي الكبير إخاء الأديان، وهو مشروع فكري رائد كرست له شطراً كبيراً من حياتي وخصصت الفصل الأول فيه للحديث عن قيم إخاء الأديان في الإسلام، وأكدت بشكل خاص أنها قيم نصية، وليس كما يتصورون أنها قيم عقلية مناهضة للنص، فنصوص الإخاء بين الأديان أكثر من نصوص البغض في الله وأقوى دلالة وأكثر حضوراً.

وخصصت الفصل الثاني للحديث عن إخاء الأديان في التاريخ الإسلامي، وبخلاف النظرة التقليدية التي تقول إن خاء الأديان هو شأن الشطح الصوفي وأن الأمة متفقة على أن الإسلام نسخ وأبطل وحرم وألغى كل قيم الأديان الأخرى فإن كتابي ذهب ليؤكد أن خمس توجهات أساسية كبرى في المجتمع الإسلامي تبدو متحمسة لإخاء الأديان، وهي تيار الفلاسفة كابن سينا الفارابي والبيروني وابن رشد، وتيار الصوفية وعلى رأسهم ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض، والتيار الإنساني وعلى رأسه عمر بن عبد العزيز والسلطان أكبر شاه ومولانا جلال الدين ومحمد إقبال، وأخيراً وهو الأهم تيار اللجان الحقوقية والتشريعية في الدول الإسلامية الذي يضم خيرة الفقهاء

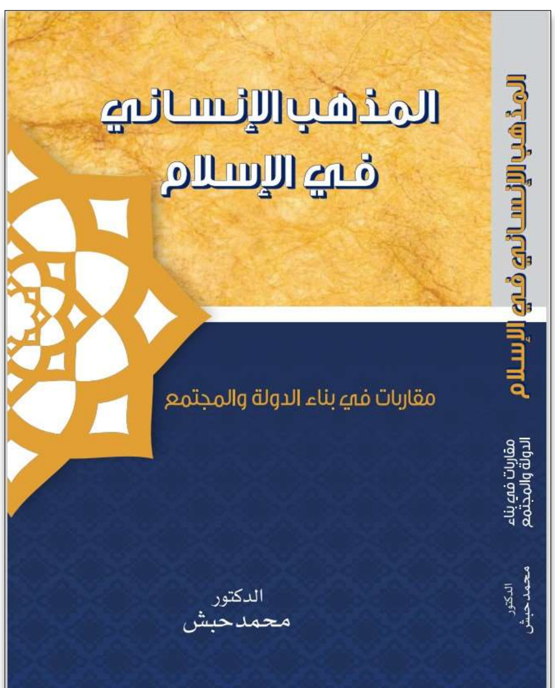
في العالم الإسلامي وقد قام هؤلاء بكتابة دساتير البلاد الإسلامية ال 57 وتنص كلها باستثناء اثنين أو ثلاثة على الإخاء والاحترام للتعدد الديني ووجوب مساواة الجميع تحت القانون.

كما خصصت الفصل الثالث للحديث عن إخاء الأديان في الأديان الأخرى، ومع أن صيغة احتكار الخلاص هي الصيغة الغالبة في خطاب الكهنوت في الأديان عموماً، ولكنني وجدت أعلاماً مؤثرين في كل دين نادوا بصراحة بإهاء الأديان، حتى في الأديان الإبراهيمية نفسها.

ولعل من المفيد القول أن ديانات الشرق عموماً لا تعرف احتكار الخلاص وهي مستعدة للقبول بالتنوع والاختلاف دون أي حمولة سلبية وقد فصلت ذلك بدقة في مقال لي منشور بعنوان: "تكنولوجيا الإيمان".

- ما الهدف من الإخاء الديني وما الذي يمكن أن تحققه هذه الفكرة للعالم الإنساني؟

الرسالة التي أعمل لأجلها هي رسالة الإخاء الإنساني، وقد شرحتها بالتفصيل في كتابي المذهب الإنساني في الإسلام.



ولكن مشكلة الكراهية في الأرض لها أسباب كثيرة، ولعل من أهمها التعصب الديني وهذه الكراهية هي التي أشعلت سلسلة حروب في هذا الشرق بشكل خاص وقد استمرت للأسف منذ عصور الفتوحات الدينية الأموية والسلجوقية والعثمانية، وبلغت ذروتها في الحروب الصليبية التي شنتها أوروبا، وكان ذلك كله بلبوس ديني صليبي واضح، وكذلك الحروب الدينية المذهبية في أوروبا التي لم تتوقف طيلة العصور الوسطى، وكذلك الكراهية المذهبية بين السنة والشيعة التي كانت وقود الحرب الظالمة بين العراق وإيران، وكذلك هي وقود حاضر في النزاعات في العراق وسوريا ولبنان واليمن.

إن إخاء الأديان يجب أن يبدأ من هنا، من اللقاء بين الأديان، لأن الأديان هي المنصة التي نصبت للتسامح ولكنها للأسف باتت مركز مشاعر الكراهية، وباتت تصدر فنون الكراهية بين شعوب الأرض.

يجب ان يبدأ الإخاء الإنساني من المعابد، ليس لأنها الأكثر قبولاً لذلك، للأسف، بل لأن أي جهد في الإخاء الإنساني سيصدم بالكهنوت الذي يأمر صصراحة بالبغض في الله، وهو بغض لا يتأسس على أي ممارسة بل على محض الاعتقاد، وهذا ما يجبرنا على العمل في هذه المنطقة الخطرة لرفع التحديات التي يواجهها دعوة الإخاء الإنساني.

باختصار المقصود هو الإنسان وليس الأديان، ولكن لا بد من عبور هذا الجسر الرهيب وتفكيك الألغام التي نصبها الكهنوت فيه للوصول إلى هذا الهدف النبيل



## الحوار الثامن: رواق ميسلون د. حسام الدين درويش[7]




حوار مع الدكتور محمد حبش حول "إخاء الأديان

أجرى الحوار: حسام الدين درويش

حسام الدين درويش: في تضادٍّ مع ذهنية التكفير وصدام الحضارات، وبالتوازي مع أفكار مقارنة الأديان وحوار الأديان ومفاضلة الأديان وتوحيد الأديان واتحاد الأديان ...إلخ، وبالتقاطع مع أفكار التسامح والمحبة وقبول الآخر واحترامه ومودته، يطرح الدكتور محمد حبش أطروحة "إخاء الأديان"، في كتابٍ يحمل العنوان ذاته، وقد صدر عن *مؤمنون بلا حدود* عام 2021. وفي الحوار التالي، نحاول تقديم أطروحة الدكتور محمد حبش حول هذا الموضوع بإيجازٍ، ومناقشة أهم الأفكار المتعلقة بها، وبحث أهم الاعتراضات عليها أو الانتقادات الموجهة لها، بغرض تعميق النقاش المتوازن في هذا الموضوع.

محمد حبش: أسمح لنفسي في بداية الحوار أن أبين للقارئ الكريم بهجتي بدخول هذا الحوار مع الباحث والمفكر الدكتور حسام الدين درويش، فالحوار هنا ليس بين صحافي وكاتب، بل بين مشروعين فكريين، يلتقيان ويفترقان، يجمع بينهما الإيمان بدور حقيقي للأمة العربية والإسلامية والإصرار على تحقيق شراكتها في المشهد الحضاري، كما يجمع بينهما الإيمان العميق بحق الناس في الاجتهاد والرأي والاختلاف.

وأجد من المناسب في مستهل هذا الحوار أن أهنئ الدكتور حسام الدين درويش على خطوته الجريئة في إطلاق منتدى تفاكر ونجاحه في جمع فريق متميز

مجلة (رُواق ميسلون) للدراسات الفكرية والسياسية والثقافية؛ مجلة بحثية علمية، فصلية، تصدر كل ثلاثة أشهر عن مؤسسة ميسلون للثقافة والترجمة والنشر، ولها رقم دولي معياري. وتُعنى بنشر الدراسات ومقالات الرأي الرصينة ومراجعات الكتب، ويتضمن كل عدد منها ملفًا رئيسًا ومجموعة من الأبواب الثابتة. وللمجلة هيئة تحرير متخصِّصة، وهيئة استشارية تشرف عليها، وتستند المجلة إلى أخلاقيات البحث العلمي، وقواعد نشر محدّدة، وإلى نواظم واضحة في العلاقة مع الباحثين، وإلى لائحة داخلية تنظّم عملية التقويم.

[7] كاتب وباحث ومحاضر في عددٍ من الجامعات الألمانية (كولن، لايبزيغ، إرفورت، ديسبورغ-إسِن). حاصل على الدكتوراه في الفلسفة، اختصاص الهيرمينوطيقا، بدرجة مشرِّف جدًا مع تهنئة من لجنة التحكيم (أعلى درجةٍ ممكنةٍ)، من جامعة بوردو 3 في فرنسا. صدر له العديد من الكتب – خمسة كتبٍ باللغة العربية، وثلاثة كتبٍ باللغة الفرنسية – بالإضافة إلى عشرات الدراسات المحكّمة والترجمات، باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية والألمانية. من كتبه (باللغة العربية): "إشكالية المنهج في هيرمينوطيقا بول ريكور وعلاقتها بالعلوم الإنسانية والاجتماعية: نحو تأسيس هيرمينوطيقا للحوار" (2016)؛ "نصوصٌ نقديةٌ في الفكر السياسي العربي والثورة السورية واللجوء" (2017)؛ "المعرفة والأيديولوجيا في الفكر السوري المعاصر" (2022)؛ و"في المفاهيم المعيارية الكثيفة: العلمانية، الإسلام (السياسي)، تجديد الخطاب الديني" (2022)؛ "في فلسفة الاعتراف وسياسات الهوية: نقد المقاربة الثقافوية للثقافة العربية الإسلامية.(2023) "

2 ديسمبر 2024

حوار مع الدكتور محمد حبش

أجرى الحوار: د.حسام الدين درويش

حسام الدين درويش :في تضادٍّ مع ذهنية التكفير وصدام الحضارات، وبالتوازي مع أفكار مقارنة الأديان وحوار الأديان ومفاضلة الأديان وتوحيد الأديان واتحاد الأديان ...إلخ، وبالتقاطع مع أفكار التسامح والمحبة وقبول الآخر واحترامه ومودته، يطرح الدكتور محمد حبش أطروحة "إخاء الأديان"، في كتابٍ يحمل العنوان ذاته، وقد صدر عن *مؤمنون بلا حدود* عام 2021. وفي الحوار التالي، نحاول تقديم أطروحة الدكتور محمد حبش حول هذا الموضوع بإيجازٍ، ومناقشة أهم الأفكار المتعلقة بها، وبحث أهم الاعتراضات عليها أو الانتقادات الموجهة لها، بغرض تعميق النقاش المتوازن في هذا الموضوع.

محمد حبش :أسمح لنفسي في بداية الحوار أن أبين للقارئ الكريم بهجتي بدخول هذا الحوار مع الباحث والمفكر الدكتور حسام الدين درويش، فالحوار هنا ليس بين صحافي وكاتب، بل بين مشروعين فكريين، يلتقيان ويفترقان، يجمع بينهما الإيمان بدور حقيقي للأمة العربية والإسلامية والإصرار على تحقيق شراكتها في المشهد الحضاري، كما يجمع بينهما الإيمان العميق بحق الناس في الاجتهاد والرأي والاختلاف.

والأسئلة هنا ليست مجرد محاولة لفهم الفكرة بل هي إسهام فيها وتعميق لها، حيث يقدم دكتور درويش في كل سؤال إضافة معرفية قيمة، كما يحفز المراجعات العميقة للوصول إلى شواطئ أكثر استقراراً ووضوحاً.

وأجد من المناسب في مستهل هذا الحوار أن أهنئ الدكتور حسام الدين درويش على خطوته الجريئة في إطلاق منتدى تفاكر ونجاحه في جمع فريق متميز من المثقفين الذين يعيشون في الحوض العربي الألماني، ويتبادلون فيه الثقافة والتفاكر مبشرين بولادة جديدة لأفق معرفي حضاري يصل ابن سينا وابن رشد بهيغل وفيورباخ ويبشر بمنصة فلسفية ومعرفية تتسامى على أطماع السياسة والجغرافيا وتجمع الإرادة الخيرة على الشاطئين المتلاعنين خلال تاريخ طويل.

حسام الدين درويش :أشكرك، جزيل الشكر، على كلماتك الطيبة، وأود، بدايةً، معرفة قصة كتابك "إخاء الأديان": متى، وكيف ظهرت، لديك، فكرته؟ ومن ثم، كيف تطورت وتبلورت إلى أن أصبحت كتابًا. وما أطروحتك الرئيسة في هذا الخصوص؟

محمد حبش :منذ نشأتي في مدارس التعليم الشرعي، كان تحكمني فكرة غايات الرسل، فالمسألة في الإسلام تشكل ثلث الإيمان حيث ينبغي على كل مسلم أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وأمام هذه الحقيقة الاتفاقية فإن عليك أن تعلن بوضوح إيمانًا تامًا بالكتب والأنبياء، وهذا ما يفعله المسلمون كافة، ولكن الشروحات التي ألقاها التراث على نص الإيمان جعلته في غير معنى، وبدلًا من أن يكون الإيمان بالرسل والكتب مدخلًا لبناء أوثق العلاقات مع 87 في المئة من سكان الكوكب الذين يؤمنون بالأنبياء والرسل والأديان، فإنك تجد نفسك مدعوًا لتكفير الجميع، والطعن في إيمانهم وإنكار عقائدهم وبيان ضلالهم، ووجوب العمل على التحذير من هذه الديانات ومن أتباعها ومن عقائدها واعتبار ذلك شرطًا للدعوة إلى الله.

وفي إزاء ذلك يستمر التأكيد على وجوب احترام أربعة كتب ضائعة محرفة غير موجودة و25 شخصًا في غابر التاريخ، وردت أسماؤهم في القرآن ولم نهتدِ أركيولوجيًا لأي أثر حقيقي لهم في الأرض.

وهكذا تتحول العقيدة الراسخة في الإيمان بالأنبياء والكتب من منصة جامعة للبشرية إلى فكرة هامشية منهكة تدعو لاحترام أشخاص غامضين هلكوا في الدهر لا علاقة لهم من قريب ولا من بعيد بهذا العالم الذي يموج بالأديان والعقائد.

فما معنى أن نتمسك بالإيمان بالأنبياء والكتب ونعتبرها رأس الإيمان ثم لا يكون لهذا الإيمان أي أثر في صناعة المحبة في الأرض؟ وهل تعبّدنا الله بالإيمان بأنبيائه والإساءة إلى أتباعهم؟ وما معنى أن يخلق الله البشر وهو يعلم مصائرهم إلى الجحيم ثم يكرر الخلق المرة بعد المرة؟

هذه الأسئلة وغيرها جعلتني أندفع لدراسة الوعي بعقيدة الإيمان بالأنبياء ورأيت أنه لا يستقيم على الإطلاق تصديق هذه الأفكار الاتهامية للخلق إلا عبر قدر كبير من سوء الظن بالخالق سبحانه، وهذا لا يستقيم في منطق إيمان عقلاني أبدًا.

وأما ســؤالك عن الفكرة فقد بدأت بالفعل من المعاناة، لقد تلقيت تعليمًا دينيًا تقليديًا، ووقفت على التعليم العميق لثقافة الولاء والبراء، لقد بدا واضحًا أن الثقافة الدينية الســائدة تأمرك بكراهية الآخرين حتى يدخلوا في الدين الحق، وفي حديث منســوب للبخاري أن الله يأمر آدم يوم القيامة أخرج بعث النار، فيقول يا رب وما بعث النار؟ فيقول من كل ألف تســعمئة وتســعة وتســعون! وهكذا فإن التربية التقليدية تحرض ضــد 999 بالألف من ســكان الكوكب، فكيف يمكن أن نبني المحبة في الأرض ونحن نشــحن الأجيال الآتية بهذه الثقافة الســوداء، وهو أمر لا يمكن تبريره بترك الأمر للآخرة، وأن علينا حســن المعاملة في الدنيا، فهذه الفكرة سرعان ما يرفضــها الطفل فإذا كان الله الرحمن الرحيم لن يجد لهم مكانًا إلا في النار فكيف يمكن أن يجدوا مكانًا في قلبي؟

ثقافة الكراهية لها منابت شــتى، ولكن يجب الاعتراف أنها تنمو بشــكل مرعب في الثقافة الدينية الأحادية، حين يتوقف اللقاء والحوار والإخاء وتنفجر ثقافات الكراهية، وهذا ما يجعل الحديث عن إخاء الأديان على رأس واجبات الإصلاح لبناء مجتمع رشيد.

حسام الدين درويش :لا يقتصــر كتابك على تسويغ أطروحة إخاء الأديان بواسطة الدعوة إلى إحســان الظن بالله، بل يذهب إلى ما وراء ذلك ويقدم أدلةً (دينيةً) من القرآن والسنة والإجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع والاستصحاب، إضافةً إلى الاستناد إلى ما سميتها مبادئ الفطرة والفترة والعدل الإلهي ورســالة آدم وعيال الله. كما تحدث عن المواقف الأخلاقية من إخاء الأديان والمواقف الفقهية المؤيدة والمعارضــة لهذه الأطروحة. وســؤالي، هنا، هو: ما الحجج الرئيسة التي تستند إليها في دعم تلك الأطروحة؟

محمد حبش :يبدو موقف الذين يتحدثون عن إخاء الأديان ضــعيفًا في الوســط المحافظ، وسيرمى أصحاب هذا التفكير بسهولة بالكفر والزندقة والعبث بثوابت الدين، ويفضــل كثير من أصــدقائي أن نتحدث عن الإخاء الإنســاني ولا نمس إخاء الأديان، لأننا في الواقع نواجه ثوابت من النص لا تقبل الجدل، وإذا جئتهم بآية في التسامح جاؤوك بأكثر من ذلك في التعصب والتشدد.

ولكنني في الحقيقة مختلف تمامًا في هذه المسألة وأعتبر أن الأدلة الشــرعية كافية ووافية، وهي من دون شــك أكثر من الحجج التي يســتخدمها الإقصــائيون، وقد

رصدت الفصل الأول في الكتاب لبسط الأدلة من مصادرها في مسألة إخاء الأديان وقبول العمل الصالح من كل دين، والنجاة في الآخرة لكل مجتهد نبيل، وقد توسعنا في الأدلة من مصادرها العشرة التي أشرت إليها في سؤالك، وهي الكتاب والسنة والقياس والإجماع والاستحسان والاستصلاح والعرف والذرائع والاستصحاب وشرع من قبلنا. وعلى سبيل المثال فإنه قد تكرر في القرآن الكريم في أربع عشرة عبارة {مصدق الذي بين يديه}، {مصدقًا لما بين يديه}، {تصديق الذي بين يديه}، وقد وردت هذه التأكيدات الواضحة مرارًا لدى الإشارة إلى علاقة القرآن الكريم بالنبوات الأخرى وبالكتب السماوية المنزّلة، ومن ذلك مطلع آل عمران: {ألم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم* نزل عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل* من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان*}

وفي الصيغ جميعًا تذكر الكتب السماوية بغاية الإجلال والاحترام، وأنّها تصدق القرآن الكريم ويصدقها، ولم يرد أي نص صريح في القرآن الكريم يفيد أنّ هذه الكتب قد نسخت أو بطلت أو فشلت أو تحولت إلى نصوص ضلالة، وإنما هي نصوص وحي إلهي يحمل مضامين تربوية عالية، وهي كالقرآن الكريم كلمة الله، ونوره وهداه، وإن كانت الإشارة قد وردت في الكتب جميعها أنها نور يهدي وليست قيدًا يأسر، وأن الأحكام تتغير بتغير الأزمان، وأن لكل أمة جعلنا شرعة ومنهاجًا.

وفي تأكيد هذه الحقيقة وردت نصوص واضحة في القرآن الكريم في سورة المائدة وهي من آخر سور القرآن الكريم نزولًا، وشأنها أن تكون ناسخة لا منسوخة، ومنها الآية الكريمة: {إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}.

والآية صريحة وواضحة بأنّ التوراة كتاب عظيم من الله، فيه هدى ونور، وأنّه مصدر للحكمة والنور، وأنه هدي أخذ به النبيّون والربانيون خلال التاريخ، ومن المدهش أنّ هذه الآية ختمت بالنص الذي يستخدمه الجهاديون دومًا: {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}، وهو يعني أنّ هذه النصوص السماوية متساوية، وهي تملك دورًا متشابهًا خلال التاريخ، وعندما يحكم بها الأنبياء والربانيون فهي ملزمة لسائر الرعية، وهي قانونهم وحياتهم، ولكنها تتطوّر مع القرون، وتحتاج في كل عصر جديد لشرعة ومنهاج ينسج على منوال مقاصدها. وفي

الآية دعوة أهل الكتاب للاحتكام إلى التوراة والعمل بمقاصدها، وهي تشتمل على القيم والفضائل، كما أنّ فيها من أحكام الشرائع التي تتجدد وتتغير بتغير الأزمان.

ومن المؤكد أنّ القرآن الكريم أشار إلى بعض محاولات من الكهنة وغيرهم لتحريف بعض نصوص الكتاب أو معانيه. ولا يمكن فهم ذلك على أنّه إلغاء لما في الكتب الأولى من هدى ونور، وإنّما هو بمنزلة التنبيه إلى المحاولات المستمرة لاستغلال النص الديني التي لا تتوقف، وقد حاول الأشرار فعل ذلك في القرآن نفسه.

وعلى المستوى المسيحي وردت آيات كثيرة منها قوله تعالى: {وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون}. والآية صريحة بأن الإنجيل كتاب الله وأنّه مصدر أحكام وإلهام، وفي تطبيق الإنجيل أيضًا نزلت الآية الكريمة {وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه}، والمقصود مقاصده وغاياته التي دعا إليها، ومن المعلوم أنّ الإنجيل ليس فيه شريعة، بل موعظة ونصيحة، ومع ذلك فقد جاء الوعيد شديدًا على الذين لا يحكمون بما أنزل الله فيه، والمقصود بطبيعة الحال المقاصد وليس الأحكام. وفي الآية دعوة للمسيحيين للاعتصام بدينهم وتطبيق ما فيه من الفضائل التي تشترك فيها الديانات، وهو إقرار جلي بإخاء الأديان وتساويها وتكاملها وبناء بعضها على بعض.

والأدلة كثيرة وقد أوردناها بطولها متقابلة مع أدلة المانعين، ولا يسع أحد أن يلغي اجتهاد الآخر في المسألة، ونحن نتبع أحسن ما أنزل إلينا من ربنا، ونختار لزماننا وعصرنا ما يناسبه من خيارات المفسرين والفقهاء.

حسام الدين درويش :تبدو أطروحة "إخاء الأديان" جديدةً كل الجدة من ناحيةٍ، وذات رباط وثيق وحضور أصيل في كل الحضارات والثقافات، قديمها وحديثها، من ناحيةٍ أخرى. فما الذي يعنيه مفهوم إخاء الأديان تحديدًا؟ وكيف نميزه عن المفاهيم الأخرى السائدة المختلفة عنه، والقريبة منه، والمنافسة له في الوقت نفسه، مثل مفاهيم: حوار الأديان، وحدة الأديان، المقارنة بين الأديان ... إلخ؟

محمد حبش: من المؤكد أن لكل مصطلح حمولة إيديولوجية مباشرة، كما في حوار الأديان ووحدة الأديان وتوحيد الأديان ومقارنة الأديان، وهذا كله غير مراد، ولا أشعر أنه يحقق رسالتي في الإخاء الإنساني، فمقارنة الأديان وحوارها لن ينتهي إلا إلى تبادل الريب وتشكيك المحاور بخصمه، وأما وحدة الأديان وتوحيدها فهو مشروع فاشل

وغير واقعي، ولن ينتج عنه إلا دين جديد يجمع تشوهات وتناقضات لا تجتمع في سياق.

لقد اخترت مصطلح إخاء الأديان الذي يحمل مفهوم الإخاء والاحترام للمختلف الديني أيًا كان دينه وموقفه الاعتقادي، ومن الممكن تمامًا أن تقوم كل جهود إخاء الأديان تحت عنوان لكم دينكم ولي ديني. ويجب الاعتراف أن إخاء الأديان بالمعنى الذي يقصده هذا الكتاب غير موجود على سبيل الحقيقة كمنهج متكامل وإنما تجد بعض ممارساتٍ تخدم هذه الحقيقة، وهنا تتعين الإشارة إلى نقطتين اثنتين:

الأولى: إن الغاية الإنسان لا الأديان، ولكن اختيار إخاء الأديان محورًا للدراسة كان بسبب غياب هذا الأفق، وغياب الإخاء سيولد تلقائيًا الكراهية، وبالتالي فإن الحروب الدينية التي صبغت التاريخ على شاطئي المتوسط وفي العمق الأوروبي والإسلامي أيضًا كانت نتيجة حتمية لغياب مشاعر الإخاء والاحترام بين أتباع الأديان، وقناعتي أننا لن نصل إلى أي إخاء إنساني طالما استمر التحريض الديني على الآخر المختلف، بالشكل الذي تدرسه المعاهد الشرعية الإسلامية والمعاهد اللاهوتية المسيحية واليهودية.

الثانية: أجد لزامًا علي أن أعترف أنني اعتمدت أسلوبًا رغائبيًا في شرح المسألة، ولا يمكنني وصف هذه الدراسة بالحياد الموضوعي التام، بل إنني أعترف لك بأن بها قدرًا من التبشير الواضح لفكرة إخاء الأديان، وفي هذا السياق فإنني بالفعل أستعمل الدليل المرغوب وأقوم بتأويل الدليل المرفوض، وهذا الأسلوب الذي يبدو انتقائيًا ومتناقضًا مع الأصول العلمية للبحث العلمي هو موقف حتمي للتعامل مع تراث واسع وعريض، وفيه ما فيه، من المتشابه والمنسوخ والمشكل والمؤول والمقيد والمجمل والمبهم والخفي، وهذه المصطلحات على قسوتها ورفض رجال الدين المعاصرين لها اليوم، ولكنها مصطلحات علمية منصوص عليها بهذه العناوين تمامًا في علم أصول الفقه في باب واضح النص ومشكله، وخاصة في اختيار السادة الحنفية.

لقد تحقق قدر جيّد من الإصلاح على المستوى الاجتماعي، وباتت لقاءات الأديان وتعاون أبنائها وحواراتهم جزءًا من طبيعة التحولات الاجتماعية، ولكن لم يتحقق ما يكفي على المستوى التربوي، وحين نمارس الإحسان في الذين كفروا ومعاملتهم بالودّ والبرّ والقسط كما يشير القرآن الكريم، ولكن نعتقد في الوقت نفسه أنّهم

سيُصْلَوْن نارًا وقودها الناس والحجارة كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب، فإنّنا لا نريد أن نقول: إننا طيبون ولكن الله غاشم وماكر وماقت!! وهو يســتدرجهم في الدنيا ليمارس عليهم ســادية أبدية، وهي قيم مدمّرة للبنيان الأخلاقي بكل تأكيد، ولا يمكن من وجهة نظري تبريرها إلاّ بتعسف يعصف بالمنطق كله. ويجب التأكيد أننا لا نقصد في هذه الدراسة الحديث عن اللقاءات البروتوكولية بين أتباع الأديان، وتشــجيع التعايش والمودة، وبناء ثقافة المواطنة، فهذه كلها مقاصــد نبيلة، وهي تجري باســتمرار وعلى مســتويات كثيرة، ولكننا نهدف هنا إلى البحث في الجذور، وإلى تصحيح الوعي بعلاقة المسلم بالآخر المختلف على أساس تربوي واعتقادي، وليس وفق الحاجات الاجتماعية والقانونية.

لقد تعودنا على رؤية شيوخ وكهنة على المنصات يلتقطون الصور التذكارية، ولكن هذه الابتســامات العريضــة حين ننصرــف إلى مواقعنا التقليدية سرعان ما تتحول ابتسامات صفراء، وربما غلفناها بعبارة سنستدرجهم من حيث لا يعلمون، وذرهم في غيهم يعمهون، وغيرها من العبارات التي تشي بما نتبادله في قلوبنا من تهم وريب لا يرجى معها قيام، وهو بالطبع ما نتصــوره من الآخرين حين يمارســون لقاءات الأديان من دون قناعة بنبل هذه القضية.

حســام الدين درويش :أراك تركِّز كثيرًا على مســألة أن القرآن يذكر الكتب الســماوية بغاية الإجلال والاحترام، وأنّها تصـدق القرآن الكريم ويصـدقها، وأنه لم يرد أي نص صريح في القرآن الكريم يفيد أنّ هذه الكتب قد نســخت أو بطلت أو فشــلت أو تحولت إلى نصــوص ضــلالة، وإنما هي نصــوص وحي إلهي يحمل مضــامين تربوية عالية، وهي كالقرآن الكريم كلمة الله، ونوره وهداه. وأظن أن معظم المســلمين، وربما جلهم أو كلهم، يتفقون معك في هذه النظرة. في المقابل، انت تعلم أن النظرة الشــائعة لدى المســلمين هي أن الكتب الســماوية المســيحية واليهودية الموجودة حاليًّا محرَّفة، وبالتالي فإن كل الكلام الإيجابي الوارد عنها في القرآن لا يصــدق على تلك الموجودة حاليًّا. وكما أشرت أنت محقًّا، القرآن نفســه يتضــمن إشــارات إلى بعض المحاولات الكهنوتية لتحريف هذا الكتاب الســماوي أو ذاك. فكيف يمكن لأطروحة إخاء الأديان أن تتعامل مع رؤية عموم المســلمين للأناجيل والتوراة الموجودة حاليًّا على أنها محرَّفة ومنحرفة ولا تستحق أي إجلالٍ أو احترامٍ؟

وانطلاقًا من رؤية ترنسندنتالية للحقيقة والاعتقاد، أي للشروط المؤسسة لهذين المفهومين، يمكن القول بوجود مفاضـلة وتراتبية في كل اعتقاد وفي كل تبنٍ لحقيقةٍ

ما. ووفقًا لتلك المفاضلة أو التراتبية، الصريحة أو الضمنية، يكون مضمون ما أعتقد بصحته هو الحقيقة، وما يخالفه أو يناقضه باطلٌ أو أقل حقيقةً. وبالتأكيد، ينطبق ذلك، أيضًا وخصوصًا، على الاعتقاد أو الإيمان الديني وعلى الحقيقة الدينية. وسؤالي هنا، هل هناك توتر أو تناقض أو تنافر بين وجود تلك المفاضلة أو التراتبية وأطروحتك عن إخاء الأديان؟ هل تتضمن تلك الأطروحة القول بالمساواة بين الأديان في درجة الحقيقة أو الخلاص أو الخيرية أو الصحة إلخ؟

محمد حبش :في المنطق الاستدلالي المؤسس لفكرة احترام الكتب الدينية للأديان فأعتقد أن نصوص القرآن الكريم الصريحة التي قدمناها قبل قليل وهو ما بسطنا القول فيه في الفصل الأول من الكتاب كافية للجزم بوجوب احترام الكتب الدينية للأديان التي جاء القرآن مصدقًا لما فيها، وفي عهد الرسول الكريم أشار القرآن الكريم باستغراب لموقف رجال الدين اليهود الذين يحتكمون إلى القرآن، وقال: وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين، والآية واضحة في أن حكم الله كان موجودًا في هذه الكتب في عصر الرسالة على الرغم من محاولات التحريف الذي ذكرها القرآن نفسه.

ولكن احترام هذه الكتب لا يعني اتباعها ضرورة، فالمسلم مأمور باتباع القرآن واحترام الأديان، ووقوع التحريف أو محاولات التحريف على التوراة والإنجيل لا يغض من قيمتهما، بل يوجب النظر بحذر، وهو ما يطلب من المؤمن في كل حال، ولا توجد مشكلة كبيرة نظرًا لأن فكرة النص المقدس في المسيحية مختلفة قليلًا، فهم لا يرون الكتاب المقدس نصًا إلهيًا محسومًا تلقاه المسيح، بل هو كتابات التلاميذ، وهم يقرون باستمرار بوجود الاختلاف بين هذه النسخ ويتقبلون إمكانية الاختيار منها، وهذا ما يفكك عقدة أسوار النص وقيوده لصالح فهم مقاصده ودلالاته.

وإخاء الأديان ليس معنيًا بالجدل اللاهوتي الذي يهدف إلى إثبات الحقيقة الموضوعية، بل هو يتعامل مع الواقع بأكبر قدر من الرؤية الإيجابية، ويترك أمر التحقيق الوثائقي لخبراء التاريخ والمكتبات. ومن هنا فإن إخاء الأديان لا يطالب المسلمين بالحكم على موثوقية كتب الأديان، وليس علينا تكلف تحقيق أسانيدها ورواتها، فهذا شأن أصحاب الديانة، وإنما تتلخص رسالة إخاء الأديان في البناء إيجابيًا على ما يتوفر من هذه الوثائق لصالح الإخاء الإنساني.

وأما النقطة الأخرى التي أثارها ســؤالك حول تفاضــل الأديان أو مســاواتها، فهو اعتراض وجيه، ومن المنطقي أن نقول إن فطرة الدفاع عن المعتقد الديني وتفضيله على معتقدات الآخرين هي فطرة سليمة، ولعل أوضح تعبير لها في التراث الإسلامي هو ما نقله ابن الحاجب عن السلف واشتهر أنه الإمام مالك: قولي صواب يحتمل الخطأ وقول غيري خطأ يحتمل الصــواب، فإن هذا الوعي الاجتهادي منطقي تمامًا، ولا نريد في إخاء الأديان أكثر من هذا، فمن حق كل أحد أن يعتقد بصــواب اعتقاده ويدافع عنه، لكن في إطار احترام الرأي الآخر وإعذار المخالف، والاعتصام بالضعف البشري الذي يعني احتمال اكتشاف يقين آخر.

إن ما كتبناه عن مســاواة الأديان هو حكم اجتماعي وليس لاهوتيًا، والمقصــود هو توفير فرص متســاوية في الحياة والتعبير عن الرأي، ومنح المخالف حقه الكامل في الإعذار، وليس الجزم المنطقي بانسداد سبيل التمييز ووجوب التسليم بصحة كل اعتقاد، وهو ما يقتضي تصويب المتناقضات وهو محال.




حسام الدين درويش :ولكن من قال بهذا القول من قبل؟

محمد حبش :إن الشــائع أن إخاء الأديان خيار ضــيق يختص به الفقهاء الذين ينزعون منزعًا عقلانيًا ويقدمون العقل على النقل، وهم في هذه الحالة قليلون

ونادرون، ولكن الواقع يقول غير ذلك، ويمكنني ان أصنف المتحمسين للقول بإخاء الأديان في العالم الإسلامي في مجموعات أربع:

المجموعة الأولى: مجموعة الصـــوفية من الفقهاء والعلماء والحكماء، ســـواء أكان توجههم الصوفي على أساس إعذار الخلق في إنفاذ ما أمر به خالقهم، أو على أساس حضـــور الله تعالى في كل ذات جميلة وجليلة الأمر الذي يجعل الناس جميعًا موحدين وعابدين ولو لم يحســـنوا التعبير عن ذلك، ومن هؤلاء الأئمة ابن عربي والتلمساني والجيلاني وابن سبعين والقونوي وأبي الحسن الشاذلي وغيرهم كثير لا يحصون.

المجموعة الثانية: هم فلاســـفة الإســـلام الكبار الذين اختاروا منهج الإحســـان في الخلق والسمو بالنص الديني من التفسـير الظاهر إلى التفسـير المقاصـدي، وقبلوا إخاء الأديان إيمانًا بعدل الله وشـمول رحمته، وتنزيهًا له عن العبث والظلم، ومنهم ابن ســـينا والفارابي والســـهروردي والبيروني والكندي وابن رشـــد وابن باجه وابن طفيل.

المجموعة الثالثة: وهم الفقهاء الإنســـانيون الذين جعلوا احترام الإنســـان غاية وقصـــدًا وقبلوا إخاء الأديان إيمانًا بالخير الإلهي في كل خلقه، ومظهرًا للســـمو الاجتماعي والحضاري، ومنهم إخوان الصفا وجلال الدين الرومي والسلطان المغولي أكبر شاه والملك الكامل الأيوبي، وفي عصـــرنا محمد إقبال ومالك بن نبي وروجيه غارودي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وحسن الترابي وجودت سعيد

المجموعة الرابعة: وهم فقهاء الشريـعة الذين عملوا مع الدولة الإســـلامية خلال التـاريخ وفي الواقع المعـاصر وأنتجوا لهـا نصـــوص القوانين التي تحكم النـاس، واستمروا يطورونها باستمرار، وقد قبلوا إخاء الأديان عملًا بمقاصد الشريعة العليا، والتزامًا بالقانون الدولي، ومن هؤلاء اللجان التشريـعية والأسرة البرلمانية في (52) دولة إسلامية من أصل (57) دولة إسلامية، فهذه الدول الإسلامية كلها قد انتهت إلى دسـاتير واضـحة تنص على الحرية الدينية وتكفل حق الاختلاف والتنوع، وتلزم الدولة باحترام المختلفين ورعايتهم، وفي ضوء ذلك تقوم الدول الإسلامية كما بيناه ببناء دور العبادة لغير المســـلمين أو تيســـير إقامتها واعتبار ذلك مســـؤولية دينية ووطنية أناطها الله تعالى بمن يلي أمر المسلمين ويرعى ذمتهم.

وبكل تأكيد فإن هؤلاء الفقهاء المشاركين اليوم في التشريع وعددهم بعشرات الآلاف من إندونيسيا إلى موريتانيا يحرسون القوانين من أن يكون فيها تمييز ضد المختلف دينيًا ويصرون على النص الواضح بأن المواطنين سواء ولا فضل لمسلم على غير مسلم إلا بالتقوى والعمل للصالح العام. كما يمكن ضم كثير من الشعراء والأدباء الذين كتبوا في الإخاء الإنساني، حتى نشأ في الأدب العربي أدب خاص اسمه أدب الديارات وهو يشتمل على القصص والأشعار والأمثال التي اشتهرت في حوارات المسلمين والنصارى في الأديره والكنائس والصوامع مما تزخر به كتب الأدب العربي. كما يمكن ضم مواقف نبيلة للخلفاء البارزين في التاريخ الإسلامي الذين أسسوا لهذا اللون من الإخاء بين الأديان، وخاصة الخلفاء الأمويين وعلى رأسهم عمر بن عبد العزيز، الذين أنشؤوا أقوى العلاقات مع الكفاءات المسيحية واستوزروهم ووفروا لهم فرص التفوق والانطلاق وفسحوا لهم المشاركة القوية في الحضارة الإسلامية، ونورد هنا بشكل خاص أسرة منصور بن سرجون التي استمرت من يوم الفتح إلى خلافة هشام بن عبد الملك تتولى شؤون بيت المال وقد اختتمت بأحد أفرادها البارزين جدًا وهو يوحنا الدمشقي وزير عمر بن عبد العزيز الذي كان معروفًا بشدة تدينه المسيحي، حتى رسمته الكنيسة قديسًا في ما بعد، وكذلك ما قام به في السياق نفسه الخلفاء الأندلسيون والخلفاء الفاطميون، وقد تجاوز هؤلاء المسؤولية السياسية التي تفرض بعض المجاملات إلى الوعي العميق بالإخاء الإنساني وتوفير الظروف لأفق أعلى من الحوار والمودة والإخاء.

إننا إذًا أمام مجموعة كبيرة من الخلفاء والعلماء والفقهاء والمشرعين الذين توصلوا إلى وجوب بناء الإخاء بين أتباع الأديان حماية للتلاحم المجتمعي والهوية الوطنية، وتأكيدًا لمسؤولية الدولة في خلق جو من المساواة والعدالة على صعيد المجتمع بكل تلوناته وأشكاله .ويجب القول إن رجال الدين، من الواعظين والخطباء وكذلك رجال الرواية عن السلف لم ينظروا بهذه الودية لإخاء الأديان وظلوا يرتابون في كل سعي كهذا ومن العسير أن نستخلص من الفقهاء موقفًا واضحًا في إخاء الأديان ومع ذلك فقد خصصت فصلًا خاصًا للإشارة إلى من سبق إلى ذلك من الفقهاء وهم بالطبع عدد محدود.

حسام الدين درويش :يبدو أن أطروحة إخاء الأديان التي تتبناها تتطلب إيقاف التوجه الدعوي أو التبشيري في الأديان، فهل تتبنى بالفعل هذا الموقف؟ وفي حال كانت إجابتك بالإيجاب، ألا يتعارض ذلك مع الروح الدعوية والتبشيرية للإسلام،

وفقًا لنصوصه المؤسسة ذاتها؟ وألا يمثل ذلك عقبة في وجه تبني تلك الأطروحة، من حيث إن الثمن الذي تتطلبه باهظٌ، لدرجةٍ تسمح بالتفكير في التخلي عنها؟

محمد حبش :إن الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى المحبة بين عباده، ويجب القول إن هذه الدعوة تعرضت للاغتيال في التاريخ عبر استعمال السيف لأسلمة الناس في عصور الجهاد، وما أفرزته تلك الحروب الضارية في ما بعد من شقاق وقطيعة وإرادة انتقام، وكذلك ما أفرزته من مواقف كلامية واعتقادية كرست بين الناس القطيعة والتدابر، وفي العقود الأخيرة تم استعمال المال أيضًا حيث تم إنفاق موازنات مليارية عبر سفارات إيران والسعودية تحديدًا لنشر الدعوة الإسلامية المذهبية وهو أمر كان يعود ببعض المسلمين الجدد، ولكنه كان يتم على حساب شقاقات اجتماعية وصدامات مذهبية ضارية، إضافة إلى توليد حالة من الإيمان الانتهازي تحت عنوان المؤلفة قلوبهم.

والأمر نفسه مارسته المسيحية تاريخيًا حين فرضت الإيمان بسيف الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش، ثم بقوة الاستعمار وسطوته، وما دار في فلكه من الجمعيات التبشيرية والتنصيرية، وقناعتي أن ذلك كله أبعد ما يكون عن مقاصد الدين الحق وغايات الرسل والدعوة إلى الله.

نعم إن الدعوة لإخاء الأديان ستفقد هذه الحملات مبرراتها وغاياتها، وستوقف التبشير المبرمج ضد بيئات الديانات القائمة، ولكنها في الوقت نفسه ستحقق ازدهارًا أكبر للدعوة إلى الله، الذي هو رب العالمين وملك الناس ورب الناس وإله الناس، وسينشأ في ظلال هذه الدعوة فرق من الدعاة الذين يؤمنون بالمحبة والسلام والإرادة الطيبة من كل الأديان، وسيناضلون معًا لنشر المحبة والإشراق والفضيلة، ومواجهة الجريمة والفساد والظلم والفحشاء والمخدرات، بدلًا من النضال العابث ضد أديانهم وأفكارهم واعتقاداتهم الموروثة.

شخصيًا لا أجد في دعوة إخاء الأديان ما يخرج قيد أنملة عن نصوص الدعوة إلى الله في القرآن: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، ومن أحسن قولًا ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين.

حسام الدين درويش :تتحدث عن أن (52) دولةً من أصل (57) دولةً إسلاميةً قد انتهت إلى دساتير واضحة تنص على الحرية الدينية وتكفل حق الاختلاف والتنوع، وتلزم الدولة باحترام المختلفين ورعايتهم. أنت تعلم أن ذلك لا يشمل حرية عدم

التدين أو الإلحاد. كما أن حق الاختلاف والتنوع في هذا الخصـــوص ليس متاحًا أو مصانًا ومحترمًا دائمًا. انطلاقًا من ذلك وغيره، ألا ترى أننا بحاجة إلى مفهوم "الإخاء الإنســـاني" الذي يتضـــمن الإخاء الديني، ويتجاوزه إلى الإخاء بين المتدينين وغير المتدينين؟

محمد حبش :إن ما أنجزته هذه الدول الإســـلامية الـ 52 كبير وفعال، وهو يتطور باســـتمرار، وعلى الأقل فإن النصـــوص الدســـتورية لا تحتاج لتعديلات جوهرية لحماية الأديان وتوفير الحرية الدينية، وعلينا الاعتراف بأن بعض القوانين لا تزال تحتوي على نصـــوص في التمييز، ولكن يمكن وصـــف هـذه القوانين بـأنهـا غير دســـتورية، وهي تتعدل ببطء، وحين تتوفر الإرادة الســـياســـية فإن التحول عنها إلى قوانين أكثر ملاءمة للدســـتور هو أمر ممكن تمامًا. وتعيش الأديان على المســـتوى الحقوقي والتشـــــريعي في واقع متقدم من الحرية والاحترام وحقوق الإنسان في بلاد إسلامية أساسية كمصـــر وتركيا وإندونيسيا وماليزيا والمغرب والإمارات وقطر ودول آسيا الوسطى. حتى في بلاد الشام والعراق ووادي النيل والشمال الأفريقي وباكستان والهند فإن القوانين متقدمة على الوعي المجتمعي، والمعاناة في هذه البلاد ســـببها غياب القانون لا حضـــوره، ويبقى وتر أفغانســـتان إيران الســـعودية اليمن مســـكونًا بالتمييز رافضًـا للحريات الدينية، وتراهن هذه الدراســـة على أن التغيير قادم، ولكنه لن يكون سهلًا.

وتبقى نقطة واحدة في ســـؤالك وهي ماذا عن اللادينيين، وبالتأكيد إنهم يواجهون قدرًا كبيرًا من الرهق الاجتماعي قبل المواجهة القانونية، ومع إيماني بحقهم الإنساني فإنني لست متحمسًا للمواجهة مع الجمهور لتعديل القوانين التي تعاقب على ازدراء الأديان، حيث يمكننا القول إن التوجهات الفلســـفية اللادينية موجودة في هذه الدول الـــ 52 ولها منابرها ومدارسها ودور نشرها، وكلمة السر الوحيدة المطلوبة هي عدم الاســـتفزاز، وبإمكان الفلســـفة أن تعيش في البيئات المســـلمة طويلًا إذا ألزمت نفسها بعدم الاستفزاز، سواء كان ذلك على نسق حقوقي أو فلسفي أو اجتماعي.

حسام الدين درويش :أنت تشير في كتابك إلى أن ما تهدف إليه هو الإخاء الإنساني، الإنسان، وليس الأديان. صحيحٌ أنك تبرر تخصيص المفهوم ليتمحور حول العلاقة بين المتدينين، وليس بين كل البشـــر عمومًا، بحجة أن الأديان لا تزال تشـــكل الوعي الجمعي لغالبية البشـــــر، وأن ثقافة الكراهية والتدابر تنشأ في الغالب في مجتمعات الأديان وتُبنى على أســـاس ديني. لكن ألا ترى أنه من الصـــحيح أيضًـــا أنه بدلًا من

الحديث عن إخاء الأديان أو الإثنيات أو المذاهب أو القوميات إلخ، ينبغي إعطاء الأولوية لمفهوم الإخاء الإنساني وفقًا لمنظومة حقوق الإنسان، لأن ذلك المفهوم يتضمن مفهوم إخاء الأديان ويتجاوزه ليشمل جميع البشر من دون استثناء؟ وألا ترى أيضًا أنه ثمة حاجة خاصة وملحةٌ، في العالم العربي الإسلامي، إلى هذا المفهوم الإنساني الشامل، للإخاء، والذي ينبغي لفكرة المواطنة وللقوانين والتشريعات أن تتأسس عليه وتصونه وترتقي به نظريًا وعمليًا؟ وفي كل الأحوال، ألا يتأسس مفهومك لـ "إخاء الأديان" على مفهوم "الإخاء الإنساني"، ويؤسس له، في الوقت نفسه؟

محمد حبش :العلاقة بين إخاء الأديان والإخاء الإنساني هي علاقة تكامل وليست علاقة تضاد، بل يمكن اعتبار إخاء الأديان فرعًا من الإخاء الإنساني، ولا بد من ربط إخاء الأديان في جميع مراحله بما يتم إنجازه في سياق الإخاء الإنساني. وقد بينت في الكتاب عدة مرات سبب التركيز على إخاء الأديان، وربما يتعين علي القول إنني أمارس دوري بدافع الاختصاص في إطار معالجة ثغرة نازفة في سفينة الإخاء الإنساني، فقد بات من المؤكد أن الأديان هي من يصنع العقل الجمعي لمعظم المجتمعات، وأن الدين أقوى غرائز المجتمع، ولا يمكننا أن نفكّر بالإخاء الإنساني ونحن نتخلى عن مسؤوليتنا في إصلاح الخطاب الديني، إن أي دراسة إحصائية لمركز التوجيه الأخلاقي والمجتمعي ستحملك على الاعتقاد بأن خمسين بالمئة من سكان الكوكب يقادون من معابدهم، وقد أشرت في سؤال سابق إلى تفسير ذلك، ولا أمل في الإخاء الإنساني طالما ظلت هذه المنابر تكرس الشعب المختار يهوديًا أو الكراهية الصليبية مسيحيًا أو الولاء والبراء إسلاميًا، وطالما ظلت هذه المنابر تبشر بثقافة الحب في الله والبغض في الله على أساس لاهوتي محض.

إننا لا نهدف في إخاء الأديان إلى بناء مودة بين الأديان وبناء جبهة مقاومة ضد اللادينية، إذًا سنعود إلى المربع الذي ناضلنا ضده وهو مربع الحب والولاء بين أبناء الطائفة ثم كراهية الآخرين، إن الفكرة واعية تمامًا لهذا المنزلق الخطير، وهي تصرح بأن غايتها نزع ألغام الكراهية المرصودة على طول الحدود الدينية، والانفتاح في الوقت نفسه تجاه الإنسان.

حسام الدين درويش :أصبح شائعًا تحميل الفقهاء والمشايخ ورجال الدين مسؤولية كبيرة عن السلبيات في العالم الإسلامي. فعلى سبيل المثال، يرى الباحث الأميركي التركي أحمد كورو، في كتابه "الإسلام، السلطوية والتأخُّر"، على سبيل

المثال، أن التحالف بين رجال الدين والفقهاء من ناحية والخلفاء أو السلاطين ورجال السياسة من ناحية أخرى هو السبب الرئيس لتدهور أو تأخر العالم الإسلامي وللسلطويات المنتشرة فيه. وعلى الرغم من حديثك الإيجابي عن فقهاء الشريعة الذين عملوا مع الدولة الإسلامية خلال التاريخ وفي الواقع المعاصر وأنتجوا لها نصوص القوانين التي تحكم الناس، واستمروا يطورونها باستمرار، والذين قبلوا إخاء الأديان عملًا بمقاصد الشريعة العليا، والتزامًا بالقانون الدولي، يبدو لي أنك تحمل الفقهاء مسؤولية سلبية كبيرة في خصوص انتشار ثقافة الكراهية بين متديني الأديان المختلفة. وبكلماتٍ أخرى، على الرغم من تخصيصك، في كتاب "إخاء الأديان" فصلًا للإشارة إلى الفقهاء السابقين المؤيدين لفكرة إخاء الأديان، فإنك تنظر بعين الشك والريبة عمومًا نحو هؤلاء الفقهاء. سؤالي هنا، لم هذه النظرة السلبية إلى الفقهاء ورجال الدين؟ ومن وجهة نظرك، ووفقًا لتحليلك وخبرتك، ما أسباب كون الفقهاء ورجال الدين المؤيدون لفكرة إخاء الأديان والمتبنون لها قلة عمومًا، وفي الأديان الإبراهيمية خصوصًا؟

محمد حبش :أجد من الضرورة هنا أن أكرر ما قلته حول التفريق بين رجال الدين وبين الفقهاء، فرجل الدين هو رجل رواية والفقيه هو رجل دراية، ورجل الدين معني ببناء الآخرة، والفقيه معني ببناء الدنيا، ورجل الدين يقود العبادات والفقيه يقود المعاملات، ورجل الدين يتلو الأدلة والفقيه ينتجها، ورجل الدين مصادره الكتاب والسنة، والفقيه مصادره الاستحسان والاستصلاح والعرف والاستصحاب وشرع من قبلنا وأشكال الإجماع المتعددة، وهي مصادر حاكمة على الكتاب والسنة تقيد إطلاقها وتخصص عمومها وتقضي بالنسخ والتشابه وغير ذلك من الأدوات الأصولية. ومع ذلك فإن الفقهاء تاريخيًا كانوا يعملون للدولة بمعناها الاجتماعي وليس بالمعنى الاستبدادي وقد كان النظام العالمي قائمًا على الغلبة وحق القوي في إزاحة الضعيف، وبهذا المعنى فإن الفقه لم يكن شيئًا آخر، لقد كانت رسالته أيضًا تمكين الدولة الدينية، وحماية الناس من شرور البغي الديني الذي تمارسه الدول الأخرى. ولكن مع تحول الوعي السياسي إلى الدولة الحديثة، واعتراف الدول الإسلامية بالنظام الدولي فإن الفقهاء سيكونون بالتالي في طليعة الوعي، ويقدمون للدولة بمعناها الاجتماعي الحلول الواقعية وستختلف فتاويهم بكل تأكيد في القرن الحادي والعشرين عن فتاويهم في العصور الوسطى.

ولذلك فإن الفقهاء اليوم (الفقهاء وليس رجال الدين) يدعمون إخاء الأديان، وقد أوردنا في الكتاب عددًا من المواقف اللافتة المتقدمة نقلًا عن الأزهر وأبرز المنظمات الإسلامية الكبرى وأبرز مفتي العالم الإسلامي، وهي وإن لم تصرح بإخاء الأديان ولكنها صريحة في رفض صراع الأديان وشقاق الأديان، وهذا خلاف الموقف التقليدي للفقهاء في عصر الدولة الدينية الذي كان يرى وجوب مقاتلة الذين يلوننا من الكفار ووجوب أن يجدوا فينا غلظة، ويؤكد استمرار الجهاد إلى قيام الساعة، ويمنع الجنوح للسلم إلا عن ضرورة وحاجة.

ويجب التأكيد أننا نقصد هنا الدولة بمعناها الحقوقي والدستوري والاجتماعي، وليس السلطة بمعناها الاستبدادي الغاشم، ففي هذه الحالة يقوم المستبد بالحفاظ على عرشه بكل الوسائل، وهنا فإنه ينشئ تحالفات مع الخطاب الديني المؤثر على الجمهور وهو في الغالب الخطاب التقليدي الذي يقود الناس بذهنية التحريم وليس الخطاب التنويري الذي يجعل على رأس مقاصده الحرية وحقوق الإنسان.

حسام الدين درويش :اسمح لي بالإشادة بنزاهتك (المعرفية) التي تظهر في إقرارك الصريح والجريء بوجود نصوص دينيةٍ إسلاميةٍ رافضةٍ لإخاء الأديان، وبأن المسلمين القائلين بإخاء الأديان يواجهون "ثوابت من النص لا تقبل الجدل"، وأنه إذا جئتهم بآية في التسامح جاؤوك بأكثر من ذلك في التعصب والتشدد. والسؤال هنا: كيف يمكن مواجهة هذا الأمر من المنظور المعرفي والديني؟ أنت تتحدث عن كون أسلوبك رغائبيًا، من حيث إنك تستعمل الدليل المرغوب وتقوم بتأويل الدليل المرفوض. لكن، ألا يمكن للمتعصبين الرافضين لفكرة إخاء الأديان أن يفعلوا مثل ذلك لإظهار صحة موقفهم من المنظور الديني؟ كيف يمكن للباحثين وللمسلمين عمومًا المفاضلة، معرفيًا ودينيًا، بين الموقفين، إذا كان كلاهما يتأسس على ثوابت الدين ونصوصه الأساسية المؤسسة؟ أنت تقدم أطروحتك عن إخاء الأديان على أنها مجرد تأويل، ويزخر كتابك بالحجج المتنوعة الساعية إلى إظهار معقولية هذه الأطروحة وأفضليتها. ومن المهم جدًا، في هذا السياق، إقرارك بحتمية الاختلاف في فهم المسلمين والناس عمومًا للنصوص الدينية (الأساسية)، لكن، من المهم جدًا أيضًا، من الناحية، المعرفية النظرية، والسياسية العملية، معرفة طريقة التعامل مع هذا الاختلاف والمفاضلة بين أطرافه، والاعتناء والاغتناء

به، من دون استسهال المساواة المائعة بين الرؤى المختلفة. فهل هناك معايير معرفية و/ أو أخلاقية و/ أو دينية واضحة في هذا الشأن؟

محمد حبش :يجب أن ننسب هذه الإشادة التي تقدمها لي لمصدرها الصحيح وهو الإمام علي بن أبي طالب الذي أعلن بوضوح أن القرآن حمّال أوجه، بل يجب القول إن من ألهمهم هذا المنهج هو القرآن الكريم نفسه يوم قال: اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

إن تصريح الفقهاء بوجود حسن وأحسن، وفاضل ومفضول، وجيد وأجود في القرآن الكريم والتراث الإسلامي هو مذهب قديم وقد فصل السيوطي في الإتقان أقوالهم في هذا، وانتهى إلى ترجيح رأي الجمهور بوجود الفاضل والمفضول في القرآن الكريم. إن القرآن الكريم نص أدبي وتربوي، يستخدم القصة والمثل والخبر، وليس نصًا قانونيًا حاسمًا، يقف عند مقاطع الحقوق، ولذلك تكثر فيه الحقيقة والمجاز والترادف، وهذا كله يفسح المجال لتأويلات كثيرة داخل النص، وهو ما يمارسه المفسرون منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا. ويتأطر الخلاف هنا في أنني أفهم من ذلك حق الأمة في اختيار ما يناسب مصالحها الحقيقية من النص في كل زمان ومكان، وتأويل ما لا يعارض ذلك، فيما يذهب رجال الدين إلى وجوب سؤال السلف لاختيار ما يجب العمل به وما يجب تأويله. وإن الاعتراف بأننا نمارس الانتقائية ليس أمرًا سهلًا، فهو يبدو مقتلًا للبحث العلمي، وسينتج الفرضيات المشوهة القابلة باستمرار للنقد والدحض، ولكن علينا الاعتراف بنقطتين:

الأولى :أن نص الوحي نفسه كما قدمناه حمّال أوجه، وهذه الكلمة الثورية الخطيرة نسبت في أكثر من عشرين موضعًا في كتب الأصول الأولى للخلفاء الراشدين وكبار الصحابة كابن عباس وابن مسعود، كما نقلها ابن سعد في الطبقات الكبرى والدارقطني في السنن، وفي ضوء هذه العبارة نشأت علوم خاصة لمعالجة هذا الإشكال، والحنفية يقسمون نصوص الوحي القرآني إلى قسمين: واضح الدلالة وغير واضح الدلالة، فالواضح أربعة: وهو المحكم والمبين والمفصل والنص، وغير الواضح أربعة وهو المبهم والمجمل والمنسوخ والمتشابه، وهذا التقسيم وإن كان حنفيًا ولكنه موجود لدى الجميع بصيغ متقاربة.

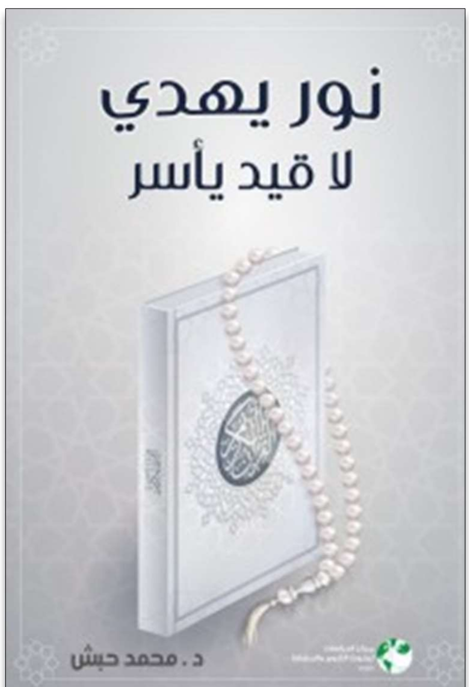
والثانية أن الجميع يمارس الانتقائية، حتى أشد الحركات الظاهرية والسلفية، وأوضح مثال على ذلك جدلهم في آيات الصفات وفرح الله وضحك الله ويد الله

ورجل الله وساق الله وهرولة الله وناقة الله ووصال الله مع عبده التقي حتى صرت يده التي يضرب بها ورجله التي يمشي بها وغير ذلك من النصوص في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المتفق عليها.

إننا جميعًا مؤولون، السنة والشيعة، والسلف والخلف، والظاهرية والفقهاء، جميعنا يمارس التأويل، فآيات إلغاء الأديان بالدين الخاتم موجودة، وآيات الأمر بالاحتكام إلى الكتب الأولى موجودة، فمن أخذ بظاهر هذه فقد تأول تلك، ومن أخذ بظاهر تلك فقد تأول هذه، وهذا حكم عقلي صرف لا سبيل لإنكاره بحال. على كل حال فإن جدل النص لن ينتهي وقد خصصت لذلك ما يكفي في الكتاب مما أقره علماء الأصول الراسخون وهو بالطبع لا يمكن فهمه بالنص الإطلاقي الذي يمارسه الوعظ الديني. ولا شك أن اعتراضك على تمييع الرؤى هو اعتراض وجيه، ولا شك أن ذلك لن يكون بدون معايير وضوابط تحكم التأويل والاختيار، وبينما يختار رجال الدين هذه المعايير وفق ما روي عن السلف، فإنني أختارها وفق مقاصد القرآن الكريم العليا من العدل والإحسان والحب والسلام، بغض النظر عن موقف السلف، مع التسليم بأنه ما من مسألة فيها قولان إلا وجدنا لكل منهما سندًا من كلام بعض السلف.

حسام الدين درويش :ثمة معنيان للتأويل وللنص: المعنى العربي الإسلامي الشائع يتحدث عن التأويل بوصفه "صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله،"، أو "إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، ...". وكما هو واضحٌ ينصب مثل هذا التأويل على كلمة أو عبارة أو جملة أو بضع جملٍ على الأكثر. والنص، وفقًا لذلك المعنى، هو أي حكم أو عبارة مكتوبة أو واردة في المصحف أو الأحاديث النبوية إلخ. في مقابل هذا المعنى الذي يبدو لي أنك تتبناه، ثمة معنى آخر للتأويل والنص. من المنظور الهرمينوطيقي. ووفقًا لهذا المنظور النص ليس مجرد حكمٍ أو كلمةٍ أو جملةٍ أو عبارةٍ، بل هو كلية متماسكة ومتشابكة ومتناغمة الأجزاء يمكن تأويلها أو بناؤها وإعادة بنائها بطرقٍ لا متناهية العدد من حيث المبدأ. فالتأويل ليس بحثًا عن معنى باطني أو مجازي مختلفٍ عن معنى ظاهريٍّ، وإنما هو بحثٌ عن فهمٍ لأجزاء النص من خلال فهم كليته، وعن فهم النص بوصفه كلًّا، من خلال فهم أجزائه. ما رأيك في هذين المعنيين للتأويل والنص، وكيف ترى إمكانية استخدامهما في المجال الديني عمومًا، وفي مجال مناقشة أطروحة إخاء الأديان خصوصًا؟

محمد حبش :ربما يناسب هذا السـؤالُ حوارًا آخر حول كتابي نور يهدي لا قيد يأسر، وأطمع أن أنجزه معك في مرحلة لاحقة، وهناك فصلت القول في طرق التأويل ومناهجه، وبين المناهج الهرمينوطيقية الثلاثة في تفسير النص على مراد القائل أو فهم المتلقي أو قواعد اللغة، وقد اخترت بحماس تفسير النص على فهم المتلقي وفق حاجاته الحقيقية، سواء وافق اللغة أو صادمها، وحددت معايير القبول طبقًا لما أعلنه المرسل من قصده للعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وغيرها من المقاصد الكبرى، وبذلك فإنني أنظر إلى النص على أنه نور يهدي وليس قيدًا يأسر، لأننا نملك التصرف بأعواد هذا القفص، وتفكيكها، وصولًا إلى المقاصد الكبرى التي أعلنها صاحب النص مما فيه خير الناس وسعادتهم، حيث بات الخير والسعادة والعدل والإحسان قابلًا للقياس اليوم بأدوات موضوعية معيارية، ولا شك بأن بناء الإخاء في الأرض على رأس هذه المقاصد. إن هذا الطموح المنفتح لفهم النصوص مقاصديًا يبدو رومانسيًا لأول وهلة، ولكنه في الواقع ليس إلا التطبيق المعاصر لما مارسه الفقهاء في مشروعهم البنائي الكبير المسمى أصول الفقه الإسلامي وأدواته.




حسام الدين درويش :إضافةً إلى العلاقة الجدلية بين فهم النص بوصفه كلًّا وفهم أجزاء النص، فإن الدائرة الهرمينوطيقية تتخذ شكل العلاقة الجدلية بين فهمنا

المسبق وفهمنا أو تأويلنا للنص. فالقارئ لا يأتي النص وذهنه صفحة بيضاء، بل يأتيه محملًا بقدرات وتوجهات وانحيازات ومنظورات معرفية وأخلاقية ومصالح اقتصادية وسياسية إلخ. وهناك من يرفض تأويلاتٍ معينةٍ، انطلاقًا من حسن الظن بالله، ومن أن الدين الإسلامي يمكن أن يكون متوافقًا مع أرقى ما تتضمنه منظومة حقوق الإنسان العالمية، من حيث رفض الرق والتمييز الأخلاقي (السلبي) بين البشر على أساس الدين أو الجنس أو الجنسية أو اللون أو الإثنية إلخ. في المقابل، هناك من يرى إمكانية فهم النص (الديني) من خلال النص ذاته فقط، ويرفض إمكانية رؤيته من خلال منظورات معرفية او أخلاقية متخارجة معه، جزئيًا ونسبيًا على الأقل؟ كيف يمكن قراءة أطروحتك عن إخاء الأديان، انطلاقًا من الرأيين المختلفين المذكورين؟ و هل يمكن القول بأن مؤثرات غير نصية مارست دورًا في تبنيك لهذه الأطروحة وفي قراءتك للنصوص الدينية، عمومًا؟

محمد حبش :لقد كتبت طويلًا في ظاهرة الغلو في القرآن، وبينما وقعت النصارى في الغلو في محبة المسيح فاتخذوه إلهًا، فقد وقعنا في الغلو في نص الكتاب، بحيث أصدرنا مجموعة من الأحكام الإطلاقية الغالية فيه، منها قدمه وأزليته وأبديته وإطلاقيته في كل زمان ومكان واعتباره صفة قائمة في الخالق نفسه!! وقد اشتد النزاع في ذلك حتى قامت حركة تنويرية شهيرة رفضت هذا الغلو، وطالبت بالقول إن القرآن مخلوق محدث وليس حاكمًا على الدهر كله، فلا مجد لأي تشريع أو دستور أن يكون صالحًا لكل زمان ومكان، وقد اشتهرت المسألة تحت عنوان محنة خلق القرآن، وهي محنة ركبتها السياسة بأبشع وجه، وأفسدت غاياتها النبيلة في بناء وعي متوازن بالقرآن الكريم.

إن الغلو في القرآن الكريم هو منطق الخوارج الذين رفضوا أي دور للعقل وأعلنوا على رؤوس السيوف لا حكم إلا لله، ومقتضى ذلك أنه لا حكم إلا للكتاب والسنة، ولكن هذا الفهم المغالي هو ما أنكره علماء السلف وفقهاؤه وفي مواجهة ذلك ابتكروا علمًا كاملًا اسمه علم أصول الفقه ونصوا فيه أن مصادر التشريع هي أكثر من الكتاب والسنة، واختاروا التشريع بالاستحسان والاستصلاح والاستصحاب والعرف، وهي في العمق المصادر العقلية للشريعة، وهي مصادر مساوية للمصدر النصي، بل إنها تتقدم عليه وفق ما قرره روادها الأوائل، ولكن هذه الحقائق لا تجد اليوم من يتبناها، حيث ارتدت هذه المصادر في تعليمنا الديني إلى شكل توصيفي لإعمال الكتاب والسنة أكثر من كونها مصادر حقيقية منتجة. إن الاتباع الأصم

للنص الذي يجحد أدواته التأويلية لن يؤدي إلى أي نتيجة، إنه سيجعله نصًا بلا مقاصد، ويستحيل في النهاية أن يصدر عنه وعي محكم قابل للبرهان، بل إنه سيتعامل من دون أدنى شك مع العشرات من ظواهر النصوص باللغة التأويلية إياها لينسجم مع الموقع الذي انطلق منه.

ومن هنا فإن هذه الدراسة لا تتقنع، بل تسفر عن هدفها بوضوح وهو بناء إخاء إنساني بين أتباع الأديان، وستتبع ظواهر نصوص وتؤول ظواهر نصوص أخرى، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله، أو بتعبير القرآن فإننا نتبع أحسن ما أنزل إلينا من ربنا وأكثره مناسبة للزمان والمكان والإخاء.

حسام الدين درويش :أنت تعلن، في الكتاب، تمايز أطروحتك في إخاء الأديان عن اللقاءات البروتوكولية بين أتباع الأديان، وتشدد على أن أطروحتك تهدف إلى البحث في الجذور، وإلى تصحيح الوعي بعلاقة المسلم بالآخر المختلف على أساس تربوي واعتقادي، وليس وفق الحاجات الاجتماعية والقانونية. كما تنتقد، في هذا السياق، الشيوخ والكهنة الذين يمارسون لقاءات الأديان من دون قناعة بنبل هذه القضية. ألا ترى أن الأولوية هي للممارسة والفعل، مع غض النظر جزئيًّا عن مضمون الوعي والاعتقاد. فليس مهمًّا إن كان الآخر يراني كافرًا أو غير كافرٍ، المهم ألا يسعى إلى فرض رؤيته المختلفة عن رؤيتي علي أو إلى معاقبتي على ذلك الاختلاف. فالاحترام المطلوب هنا هو احترام الفعل والسلوك، وليس احترام الشعور أو الاعتقاد المنفتح. وفي كل الأحوال سيبقى كل متدين يرى أن دينه أفضل، لدرجةٍ أو لأخرى من الأديان الأخرى، وهذا هو حال كل اعتقادٍ عمومًا. المهم هنا ألا يكون لدى أي طرف الحق في فرض رؤيته الدينية على غيره، وألا تكون هناك أي ممارسة متأسسة على ذلك الحق المزعوم. ما رأيك؟

محمد حبش :إن تجربتي مع الأداء البروتوكولي للإخاء بين الأديان محزنة ومريرة، لقد كنت أراهم على منصات اللقاء طافحين بالأمل والبشارة وعميق الود، ولكنني كنت أراهم في منابرهم الخاصة بعد ذلك يلتمسون المعاذير لما جرى، وأنها إيلاف قلوب ليس إلا، وأنه لا رجاء من كافر لا يعرف توحيد ربه، وحدّه جهنم وبئس المصير، وأظن أن الأمر نفسه كان يجري في الطرف الآخر. وحين كتبت أول مقالاتي في إخاء الأديان بعبارة واضحة توجب احترام أديانهم وعقائدهم تلقيت علقة

ساخنة وفصلت من وظيفتي الأكاديمية، وهتفت منابر الأوقاف والفتوى في سوريا ببيانات علنية قاسية ضدي على المنابر مع أن الأوقاف والفتوى كانتا تمارسان الشيء نفسه على المنصات. إن تكفير الأديان ليس أمرًا سهلًا، وليس مجرد موقف أبستمولوجي كما يحلو للمتشددين وصفه، ولا هو إطار نظري في حدود حرية الفكر بحيث تكفر بقرآني وأكفر بصليبك ونتبادل التكافر بمرح!! بل هو موقف خطير تستتبعه ضرورة تطبيق أحكام القرآن في الكافرين من وجوب جهادهم وقتالهم وإرغامهم دفع الجزية وهم صاغرون، وهي مسائل تلقائية ينتجها الفقه التقليدي ولا شك أن عدم تطبيقها ليس حسن أخلاق بقدر ما هو التربص لمجيء الفرصة المواتية لتطبيق هذه الأحكام. وهذا الوعي المشوه نفسه مارسته الكنيسة في العصور الوسطى وحين أفتت بكفر المسلمين وأنهم يعبدون الشيطان أباحت لكل محارب في هذه الحروب قتل كل من يعترض طريقه من رجال ونساء وأطفال، فالجميع حري باللعنة، ولا تكن فيهم أرحم من ربك الذي وعدهم جهنم وبئس المصير. وإن احترام دين الآخرين وتقدير إيمانهم لا يعني قبول ما يعتقدون، ولكنه يستلزم التوقف عن تحقير ما يعتقدون، والعمل على بناء جيل يحترم الاختلاف في الدين، ويأذن بالخلاف الديني على الأقل كما نأذن بالخلاف المذهبي، مع الاحترام لأدلتهم وقواعدهم.

حسام الدين درويش :لمَاذا نحتاج إلى مفهوم إخاء الأديان عمومًا، وفي العصر الراهن وفي السياق العربي/ الإسلامي منه تحديدًا أو خصوصًا؟ هل ثمة مشكلة حقيقية ومهمة في هذا الصدد؟ وكيف، وإلى أي حدٍّ، يمكن لمثل هذا المفهوم أن يسهم في حل هذه المشكلة وتجاوزها أو التخفيف من نتائجها وسلبياتها على الأقل؟

محمد حبش :قال الملحد: لماذا إخاء الأديان؟ الأديان خرافة.. والإخاء بينها خرافة أخرى!! وقال المتشدد: لماذا إخاء الأديان؟ الدين الحق واحد وما بقي فهي أباطيل وظلام يجب القضاء عليها وليس الإخاء معها – لا مصالحة مع الأصنام.

وجوابي: إن إخاء الأديان بالفعل غير موجود، ولكن علينا أن نصنعه، وثقافات الأديان قائمة على تبادل المحبة مع المؤمنين والكراهية مع الكافرين، وهذه الكراهية صنعت الحروب في الماضي وهي تصنع البغضاء في الحاضر. ولكن الدين يبقى أقوى غرائز المجتمع، وهو حاضر بقوة ومستمر، وهناك 87 في المئة من الناس يؤمنون بدين ما (وفق مراكز الإحصاء العالمية) ويمكن القول إن نصف سكان الكوكب يقادون من معابدهم !!لا رجاء في سلام إنساني إلا بإخاء الأديان، ولا

أمل في مجتمعات مستقرة إلا بإخاء الأديان، وتغيير الصورة النمطية التي تأمر بمحبة المؤمنين وبغض اللامؤمنين.

ويجب القول: إنّ ثقافة الكراهية لم تقف عند حدود المختلف في الدين، بل دخلت أيضًا إلى المختلف في المذهب، واتخذت شكلًا أشد ضراوة وعنفًا، ويمكن القول: إنّ أكثر من عشرة حروب حقيقية في الشرق الأوسط قامت في العقود القريبة على أساس طائفي، أو كان البعد المذهبي جزءًا رئيسًا في إيقاظ نوازع الحرب وتبرير الكراهية. وتمضي عقيدة احتكار الخلاص إلى الغاية في نصّ مشهور رواه الترمذي وأحمد: افترقت اليهود إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي ثلاثة وسبعين فرقة كلّها في النار إلاّ واحدة. وعلى الرغم من الجهود التأويلية الكثيرة التي قدّمها الفقهاء، وكذلك الجهود النقدية التي قدّمها الرواة، ظلت هذه الروايات أهم دوافع الإقصاء والكراهية، ونشأت تيارات كثيرة تتبنّى البغض في الله بين التيارات المنقسمة، سُنّة وشيعة وصوفية وسلفيّة وظاهرية ومؤوّلة وإسلاميّين وعلمانيّين.

وبات التساؤل مطروحًا: هل الأصل في علاقات الأديان الكراهية والعداوة، وهل تعبدنا الله تعالى ببغض المخالفين في الدين، وهل انتمى المولى سبحانه لهذه الأمّة الناجية فبات لا يرى في الأمم كلها إلاّ الجهل والخيبة والضلال، ومنح شفاعته لهذه الأمّة دون سواها، وأسئلة كثيرة باتت تدفع المسلم الملتزم إلى غياهب الحيرة والضياع، وتكرّس واقعًا مضطربًا يفترض التآمر بين الأنبياء والأمم والآلهة، وأنّ الخير والفضيلة والمحبّة مجرّد أوهام يستخدمها الإكليروس في سيطرته على الإنسان.

هذا القلق وهذه الحيرة دفع بجيل كامل من الشباب إلى أفق حائر مرتاب، وبات يضطرب في وعيه بين اتجاهين اثنين: التنكّر لدينه أو التنكّر لعقله، وبين أن يمضي موغلًا في الماضي ويخرج من الحاضر، أو يعيش الحاضر ويحتقر الماضي، ولا شك في أنّ هذه الخيارات كلّها لا تنمّ عن سلوك سليم ولا تنتج جيلًا منسجمًا مع نفسه ومع محيطه. ومع أنني لست متفائلًا بفرص النجاح السريعة لمبدأ إخاء الأديان ولكنني أشعر أننا سياق من الأمم، وأنّ الأمم التي حققت نجاحًا حضاريًا حققت من ثم تقدمًا جيدًا نحو إخاء الأديان، فإنّ الفائض الحضاري ينتج فائضًا أخلاقيًا، وقناعتي أنّ كل خطوة نخطوها صوب المجتمع المتحضّر الذي تسود فيه العدالة والقانون هي من ثم خطوة نحو إخاء الأديان، وما ترسمه هذا الغاية النبيلة من بناء مجتمع آمن ومستقرّ وسعيد.

وتجدر الإشارة أنّنا حين نقاوم بشدة احتكار الخلاص فليس ذلك بدافع من مسؤوليتنا في تنظيم الدار الآخرة، أو مشاركة الله في الحساب وتحديد منازل الناس فيها، فالحساب بيد الله، والخلاف في شكل الدينونة وتفاصيلها بالغ التعقيد والتفاوت بين الأديان، ومن الحماقة أن ننصب أنفسنا فيها قضاة وجلاّدين، وربما لا تكون لدى الناس قناعة أصلًا بتفاصيل العالم السماوي، ولكن ما نبحث عنه بدقة هو خطاب الكراهية الناشئ أصلًا من توعد الآخر بنار جهنّم، وتحديدًا في تصور المسلم أنّ البشرية ذاهبة إلى نار جهنم، وهو اعتقاد بالغ الأذى في تربية الجيل، حيث تتأسس التربية، هنا، على احتقار الناس وازدرائهم، وسوء الظن بالخالق الذي يخلق الناس إلى جهنّم ولا يبالي.

وتصر هذه الدراسة على أن جوهر العقيدة الدينية يمكن أن يتأسس على الإخاء بين أتباع الأديان، ووقف كل أشكال الاشتباك القائم على الكراهية، على الرغم من وجود نصوص رافضة لذلك، وهنا يتم التعامل مع هذه النصوص بأدوات أصول الفقه الإسلامي المرنة والشاملة والتي تكرس في كل أصولها وفروعها مبدأ اختلاف الأحكام باختلاف الأزمان، وحق الفقيه بالقول بالتقييد والتحصيص والنسخ والتشابه في كثير من نصوص القرآن.

حسام الدين درويش :يبدو (لي) أنك تنسب دورًا سلبيًّا مبالغًا به لثقافة الكراهية السائدة ولغياب حالة إخاء الأديان. فأنت تتحدث عن أن الحروب الدينية التي صبغت التاريخ على شاطئي المتوسط وفي العمق الأوروبي والإسلامي كانت نتيجة حتمية لغياب مشاعر الإخاء والاحترام بين أتباع الأديان، وعن أنه "لا رجاء في سلام إنساني إلا بإخاء الأديان، ولا أمل في مجتمعات مستقرة إلا بإخاء الأديان، وتغيير الصورة النمطية التي تأمر بمحبة المؤمنين وبغض اللامؤمنين"، وترى أن أكثر من عشرة حروب حقيقية في الشرق الأوسط قد قامت في العقود القريبة على أساس طائفي، أو كان البعد المذهبي جزءًا رئيسًا في إيقاظ نوازع الحرب وتبرير الكراهية. ألا ترى أنك تفرط في تضخيم الدور السلبي للأديان عمومًا ولثقافة الكراهية الدينية خصوصًا؟ وفي هذا الإفراط أو التضخيم، ألا ترى أنك تغيِّب دور العوامل السياسية والاقتصادية خصوصًا؟ فحتى إذا كانت ثقافة الكراهية الدينية تمارس ذلك الدور السلبي الكبير، ما سبب وجود أو شيوع هذه الثقافة وما أو من الذي جعلها تسود؟ ألا تتحمل الدولة والسلطة الحاكمة (جزءًا من) المسؤولية عن ذلك؟ أفهم أنك مختصٌّ بالأمور الدينية، وأنك تتحدث عن الموضوع من زاوية هذا الاختصاص،

لكن ألا ترى ضرورة الإشـــارة إلى وجود عوامل أخرى غير دينية، لا تقل أهمية عن العوامل الدينية، بل قد تفوقها أهمية؟

محمد حبش :لا شك أن هناك عوامل أخرى وراء قيام الصـــراعات، وبشكل أساسي الخطط الســـياســـية للحكام والملوك وإرادات التوســـع والهيمنة، وربما كان علي أن أوضـــح ذلك، ولكنني أكتب من زاوية اختصـــاصي، وأؤكد هنا أن مســـؤولية الدولة كبيرة في مواجهة ثقافة الكراهية، ويجب القول إن الأنظمة العربية الثورية وجدت في هذه الثقافة السوداء صدى طبيعيًا لمشـــــروعها الثوري في المقاومة والممانعة، ومواجهة الغرب، فالتكفير هنا ضرورة مكملة، حيث يتولى النظام الثوري اتهام العالم الغربي بالتآمر والعدوان والاستعمار، ويتولى الخطاب التقليدي وصف العالم الغربي بالكفر وانحطاط الأخلاق، وبذلك فإن التعصـــب في شـــقه الديني والقومي يؤدي وظيفة واحدة في خدمة الاســـتبداد، ومنع قدوم الديمقراطية والمحاســـبة وحقوق الإنسان.

وفي الواقع فلا يمكن التقليل من دور التعصب الديني في نشـــر الكراهية، لقد قامت الحروب الصـــليبية تحت عنوان صـــارخ لا يحتمل أي تأويل وهو الصـــليب، وعلى أطرافه حشـدت الجيوش الأوروبية الغازية، وأعلنت الحرب التي استمرت مئتي عام في كنيســـة مجمع كليرمونت على يد البابا أوربان الثاني 1095م، وعلى الرغم من أن المؤرخ المسـلم كان ذكيًا ولم يقبل تسـمية الحروب الصـليبية واختار اسـم حروب الفرنجة، ولكن ذلك ليس إلا لياقة دبلوماســـية، كانت تهدف إلى عدم إحراج مسيحيي الشـرق الذين وقف كثير منهم ضد الحروب الصليبية، ومع ذلك فقد كان الدافع الديني والصـليب والبابا وبطرس الناسـك وفرسـان الهيكل والقدس وكنيسـة القيامة هي العناوين الواضحة الجلية لهذه الحروب المشؤومة.

وتقتضي الأمانة العلمية أن أشير إلى أن هذه الدوافع نفسها كانت وراء حملات كثيرة من حروب الفتوحات الإســـلامية، في الفترات الأموية والعباســـية والعثمانية، وقد انطلقت الجيوش الغازية بشـعارات دينية واضـحة من الجهاد في سـبيل الله، قائمة على الاعتقاد الأساسي في محاربة الكفر ونشر التوحيد، وكانت هذه الحروب الضارية تحظى بدعم وعاظ الإســـلام وفقهائه وخلفائه، باســـتثناء فترات صـــحوة عقلانية قليلة أبرزها صـحوة عمر بن عبد العزيز الذي عاش قبل عصـــــره بألف عام، وأمر بوقف هـذه الحـروب وســـحـب الجيوش فورًا وكتـب بـذلـك إلى الأنـدلس

والقسطنطينية وبلاد ما وراء النهر، بل إنه أمر في الشـــرق خاصة بسحب الجيوش ومحاكمة الفاتحين!

أما في الواقع الحالي فإن ثقافة صراع الأديان وتكفيرها لا زالت تؤدي دورًا سلبيًا أسود في هدم ثقة المســلم بالعالم من حوله، والتعامل مع الأمم والشــعوب الأخرى بوصــفها شــعوب كفر وضــلالة، وتحميلها أوزار ما جرى في التاريخ من حروب صــليبية واســتعمار، ومن الطبيعي أن يكون في الجانب الآخر من يحمل الأفكار نفسـها، وقبل أشـهر صرح رئيس الكونغرس الأميركي الجديد مايك جونسـون بقوله: كمســيحي فإن موقفي يرســمه الكتاب المقدس وهو صريح في وجوب الدفاع عن إسرائيل ضـد أعدائها، هذا موقف ديني غير قابل للنقاش!! ومن المدهش أن كلًا من الطرفين المتعصـبين يشـتد في حربه على الاعتدال والإخاء، ويبدي إعجابًا بالصـلابة والوضوح الذي يظهر في الطرف الآخر، وهو ما يمكن اختصاره بتحالف المتطرفين!!

حسام الدين درويش :ماذا عن موقف غير المسلمين من إخاء الأديان؟

محمد حبش :لقد قدمت في الكتاب طرفًا من خبرتي وإخفاقاتي ونجاحاتي في حقل إخاء الأديان، وهي خبرة تتراكم كل يوم وتزداد وضــوحًا ونجاحًا، وتســير كما آمل لها من توفيق، ولا شـك أنها خبرة ضرورية لمن سـيسـتأنف هذه الرسـالة ويكتب فيها في ما يأتي من الأيام.

لقد قسمت الكتاب إلى أربعة فصول:

الأول: في موقف الشـــــــريعة الإســلامية من إخاء الأديان، حيث تناولت الأمر بالاســتنباط العميق من أدلة الشرـع العشرـة في الكتاب والســنة والقياس والإجماع والاستحسان والاستصلاح والاستصحاب والعرف والذرائع وشرع من قبلنا.

الثاني: في مواقف الرواد من الأئمة والخلفاء والفلاسـفة والصـوفية الذين سـبقوا إلى القول بإخاء الأديان وحققت مقالاتهم في ذلك.

الثالث: في موقف الديانات الأخرى من مسألة إخاء الأديان، حيث قمت باستعراض مواقف الأديان من هذا الأمر، وأشرت بحياد إلى الموقف الإيجابي والســلبي، وركزت بالطبع على أهم الاتجاهات المؤثرة في الأديان العشرـة الرئيسـية في العالم التي تؤمن بإخاء الأديان، وقد اسـتعرضـتها دينًا دينًا، خاصـة في المسـيحية والبوذية وديانات الشرق الأقصى، وشرحت بعض تجاربي في ذلك.

الرابع: وهو فصل خصصته لبيان جهود فلاسفة عصر التنوير الأوروبي في مواجهة ثقافة الكراهية التي روجتها الكنيسة في العصور الوسطى والتي انفجرت حروب محاكم تفتيش ضارية، وبينت الدور الإيجابي النبيل لفلاسفة التنوير، واستعرضت موقف عددٍ بارزٍ منهم في تقديم أرقى أشكال الاحترام والتقدير للرسالة والرسول، مما يمكن أن يكون منصة إنسانية جامعة في الإخاء.

بكل تأكيد فإن إخاء الأديان موقف فلسفي، ينوس بين الأديان، وسيجد له في كل دين من يقبله، وسيجد من يرفضه بشدة، وأحسب أن هذه الدراسة قد نجحت في التعريف بمواقف واضحة وحقيقية لرواد إخاء الأديان في كل دين وملة، وربما تمهد لقيام منصات تعاون وتواصل وتكامل بين هذه الشخصيات الرائدة في إخاء الأديان.

حسام الدين درويش :من الواضح أن ثقافة الكراهية (الدينية) ليست مجرد رؤية دينية أو لاهوتية مستندة إلى فهمٍ أو تأويلٍ ما لنصوصٍ دينيةٍ، وإنما هي، أيضًا وخصوصًا، حصيلة تاريخٍ طويلٍ من الصراع بين الأطراف المختلفة، ليس بين متديني الأديان المختلفة فقط، بل بين المختلفين مذهبيًّا وطائفيًّا في إطار الدين الواحد أيضًا. وفي هذا التاريخ ثمة سرديات مختلفة ومتناقضة لدى كل طرفٍ من أطراف الصراع، وغالبًا ما تشيطن كل سردية الأطراف الأخرى وتقوم بملأكة ذاتها وتصويرها على أنها كانت دائمًا أو غالبًا ضحية إجرام فعليٍّ أو مرغوبٍ من الأطراف الأخرى. كيف تتعامل أطروحة إخاء الأديان مع هذا "التاريخ الأسود والنشأة المشبوهة" لكل طرفٍ، من منظور الأطراف الأخرى. هل يتطلب الإخاء طي صفحة "التاريخ الأسود أو السلبي" أو الماضي، بكل مآسيه، وعدم الخوض فيه وفيها، أم يتطلب الكشف عما حصل فيه والحسم المنصف معرفيًّا وأخلاقيًّا في مسألة المظلوميات والضحايا؟ وهل ثمة علاقة إيجابية أو سلبية ما بين أطروحة إخاء الأديان والسعي إلى تحقيقها من جهةٍ، ودراسات الضحية والتظلّم من جهةٍ أخرى؟

محمد حبش :إن أطروحة شيطنة الآخر وملأكة الذات هي نتاج التخلف أكثر مما هي نتاج التدين، ويجب الاعتراف أن هذا ما يمارسه الكهنة باستمرار في المجتمعات المتخلفة، في حين نجحت المجتمعات الأكثر تحضرًا وثقافة أن تدعو إلى قراءات أخرى من جوهر النص الديني تأذن بالاحتفاء بالآخر المختلف وملأكة مقاصده وغاياته. وإن الموقف الذي يتأسس عليه الكد السياسي هو شيطنة الجميع، وقد قال فولتير مؤلم أنك لن تعتبر متدينًا إلا إذا قبلت بضلال الجميع ومصيرهم في الجحيم، ولن تكون وطنيًا إلا إذا قبلت بتخوين الجميع، وفي المقابل فإن الكد

الديني يجب أن يتجه إلى ملأكة الجميع، لقد فعلت الأديان في قيامها هذا الشيء تمامًا، ففي اليهودية تحترم الأديان السابقة على موسى، وفي المسيحية تحترم النبوات السابقة على المسيح، وفي الإسلام المعنى أوضح إذ يتأسس الإيمان على الإيمان بالكتب والرسل، ويتكرر النص بأن الإسلام جاء مصدقًا لما بين يديه أربع عشرة مرة في القرآن الكريم.

هذا الأمر محسوم في النص الديني في ما يتصل بما سبقه من الرسالات، ولكنه للأسف يتجه عكسًا في ما يتصل بالرسالات الآتية، وقناعتي أن الإصلاح الديني قادر أن يعالج هذه المسألة، والنص التصديقي المتكرر في القرآن يستوعب تصديق النبوات السابقة والحكمة اللاحقة، وستجد من النص الديني ألف ظهير لهذه الفكرة المتنورة. ومن هنا فإن الإسلام مثلًا لا ينظر أبدًا إلى نشأة مشبوهة للأديان ولا إلى تاريخ أسود، ويروي تراث الأنبياء بحياد ويفرض تقديسهم على الرغم من غموض الدافع الأخلاقي، ويروي عن أنبياء حاولوا ذبح أطفالهم، وألقوا بزوجاتهم وأطفالهم في الصحراء لأسباب غامضة، وآخرين أهلكوا شعوبهم وأغرقوهم وخسفوا بهم وعصفوهم بريح صرصر عاتية ومع ذلك فإنه لا يغض أبدًا من قدر هؤلاء الأنبياء ويدعو إلى افتراض الباعث النبيل وراء ذلك كله، ويؤكد في الوقت نفسه على وجود أنبياء ورسل لم يقصصهم علينا، وفي اعتقادي فإن المنصة التي توفرها النبوات في النص التأسيسي هي منصة قائمة على ملأكة الجميع وهي حرية أن تستمر لو نهض التنوير الديني بدوره النبيل.

إن المسألة في النهاية هي اختلاف نزعات اللقاء والفراق، فالناس وفاقيون وفروقيون، وقد حملوا نزعاتهم وميولهم إلى أديانهم، وفي هذه النقطة بالذات يتركز نضال الإخاء الديني، ويمكن التعبير عنه معرفيًا بأنه نقل ما أسبغه الوحي على الرسالات السابقة من قداسة وقبول إلى الرسالات اللاحقة، ورسم غاياتها ومقاصدها بقلم وفاقي تصالحي، يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم.

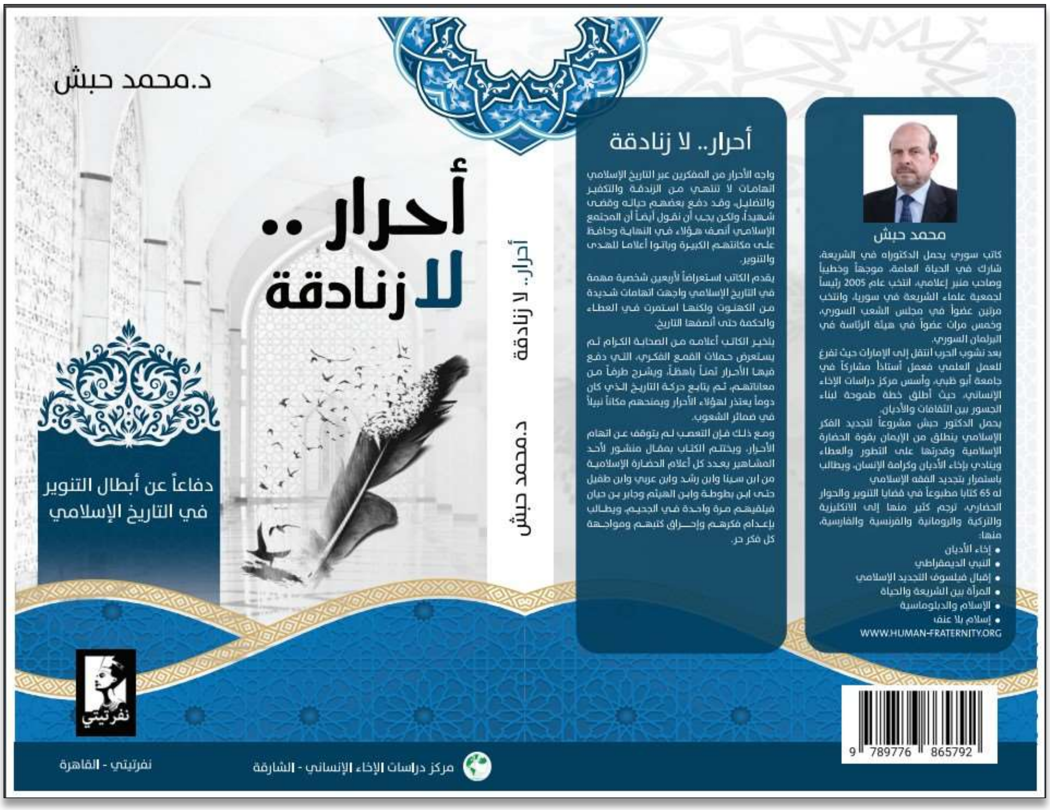
إن تناول التاريخ من منصة إخاء الأديان يفترض حسن الظن في ما جرى في التاريخ وتبرئة الجميع، والأمر نفسه كذلك في إخاء المذاهب والطوائف والعقائد، وذلك استنادًا إلى الرصيد الثري والعميق لرسالة الغفران وقيم التسامح التي هي جوهر الأديان، إضافة إلى حضور ثقافة الحساب الأخروي الذي لا يضل ولا ينسى، والذي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، مع التأكيد باستمرار أن طبيعة المولى سبحانه قائمة على الرحمة والغفران والتسامح. أما الحسم المعرفي والوصول إلى

نتائج علمية مبرهنة حول الأثر الإيجابي والسلبي الذي حققته الحركات الروحية في التاريخ فهذا شان البحث العلمي الموضوعي في مراكزه الأكاديمية ولا أعتقد أن الإكليروس بكل أشكاله مؤهل ولا هو مطالب أن يحسم في هذه المسائل.

حسام الدين درويش :يبدو الكتاب معياريًّا من حيث إنه يحاجج بضرورة إخاء الأديان، وبالنتائج الإيجابية لهذا الإخاء، وبضرورة اختيار (تأويلات) النصوص الدينية التي تؤيد هذا الإخاء وتجنب التأويلات أو النصوص الأخرى. لكن الكتاب لا يبحث في مدى تناسب تلك الأطروحة مع الواقع ومدى إمكانية تبنيها والنجاح في تطبيقها. وبهذا هو تعبيرٌ عن رغبةٍ وفشة خلقٍ معرفيةٍ، رصينةٍ، وأخلاقيةٍ، راقيةٍ، أكثر من كونه تأسيسًا معرفيًّا لحلولٍ عمليةٍ وممكنةٍ. ما رأيك؟

وفي أفق آخر وهو الاعتبار بالمآلات فهل ستجدي هذه الأطروحة إذا برهنت علميًا على صحة فرضياتها، أم أن رجال الدين لا زالوا قادرين على نسف المقولة بدعاوى الردة والزندقة وبالتالي تكون هذه الأفكار مجرد أحلام وردية لا حظ لها من الواقع ولا رجاء بها أو منها في المستقبل؟

محمد حبش :قناعتي أن التحول إلى منطق الإخاء الديني له ظهيره في العقل وظهيره في الواقع، حين تتوفر الإرادة السياسية ولا نقصد بالطبع القمع بل نقصد الفرص المتساوية فإن الأمور ستتغير بكل تأكيد، قبل عشرين عامًا كانت منابر الجمعة في العالم الإسلامي لا تخلو من دعاء على اليهود والنصارى يتفنن فيه الخطباء في هلاكهم واستئصالهم وإبادتهم، وكان ذلك شائعًا في الجزيرة العربية والشام والعراق ومصر، بما في ذلك حرم مكة والمدينة، ولكن مع صعود الإرهاب وما نتج عنه من إسلاموفوبيا وجدت الحكومات الإسلامية نفسها أمام مسؤولية حقيقية، وأصبح هذا التحقير للآخر الديني على المنابر ممنوعًا، وقام الأزهر ورابطة العالم الإسلامي والمؤسسات الإسلامية الرئيسية بخطوات متسارعة لوقف ثقافة التحقير، واليوم لن تسمع في الجزيرة العربية مثلًا أي خطبة تنتهي بدعاء كهذا، وبات هذا اللون من التحقير ممنوعًا، وأصبح الخطاب المطلوب من المساجد هو التسامح والغفران، ويمكن القول إن ثمانين في المئة من الخطاب الديني قد تحول في هذا الاتجاه.




إنه ليس ســـحرًا ولا عجائبية، فما نشرـــحه في هذا الشرـــق هو ما حققه القانون في الغرب المتحضـــــــــــر، حيث كفل للناس حرية تدينهم ولا تدينهم، وقام بحماية الأقليات في اعتقادها واحترام تقاليدها، وباتت مشـــاريع الإخاء الديني أكثر فاعلية وانتشـــارًا، مع وجوب التنبيه إلى الصرـــاع المحتدم باســـتمرار في الغرب بين تيارات الحرية التي تطالب بحق إهانة المقدس الديني وبين التيارات المحافظة المطالبة بفرض قيود على إهانة المقدس. ويعتقد كاتب هذه الســـطور أن قوانين معاداة الســامية التي أنجزها اليهود قابلة أن تتكرر وأن ينجز المســلمون حقوقيًا شــيئًا مثل ذلك لحماية مقدســاتهم، وســتكون كل هذه الإنجازات فرصًا جديدة لإخاء الأديان، وســتنحسرـ مصـارعة الأديان وتناحرها وتحقيرها إلى ركن مظلم وســتعتبر ممارســات مناهضة للقانون.

حســام الدين درويش :قد (لا) تبدو الإشــارة إلى اليهود وإلى قوانين معاداة الســامية التي أنجزوها أو أســهموا مناســبةً في الســياق العربي والإســلامي عمومًا، وفي الســياق الراهن خصــوصًــا. فمن ناحيةٍ أولى، هي مناســبةٌ لأن التوظيف الســلبي للدين في الصرـاع الســياسي مع الاحتلال الإسرائيلي/ اليهودي لفلســطين يبلغ ذروته في هذه الأيام. ولهذا الســـبب فإن الاحتقان كبيرٌ في هذا الخصـــوص. إضـــافةً إلى ذلك، إن

التوسـيع غير المعقول لمفهوم معاداة السـامية وتوظيفاته السـياسـية وتطبيقاته العملية، أصبح أكثر حضورًا وأكثر سلبيةً وأكثر إثارةً للاستهجان في السنوات الأخيرة عمومًا، وفي الفترة التالية على هجمات السـابع من أكتوبر، خصـوصًـا. ومن ناحيةٍ ثانيةٍ، لا تبدو تلك الإشـارة مناسـبةً، لأن طرح أطروحة إخاء الأديان في هذا السـياق يمكن أن يعطي الانطباع أنك تعتقد أن المشـاكل (الأسـاسـية) تكمن في الأديان، في نصوصها وفهمها وتطبيقها، وليس في الاحتلال والاستبداد والظلم وما شابه. ولهذا السـبب ولغيره، يُرجَّح أن تصـطدم تلك الأطروحة، في الأجواء الحالية، بردود فعلٍ متشـنجةٍ ومتوترةٍ وغير مستعدةٍ للفهم والاستيعاب والحوار. يضاف إلى ذلك، إن. ما رأيك في ذلك؟

محمد حبش :أنت على حق، ويبدو أنني لم أنتبه إلى مآلات طرح هذا المثال، فأنا غير معجب أبدًا بقوانين معاداة السامية التي اتخذت شكلًا قمعيًا، وتحولت إلى أداة بطش سـياسي، وقد كتبت في ذلك طويلًا إبان محاكمات روجيه غارودي قبل عقدين، ولا بأس من هذا الاعتراف لأنه سيزيد الفكرة توهجًا وتوضيحًا. وما قصدته هنا كان فكرة النضـال الحقوقي التي طالبت بها في غمار حملات الغضـب الهائجة التي انطلقت بعد فتوى الخميني ضـد سـلمان رشـدي ثم شـارلي أبيدو والرسـام الدانمركي وغيرها حيث اجتاحت العالم الإسـلامي مظاهرات مليونية غاضـبة اصـطدمت بالأنظمة وسـقط فيها مئات الضـحايا في بلاد عربية وفي باكسـتان وأفغانستان وإندونيسيا وإيران من دون أن يتعرض المسيء لأي أذى، حيث يحميه في أوروبا قانون الحريات، وهنا طالبت بالنضـال الحقوقي ليقوم المسـلمون بحماية حقوقهم عبر التغيير القانوني وليس عبر الهتاف والتظاهرات التي كانت تطالب الحكومات الغربية بالقيام بعمل غير قانوني، وهو ما جعل الحكومات الغربية في مواجهة مع الغضب الإسلامي.

أما الجزء الأخير من السـؤال فإنني لا أنكر أن جوهر الصـــراع الدموي اليوم ليس شـقاق الأديان، بل هو مشـاريع الهيمنة والمحاور في المقام الأول، وحتى في الحربين العالميتين والحرب الباردة لم يكن الشقاق الديني جوهر الصـراع، وقد تضاءلت إلى حد كبير مبررات حروب العصـور الوسـطى في الحروب الحديثة. ولكن ذلك إنما تحقق بفضل ما أنجزه فلاسفة التنوير في الغرب ضد التعصب الديني وضد سلطة الكنيسـة وصـولًا إلى الثورة الفرنسـية وما أفرزته من قيم فصـل الدين عن الدولة، ولكننا في هذا الشرق لا زلنا نعيش على تخوم القرن الثامن عـشـر، والصراع في

فلسطين مثلًا يتخذ في الأرثوذكسية اليهودية والإسلامية منصات متقابلة، وتجادل إسرائيل اليوم لتأكيد وجودها كدولة دينية يهودية، وفي المقابل فإن الجهاد المسلح ضد إسرائيل لا يزال يلهب المجاهدين بنصوص الكراهية لليهود، وتتخافت في الجانبين أصوات العقلانية والشراكة الديمقراطية، كما أن شقاق الأديان ظهر في الحرب العراقية الإيرانية وضحاياها المليونين بشكل أشد سوءًا على أساس صراع المذهب والمذهب، ولا شك أن ما أنتجه الصراع من ثقافة الكراهية تفاعل بشكل مرعب في بلاد الربيع العربي في سوريا والعراق ولا يزال، وهو أمر يفرض المزيد من الجهود للدعوة إلى إخاء الأديان وإخاء المذاهب.

حسام الدين درويش :يمكن لأطروحة إخاء الأديان أن تتشابك، تكاملًا أو تعارضًا، مع الهيمنة المتزايدة لرؤية الصوابية السياسية، والتي تمنع التناول الحر ومتعدد المنظورات لمسائل الصراع بين أطرافٍ ما بحجة عدم ملاءمة وجهات النظر تلك من المنظور الأخلاقي بالإضافة إلى عدم صحته المعرفية. فمن منظور الصوابية السياسية، ينبغي عدم الحديث عن الآخر بوصفه كافرًا، رغم أن منظوراتٍ دينيةً مختلفةً تتبنى تلك الرؤية وتراها معبرة عن عقيدتها والحق المعرفي والأخلاقي الذي تؤمن به. وبذلك يتحول تنفيذ إخاء الأديان إلى مجرد شكليات فارغة في أحسن الأحوال شبيهة باللقاءات البروتوكولية بين أتباع الأديان، أو تتحول إلى عمليات نفاقٍ وخداعٍ متبادلةٍ، في أسوأ الأحوال. السؤال هنا هو هل على الدولة أو القوى المسيطرة أن تنتصر لأطروحة إخاء الأديان وتفرضها قانونيًّا واجتماعيًّا وتعليميًّا وإعلاميًّا، حتى إن كان الأساس المعرفي السائد والقبول الشعبي لها ضعيفٌ عمومًا؟

محمد حبش :لم تعد مسؤولية الدولة تستطيع الانتظار، لقد أقرت قيم الدولة الحديثة، ولم يعد بوسع أي فريق سياسي أن يبقى خارج التاريخ، وعليه أن يستجيب لإعلان حقوق الإنسان وإلا فإنه لن تبقى دولة محترمة في العالم، ولعل أول إسقاطات إعلان حقوق الإنسان هو تقرير حق الإنسان في اختيار الدين وواجب المجتمع في احترام خياره، وهذا يعني أننا قطعنا أكثر من ثمانين في المئة من مشروع إخاء الأديان على المستوى الحقوقي. ولا أعتقد أن دعاة إخاء الأديان يحتاجون إلى حركة مأمونية اعتزالية متنورة تستخدم فيها أدوات الدولة، وتعرض المتشددين على السيف، لقد كانت ممارسات الخلفاء العباسيين المستنيرين الثلاثة ضارة جدًا على المستوى البعيد، وقدمت التنوير بصفة عميل للاستبداد، سرعان ما خضع المتوكل لرأي العامة ومارس البطش نفسه ضد فريق التنوير. كان ذلك قبل اثني

عشـــر قرنًا، ولقد أصبحنا اليوم في عصر آخر، لقد باتت الدولة الوطنية تقوم بذلك بشـــكل تلقائي وفي البلدان الإســـلامية كما أشرنا تحقق ذلك في 52 دولة وما تبقى في الدول الحقيقية هو مسألة وقت، ولن يبقى خارج ذلك إلا أشباه الدولة.

إن الأفق مؤات تمامًا لدعوة إخاء الأديان، وسيكون ترخيص أي جمعية بهذا العنوان أمرًا سـهلًا من الجهة القانونية، ولكن هذا لا يعني أن المواجهة سـهلة، لقد تم الأمر على المسـتوى السـياسي ولكن لا زال الشـارع يغلي بغضب رجال الدين الذين يرون أن الإخاء والتقارب تمييع لثوابت الدين، وإنهاء لرسالة الدعوة والتبشير الإسلامي.

إن المنصـات متاحة تمامًا لبرامج حيوية وفعالة في إطار إخاء الأديان، وهي لا تحتاج من السـلطة السـياسـية إلا الحماية في ظل القانون، وبالتأكيد لن يكون مفيدًا أن تتحول السلطة إلى مبشـر بإخاء الأديان، إن تدخلًا فجًا كهذا سيجعل المشـروع مبادرة حكومية أو حزبية، وهو ما يفقده احترامه في الشارع الثقافي والروحاني، وعلى دعاة الإخاء بين الأديان أن يراقصوا التنين من دون أن يحرقهم لهيبه.

حسـام الدين درويش :مشـكلة الكراهية والتباغض بين الأديان وضـمنها، بين الطوائف والمذاهب، مشكلةٌ عالميةٌ أو عابرةٌ للدول، ومرتبطة بمشكلاتٍ سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافيةٍ أخرى. وعلى هذا الأساس، يمكن القول إن حل هذه المشـكلة يتطلب، من جهةٍ أولى، أن يكون عالميًّا أيضًـا، وليس محليًّا، ومن جهةٍ ثانيةٍ، أن يتكامل مع السعي إلى حل المشكلات الأخرى المتداخلة مع مشكلة ثقافة الكراهية الدينية. ما تقييمك لعالمية ولشـمولية الجهود السـاعية إلى الإسـهام في تحقيق الحل المذكور، في الوقت الراهن؟

محمد حبش :لقد أشرت في الحوار إلى عدد من الحروب في الشرق الأوسط اندلعت بمشاعر دينية أو مذهبية كما هو الحال في الحرب الإيرانية العراقية وكذلك الحروب الداخلية في سـوريا واليمن والعراق ولبنان، وبالطبع الحروب اليهودية الإسـلامية. ولا شـك أن وقف التحريض الديني هو مسـألة وطنية سـياسـية بامتياز، تقوم بها الدولة وتحوكم عليها، ولكن ذلك لا يقلل من مسـؤولية المثقف والقيادات الدينية الرشـيدة في مواجهة ثقافة الكراهية، فمشـكلة الكراهية في رأيي باتت مشكلة داخلية في المقام الأول، هي شيء يصـنعه الكاهن عن عمد وإتقان، وعبارة السـادة السـلفية إن الله تعبّدنا بالبغض للكافرين والمشـركين، إنها ثقافة كاملة تدرس تحت باب كبير

اســـمه الولاء والبراء يكرس على وجه عقدي ولاهوتي خالص ثقافة كراهية الآخرين مهما بدت منهم عناصر الإحسان.

ولهذا الدور الســلبي نظائره في الديانة اليهودية في فلســطين والهندوســية في شــمال الهند والبوذية في بورما، وهو ينمو بشكل مرعب في مناطق الصراع، ولكنها في النهاية دور الكهنة الأسـود، فيما تتبرّأ الحكومات باستمرار من هذه المشاعر الطائفية. نعم لقد شــهد التاريخ حروبًا دينية ماحقة، ولكنها أصــبحت من الماضي، حيث انتهت بالكامل الحروب الصــليبية والغزوات الإســلامية، ولا يوجد دولة في العالم اليوم تكرس الاختلاف الديني سببًا في صراعاتها، حيث تندلع دومًا تحت اعتبارات الحرية والســيادة الوطنية، وبات المجاهدون أو فرســان الهيكل حين ينخرطون في هذه الحروب يتعسفون في تقديم مبرر لاهوتي للحرب، ولكن الخطاب الرسمي ظل دومًا يتحدث عن حقوق الإنســان والســيادة الوطنية، حتى في حروب البلقان الطائفية المقيتة وعلى الرغم من وجهها الطائفي القبيح ولكن ظل الخطاب الرســمي للدول المتحاربة يتحدث عن حقوق وأراضٍ وســيادات وطنية وليس عن إيديولوجيات دينية، وبناء على ذلك انتهت الحرب ولا يزال التداخل الديني على أشده.

ربما يتعين هنا اســتثناء الصــراع الإســلامي الإسرائيلي، حيث يتمســك الجمهور الإسرائيلي بالمعنى الديني للصــراع، وقد اســتقدموا مهاجريهم من أطراف الأرض تحت الوعود الدينية والواجبات الشعائرية، وهو أمر يتصاعد باستمرار مع وصول اليمين المتطرف إلى الحكومة، وتبني حكومة نتنياهو رســميًا مشــروع الدولة اليهودية. ويمكن القول إن الجانب العربي بات هنا أكثر انحيازًا لقيم الحضــارة، وتخلى في خطابه الرســمي عن الصــراع اللاهوتي، ولدينا الآن 24 دولة محيطة بإسرائيل وهي البلاد العربية وتركيا وإيران، ودون أي مبالغة فقد اختارت 23 دولة منها الحديث عن صراع سياسي على الأرض والحقوق والكرامة، ولكن بلدًا واحدًا لا يزال يتمسك بطبيعة الصراع الديني وهو إيران تحديدًا، ومن يدور في فلكها في لبنان واليمن والعراق وفلســطين، ولا أشــك أنها الذريعة الجوهرية وراء وصــول التطرف اليهودي إلى الحكم، واكتساحه الحياة السياسية في إسرائيل.

إنني أقول بصـــراحة ووضـوح إن مسؤولية المثقفين وخاصة أولئك الذين يؤمنون بإخاء الأديان وكرامة الإنســان كبيرة ومباشرة، ولا يجوز أن يبقى هذا الصراع إسـلاميًا يهوديًا، ولا يجوز أن يبقى الخلاف الســياسي في العراق ولبنان وســوريا واليمن صراعًا بين النواصــب والروافض، إنها مســؤولية المثقف أن يتوقف عن الســردية القائمة

على شياطين وملائكة، وأن يتحول الوعي الشعبي إلى فهم طبيعة الصراع بين حقوق متقابلة، يحكمها القانون الدولي، وأن يقوم الدين بدور إيجابي في هذا الصراع باتجاه وقف الحرب وبناء السلام، بعد أن مارس دورًا سلبيًا مدمرًا على المستوى اليهودي أساسًا وعلى المستوى الإسلامي أيضًا. ومن جانب آخر يتعين الإشارة إلى الإسلاموبيا والسامية فوبيا وربما في مكان آخر الصليب فوبيا، ولكن خطاب إخاء الأديان مدعو إلى مواجهة كل أشكال الكراهية ونزع فتيلها من الجذور، وسيجد بكل تأكيد حلفاء له في كل مكان في العالم.



## الحوار التاسع: جهاد عبد الله – ستيب نيوز

موقع ستيب نيوز – جهاد عبد الله   2024/3/20




قدم السيد جهاد عبد الله مطالعة تفصيلية للحوار وفق ما نشـــرناه في كتبنا، حيث جمع الأفكار وقابلها على تفاعل الجدل الذي تشتغل به الأوساط الفقهية في مصر.

وقد رأينا أن نقدم مطالعته أولاً، يليها كامل الحوار.

كتب جهاد عبد الله:

"الحجاب وعلاقة الجنسين والجنة" 3 قضايا أشعلت الجدل بتصريحات "جمعة" ومحمد حبش "يفجّر" مفاجأة حولها

أثار مفتي مصـــر السابق علي جمعة، جدلاً واسعاً خلال الأيام القليلة الماضية، بعد تصـــريحات حول مفاهيم دينية معتبرة، تتعلق بشروط العلاقة بين الجنسين قبل الزواج، والحجاب، إضـافة إلى تصريحه اللافت حول أن "الجنة ليسـت حكراً على المســـلمين"، ورغم الانتقادات والجدل لم يكن "جمعة" الوحيد الذي يرى هذه المفاهيم بتفسـيرات معاصرة بعيدة عما ورد وتناقلته الأجيال دون البحث والتفكير، حيث كشف الدكتور محمد حبش عن أصل هذه التفسيرات وحقيقتها.

وكان جمعة قال في برنامج تلفزيوني إن دخول الجنة ليس حكراً على المســـلمين وحدهم، وأن العلاقات العاطفية مباحة بشروط. وفي سـياق متصـل، تناول جمعة قضية الحجاب، مؤكداً على أنه يجب ألا يصف ولا يشف ولا يكشف، مشيراً إلى أنه لا يوجد شكل معين للحجاب الشرعي، وأن الأهم هو تحقيق الشروط الثلاثة في أي أسلوب يتبعه الشخص.

وفتحت هذه التصريحات باب النقاش حول تلك المفاهيم، وأثارت تساؤلات حول التفسيرات للنصوص الدينية وكيفية تطبيقها في سياقات الحياة اليومية.

الجنة ليست حكراً على المسلمين

يقول دكتور الفقه الإسلامي في جامعة أبو ظبي ومؤسس ومستشار مركز الدراسات الإســلامية، العالم والمفكر الإســلامي الســوري، الدكتور محمد حبش، في حديث لوكالة "ســتيب نيوز": "الأدلة كثيرة على ما ذهب إليه الشــيخ علي جمعة، وقد فصلت ذلك في كتابي إخاء الأديان، وأشهر الأدلة هي الآية الكريمة التي تكررت ثلاث مرات في القرآن الكريم بصــيغ تكاد تكون متطابقة: إن الذين آمنوا والذين هادوا

والنصـارى والصـابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صـالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون"، في إشـارة إلى تصريـح "جمعة" حول شمولية الجنة لأتباع الأديان الأخرى.




ويؤكد أن هناك نحو أربعين آية تثني على المؤمنين من أتباع الديانات الأخرى الذين أظهروا إنصـافاً واحتراماً، وقد بين القرآن ذلك بكلمتين اثنتين في سـورة آل عمرن، وهما: "ليسـوا سـواء".. معتبراً أنّ "الكارثة تكون حين نضـع الجميع في قالب واحد من محاربين ومسـالمين ثم نحكم على الناس بناء على اعتقاداتهم، في حين أن الشريعة تأمرنا بالتعامل مع الناس وفق سلوكهم."

ويضـيف: "النبي الكريم أثنى باسـتمرار على الملك النجاشي ملك الحبشـة وهو نصراني، وحين مات قال مات الليلة أخوكم أصحمة بن أبجر قوموا بنا نصلي عليه، فأنكر ذلك بعض الصحابة وقالوا كيف نصـلي على رجل من غير ديننا، فأنزل الله:

وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشـــعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب."

ويشـدد الدكتور محمد حبش أن الآية واضحة في الثناء على طائفة من أهل الكتاب يؤمنون بأديانهم ويؤمنون بالإسلام ديناً كريماً، ويقرؤون آيات الله التي أنزلت عليهم خاشــعين لله، لا يشــترون بآيات الله ثمناً قليلاً، والآية نص في أنّ الله تعالى يثيبهم أفضـل الثواب في الآخرة، "أولئك لهم أجرهم عند ربهم، ومقتضىـ الآية الكريمة أنّ الجزاء الأخروي حق لهم، وفق ظاهر الآية {أولئك لهم أجرهم عند ربهم}."

ويقول: "مقتضىـ هذه الآية أنّ الله تعالى يسـتمع الدعاء والعبادة من كل من توجّه إليه بإحســان، أياً كانت القِبلة التي يتبعها أو الديانة التي يلتزمها، حيث هو سـبحانه منزه عن الجهات والمكان، وهو أقرب إلى عباده من حبل الوريد."

ويتابع: "إضافة إلى ذلك فقد روى الطبرى عن قتادة أنّ هذه الآية نزلت في النجاشي أيضاً، فحين دعاهم الرسول للصلاة عليه وأنزلت آية آل عمران كما بينا، عاد بعض الصحابة فاعترضـوا وقالوا: إنه لم يكن يسـتقبل قبلتنا ولا يعرف صـلاتنا فأنزل الله تعالى: {ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم}."

ويجدد "حبش" تأكيده أن الآية صريحة في قبول إيمان أهل الأديان، سـواء كانوا من أهل القِبْلة أم من قبلة غيرها طالما عبدوا الله بإحسـان وأحسـنوا في عباده، حسـب وصفه.

وبالوقت عينه يعود الدكتور محمد حبش لمناقشة الرأي الآخر، مشيراً إلى أن هناك آيات معارضـــة لذلك، منها: "ومن يبتغ غير الإســـلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين"، مشـــيراً إلى أن هذه الآية قد وردت للإشـــارة إلى أن الأديان جميعاً تنتمي إلى الإســـلام الذي هو إســـلام الوجه لله، وقد نص القرآن الكريم أن الإسلام دين كل الأمم والملل التي تؤمن بالخالق العظيم سبحانه.

ويلفت أيضـــاً إلى أن هناك آيات شـــديدة وردت في المحاربين من "الكفار" وهي لا تنطبق على المختلف في الاعتقاد إذا كان مسالماً لا يعتدي على المسلمين.

ويستطرد قائلاً: "الأدلة متقابلة، ومن آمن بظاهر هذه الآيات تأول الآيات الأخرى، وكذلك فعل الطرف الآخر، والخلاصـة في آية واضـحة في سـورة الزلزلة التي يشرـح

الله فيها قيام الناس للحساب يوم القيامة يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، فقد تحدث بصيغة الناس وليست بصيغة المسلمين أو المؤمنين أو الصحابة، وهناك ختم بهذه الآية العظيمة: فمن يعمل (من الناس) مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل (من الناس) مثقال ذرة شراً يره."

وكان العديد من الفقهاء يجزمون بدخول غير المسلم حكماً إلى النار، كما قال العالم الإسلامي الشيخ عبد العزيز بن باز: "مَن مات على الكفر: يهودي أو نصراني أو غيره، إذا مات على دينه فهو في النار، الله توعَّدهم بالنار، فالكفَّار في النار يقينًا، والمسلمون في الجنة يقينًا."

أما عن القضية الأخرى التي أشعلها الشيخ علي جمعة، حول الحجاب وشروطه الثلاثة، فإن الدكتور حبش يجدد تأكيده على صحّة هذه التصريحات.

ويقول: "اتفق الفقهاء بدون استثناء أن الحجاب أدب إسلامي كريم، واتفقوا أنه ليس من أركان الإسلام والخمسة ولا هو من أركان الإيمان الستة."

ويضيف: "اتفق الفقهاء الذين قاموا بإحصاء الكبائر أن ترك الحجاب ليس منها، واتفقوا أن الأمر بالحجاب قد ورد في الكتاب والسنة، واتفقوا على أنه فرض في الصلاة والحج.

وقد وردت الإشارة إليه في القرآن الكريم مرتين: مرة بصيغة المضارع المسبوق بلام الأمر، (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) ومرة بصيغة المضارع المحض (يدنين عليهن من جلابيبهن) وورد مرة ثالثة متروكاً لتقدير المرأة (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها)."

ويتابع الدكتور "حبش" للنظر بالرأي الآخر، مشيراً إلى أن الفقهاء اختلفوا أيضاً: "هل الأمر بالحجاب أمر وجوب أم أمر استحباب؟.. الجمهور على أنه أمر وجوب... ونختار أنه أمر استحباب للأسباب التالية: إن أمر الوجوب والفرض يقترن عادة بالحدود والعقاب أو بالغضب الإلهي والوعيد بالعذاب، وهذا هو شأن الأمر بالوجوب في ترك القتل والخمر والسرقة، وليس في الأمر بالحجاب شيء من ذلك."

ويرى الدكتور "حبش" أن تعليل الحكم بالخوف على المسلمة من الأذى وفق الآية (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) يجعل تقدير الحجاب في يد المرأة المسلمة، فهي تضعه متى شاءت وتتركه متى شاءت وفق تقدير ما تتعرض له من أذى وضرر.

وحول أمر الوجوب أو الاستحباب وما ورد فيهما يقول: "هناك 62 أمر صريح في القرآن الكريم يراد به الاستحباب وليس الوجوب، ومنها على سبيل المثال قوله تعالى:" واضربوهن" فالأمر هنا أمر إباحة وليس أمر وجوب، ولو أن رجلاً نشزت عليه امرأته ولم يضرب امرأته فلا يقال له عاصياً ولا فاسقاً بل إن رسول الله نهى عن ضرب النساء وهو يرتل الآية فاضربوهن.... ومثل ذلك قوله "فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع" ... فلو أن رجلاً لم يتزوج مثنى ولا ثلاث ولا رباع فلا يسمى عاصياً ولا فاسقاً."

ويشرح أن الأمر بالاستحباب ورد أيضاً آية المداينة فقد ورد فيها الأمر بكتابة الدين ست مرات متتابعة: "إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه، وليكتب بينكم كاتب بالعدل، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله، فليكتب وليملل الذي عليه الحق، ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً او كبيراً إلى أجله، ولا يضار كاتب ولا شهيد"، مشيراً إلى أنه مع وجود ستة أوامر صريحة بالكتابة اتفق الفقهاء تيسيراً على الناس أن الكتابة مستحبة وليست واجبة وأن الديون تثبت بالبينة ولو لم تكن وثيقة مكتوبة.

ويقول: "ما ترويه الواعظات من سلخ جلود النساء بسياط من نار وكيه بالعذاب والسعير والحريق وتعليق النساء من أثدائهن فهذا كله كذب وتخريف وتشويه للدين الحنيف واحتقار للمرأة."

ويخلص الدكتور "حبش" إلى أن أمر الحجاب متروك للمرأة فهو قرارها وحريتها ومسؤوليتها، مشيراً إلى أن واجبنا أن نشرح لها الحقائق الشرعية، وأن تعلم أن الدين يسر وليس عسراً و أنه رحمة وليس عذاباً.

ورغم أن هناك تيار واسع يعارض هذا التفسير، إلا أنّ غالبية الفقهاء اتفقوا على أن الحجاب واجب على المرأة بينما اختلفوا بأمر النقاب من حيث تغطية الوجه واليدين.

فمذهب الإمام أحمد والصحيح من مذهب الشافعي أنه يجب على المرأة ستر وجهها وكفيها أمام الرجال الأجانب ، لأن الوجه والكفين عورة بالنسبة للنظر، ومذهب أبي حنيفة ومالك أن تغطيتهما غير واجبة ، بل مستحبة ، لكن أفتى علماء الحنفية والمالكية منذ زمن بعيد أنه يجب عليها سترهما عند خوف الفتنة بها أو عليها، وظلت هذه المسائل عالقة بين سطور التفسيرات للعلماء والفقهاء.

شروط العلاقة بين الرجل والمرأة

بينما كان للدكتور محمد حبش وجهة نظر مختلفة نسبياً عن علي جمعة حول قضية العلاقة بين الرجل والمرأة بدون زواج، حيث أنه بالوقت الذي يحرمها بعض الفقهاء تماماً، اعتبر "جمعة" أن لها ضوابط بسيطة منها معرفة الأهل مثلاً.

بينما يقول الدكتور "حبش": "العلاقة الاجتماعية التي تكون بين الطالب وزميلته والجار وجيرانه والرجل وقراباته والزملاء في العمل فهذه أبواب أذن الله تعالى فيها بالمحبة والخير والتراحم، والمؤمن إنسان اجتماعي بطبعه، وقد أمرنا أن نقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف، ولا يعجبني المسلم المعزول أو المسلمة المنعزلة لا تألف ولا تؤلف، وقد قال رسول الله: المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف."

ويضيف: "الشروط فلا أعتقد انها من مهمة الواعظ أو الرقيب بل هي مهمة الإنسان، وكل نفس بما كسبت رهينة، وبل الإنسان على نفسه بصيرة، واستفت قلبك ولو أفتاك الناس وأفتوك"، بينما يؤكد أن "العلاقة الجنسية فهي محرمة قطعاً إلا في ظل الزواج الشرعي والعقد الذي أمر به الله تعالى."

ورغم ذلك هناك تيار يواصل فهم بعض النصوص بوجوب تحريم المخالطة بين الرجل والمرأة، كما قال ابن باز: "نص العلماء على تحريم عمل المرأة مع الرجل في مكتب واحد وعمل واحد، يتمكن من الخلوة بها والنظر إليها والنظر إلى ما حرم الله منها ونظرها إليه نظر الشهوة والفتنة هذا من المحرمات"، واستند إلى تحريم الاختلاط وتحريم جميع الوسائل المؤدية إليه بقول الله جل بالآية القرآنية : "وَقَرْنَ فِي بيوتكن وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصلاة وآتِينَ الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا،

وَاذْكُرْنَ مَـا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَـاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَـةِ إِنَّ اللَّهَ كَـانَ لَطِيفًـا خَبِيرًا [الأحزاب:33، 34].

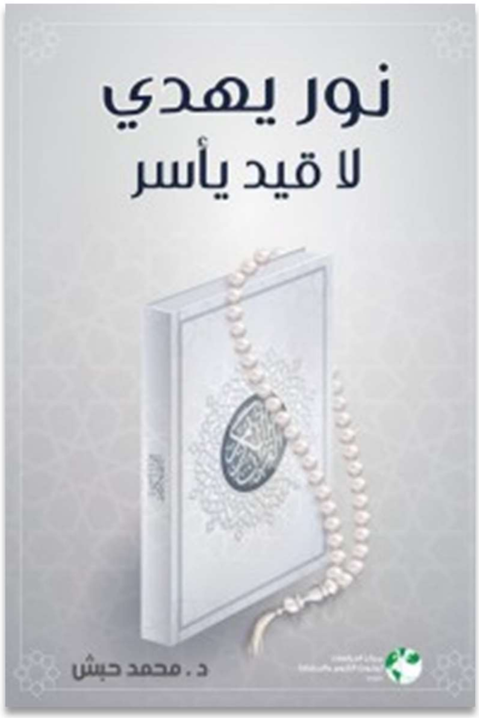
النصوص الدينية نور يهدي وليس قيد يأسر

ومع الجدل المثار حول النصـوص التفسـيرات وهي ليسـت وليدة اليوم ولم تقف مع تصريحات "جمعة وحبش"، فيرى الأخير أن "النصـوص الدينية كما أخبر القرآن الكريم منها ما هو محكم ومنها ما هو متشابه ومنها ما هو ناسخ ومنها ما هو منسوخ ومنها المخصـص والمقيد والمؤول والموقوف فيه... وهذه قواعد أصـولية كثيرة وضعها الفقهاء لإتاحة المجال للعقل ليختار ما يناسب الناس في كل زمان ومكان."

ويقول: "القرآن الكريم وحي من الله أشرق بـه في قلـب النبي الكريم محمـد عليـه السـلام، وهو الإشراق نفسـه الذي شـعر به الأنبياء والحكماء والفلاسـفة خلال التاريخ، ولا زال إلهاماً في الأرواح النقية والقلوب السليمة."

ويضـيف: "القرآن نص أدبي وتربوي، ولذلك فهو حمّال أوجه ويحتمل تأويلات كثيرة وهو ليس كتاباً حقوقياً قانونياً صارماً بحيث يكون له تأويل واحد، وفيه آيات محكمات هن أم الكتاب وفيه آيات متشـابهات لا يعلم تأويلها إلا الله، وهو شـفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا."

ويوضـح أنه ليس في القرآن الكريم تفاصـيل وافية عن العبادات والمعاملات، بل فيه إشـارات ملهمة، لا يتكون منها نظام كاف للحياة، وبالتالي فإن هذه النصـوص هي نور يهدي وليس قيداً يأسر.




ويقول:"أما العبادات فيتم استكمالها بما روي من الأحاديث الكريمة وهدي العارفين بالله، وأما المعاملات فقد حكم عليها الرسول الكريم بقوله أنتم أعلم بأمور دنياكم، والأمة ببرلماناتها ومجالس التشريع فيها تسترشد بنوره ولكنها تحتكم إلى مصالح الناس وقواعد العقد الاجتماعي."

وبالوقت عينه يؤكد أن والقرآن نص مقدس ولكنه محكوم بالزمان والمكان، تقيده أسباب النزول وظروف التنزيل، وقد تعرضت عشرون آية منه للنسخ في حياة الرسول، كما استمر الفقهاء في تحديد مناطه وظروفه ودلالاته ولأجل ذلك ابتكروا منطق تخصيص العام وتقييد المطلق وتأويل الظاهر والقول بالمتشابه، مشيراً إلى أنه أيضاً "حقيقة ومجاز."

ويشدد على أن النظر إلى القرآن على أنه نص قانوني وكتاب حقوقي يفصل كل الأحكام ويلزم كل زمان ومكان فهو موقف "غلو ومبالغة"، قائلاً: "المقصود بوصية القرآن: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق."

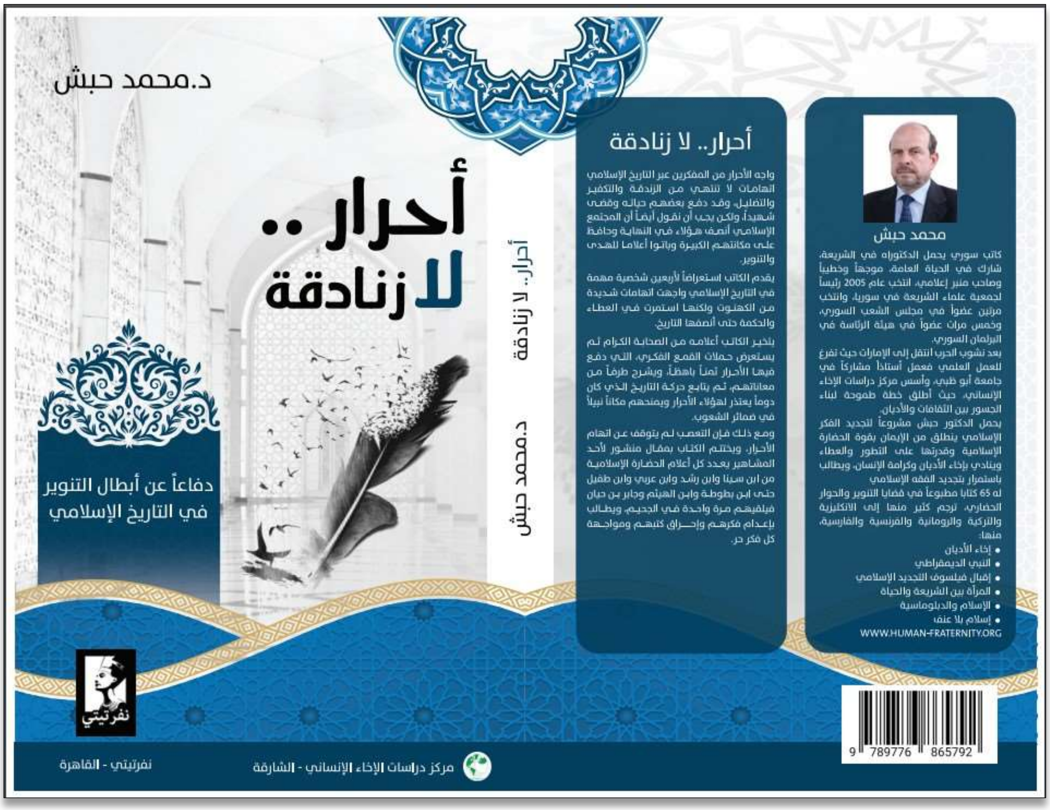
تساؤل أخير؟!

ويأتي الجدل المثار حول هذه القضايا في ظل توارث التفسيرات التي هي أيضاً نتيجة اجتهاد فقهاء من الناس وليسوا أنبياء، مما يجعل تفسيرهم يحتمل الصواب والخطأ، على اعتبار أن البشر ليسوا معصومين من الخطأ سوى الأنبياء، بحسب المتعارف بالدين الإسلامي.

وحول ذلك يقول الدكتور "حبش" : "التربية السلفية هي التي أقنعت المسلم بأن الخير في الماضي والشر في المستقبل، وأننا نرتد كل يوم إلى أرذل العمر، وأن السلامة في ترك كل جديد والعودة للقدماء. هذه القناعة هي حركة عكس التاريخ وعكس المنطق القرآني أيضاً الذي أمرنا بالضرب في الأرض واكتشاف سنن الله تعالى والعمل وفقها والاحتكام إلى العقل والعلم بعيداً عن رأي الأولين أو الآخرين."

ويضيف: "نقرأ التاريخ كله، ونتابع باهتمام وعي السلف وفهم السلف وجهد السلف، ولكن لا ينبغي أن نتحنط في شيء من ذلك، فالشاهد يرى ما لا يراه الغائب والرسول الذي كان يأمر بالشيء ويحلف عليه الأيمان كان يتراجع عنه عندما يتغير الظرف والزمان والمكان، والقرآن نفسه الذي كان يحكم بالأمر في مسالة كان يقوم بنسخها حين يظهر أمر جديد، ومع أنني لا أميل للمبالغة التي ذهب إليها ابن الجوزي وابن حزم بالقول بنسخ 225 آية في القرآن المسطور ولكنني أذهب إلى القاسم المشترك بين الصحابة والسلف والفقهاء وهو القول بنسخ 21 آية من القرآن الكريم نفسه في حياة الرسول."

ويتساءل الدكتور محمد حبش "متى سنملك الجرأة والشجاعة ونحاكم التاريخ الإسلامي أيضاً وفق مسطرة القرآن وقواعده، فنتخذه نوراً يهدي لا قيداً يأسر، ونملك الشجاعة والجرأة أن نمارس النقد البناء بشجاعة واحترام، دون أن نتهم بالتآمر على الأمة والزندقة في أحكامها والطعن في الثوابت، متى نستطيع القول عن جيل السلف كله من صحابة وتابعين وفقهاء مثل ما قال القرآن عن الأنبياء: إنهم أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون.. ويل لأمة تتقن تقديس ماضيها ولا تعمل لتقديس مستقبلها ."




(النص الأصلي للحوار) 2024/3/18

-1انتشــرت مؤخراً تصــريحات لعلي جمعة مفتي مصر السابق، أثارت جدلاً، حيث تحدث عن أن غير المســلمين يمكن أن يدخلوا الجنة أيضــاً، برأيك هل هناك دلائل على ذلك وعلى ماذا استند العالم الأزهري؟

بالطبع الأدلة كثيرة على ما ذهب إليه الشيخ علي جمعة، وقد فصلت ذلك في كتابي إخاء الأديان، وأشـــهر الأدلة هي الآية الكريمة التي تكررت ثلاث مرات في القرآن الكريم بصيغ تكاد تكون متطابقة: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صـــالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

وهناك نحو أربعين آية تثني على المؤمنين من أتباع الديانات الأخرى الذين أظهروا إنصـــافاً واحتراماً، وقد بين القرآن ذلك بكلمتين اثنتين في ســـورة آل عمرن، وهما: ليســـوا ســـواء.. إن الكارثة تكون حين نضـــع الجميع في قالب واحد من محاربين ومســـالمين ثم نحكم على الناس بناء على اعتقاداتهم، في حين أن الشريــعة تأمرنا بالتعامل مع الناس وفق سلوكهم.

وفي مثال واضح فإن النبي الكريم أثنى باستمرار على الملك النجاشي ملك الحبشة وهو نصـــراني، وحين مات قال مات الليلة أخوكم أصحمة بن أبجر قوموا بنا نصلي عليه، فأنكر ذلك بعض الصحابة وقالوا كيف نصلي على رجل من غير ديننا، فأنزل لله: وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب}

والآية واضـــحة في الثناء على طائفة من أهل الكتاب يؤمنون بأديانهم ويؤمنون بالإسلام ديناً كريماً، ويقرؤون آيات الله التي أنزلت عليهم خاشعين لله، لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً، والآية نص في أنّ الله تعالى يثيبهم أفضـــل الثواب في الآخرة، أولئك لهم أجرهم عند ربهم، ومقتضىـ الآية الكريمة أنّ الجزاء الأخروي حق لهم، وفق ظاهر الآية {أولئك لهم أجرهم عند ربهم}.

ومقتضـــــى هذه الآية أنّ الله تعالى يستمع الدعاء والعبادة من كل من توجّه إليه بإحســان، أياً كانت القِبلة التي يتبعها أو الديانة التي يلتزمها، حيث هو سبحانه منزه عن الجهات والمكان، وهو أقرب إلى عباده من حبل الوريد.

إضــافة إلى ذلك فقد روى الطبرى عن قتادة أنّ هذه الآية نزلت في النجاشي أيضـــاً، فحين دعاهم الرســـول للصـــلاة عليه وأنزلت آية آل عمران كما بينا، عاد بعض الصحابة فاعترضوا وقالوا: إنه لم يكن يستقبل قبلتنا ولا يعرف صلاتنا فأنزل الله تعالى: {ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم}.

والآية صريحة في قبول إيمان أهل الأديان، ســـواء كانوا من أهل القِبْلة أم من قبلة غيرها طالما عبدوا الله بإحسان وأحسنوا في عباده.

نعم هناك آيات معارضـــة لذلك، منها: "ومن يبتغ غير الإســـلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" وفي الواقع فإن هذه الآية قد وردت للإشـــارة إلى أن الأديان جميعاً تنتمي إلى الإسلام الذي هو إسلام الوجه لله، وقد نص القرآن الكريم أن الإســـلام دين كـل الأمم والملـل التي تؤمن بـالخـالق العظيم سـبحـانـه.

وهناك آيات شديدة وردت في المحاربين من الكفار وهي لا تنطبق على المختلف في الاعتقاد إذا كان مسالماً لا يعتدي على المسلمين.

بالطبع الأدلة متقابلة، ومن آمن بظاهر هذه الآيات تأول الآيات الأخرى، وكذلك فعل الطرف الآخر، والخلاصة في آية واضحة في سورة الزلزلة التي يشرح الله فيها قيام الناس للحساب يوم القيامة يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، فقد تحدث بصيغة الناس وليست بصيغة المسلمين أو المؤمنين أو الصحابة، وهناك ختم بهذه الآية العظيمة: فمن يعمل (من الناس) مثال ذرة خيراً يره، ومن يعمل (من الناس) مثقال ذرة شراً يره

-2أيضاً سلطت وسائل إعلام الضوء على تصريح حول الحجاب بأن له شروط، وهو موضوع جدلي قديم، برأيك هل حقآ الحجاب فرض أم هو كما يتداول البعض عادة سنتها التقاليد على مر السنين؟

اتفق الفقهاء بدون استثناء أن الحجاب أدب إسلامي كريم. ، واتفقوا أنه ليس من أركان الإسلام والخمسة ولا هو من أركان الإيمان الستة..

واتفق الفقهاء الذين قاموا بإحصاء الكبائر ان ترك الحجاب ليس منها، واتفقوا أن الأمر بالحجاب قد ورد في الكتاب والسنة، واتفقوا على أنه فرض في الصلاة والحج.

وقد وردت الإشارة إليه في القرآن الكريم مرتين: مرة بصيغة المضارع المسبوق بلام الأمر، (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) ومرة بصيغة المضارع المحض (يدنين عليهن من جلابيبهن) وورد مرة ثالثة متروكاً لتقدير المرأة (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها)

ثم اختلفوا:

هل الأمر بالحجاب أمر وجوب ام أمر استحباب؟

الجمهور على أنه أمر وجوب...

ونختار أنه أمر استحباب للأسباب التالية:

إن أمر الوجوب والفرض يقترن عادة بالحدود والعقاب أو بالغضب الإلهي والوعيد بالعذاب، وهذا هو شأن الأمر بالوجوب في ترك القتل والخمر والسرقة، وليس في الأمر بالحجاب شيء من ذلك.

إن تعليل الحكم بالخوف على المسلمة من الأذى (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) يجعل تقدير الحجاب في يد المرأة المسلمة، فهي تضعه متى شاءت وتتركه متى شاءت وفق تقدير ما تتعرض له من أذى وضرر.

وهل في القرآن أمر وجوب وأمر استحباب؟؟؟

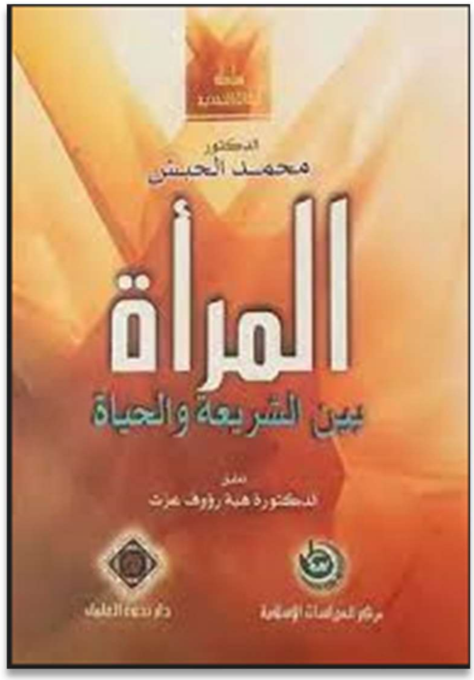
طبعاً هناك 62 أمر صريح في القرآن الكريم يراد به الاستحباب وليس الوجوب، ومنها على سبيل المثال قوله تعالى: واضربوهن

فالأمر هنا أمر إباحة وليس أمر وجوب، ولو أن رجلاً نشزت عليه امرأته ولم يضرب امرأته فلا يقال له عاصياً ولا فاسقاً بل إن رسول الله نهى عن ضرب النساء وهو يرتل الآية فاضربوهن....

ومثل ذلك قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع... فلو أن رجلاً لم يتزوج مثنى ولا ثلاث ولا رباع فلا يسمى عاصياً ولا فاسقاً ...

وأيضاً آية المداينة فقد ورد فيها الأمر بكتابة الدين ست مرات متتابعة: إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه، وليكتب بينكم كاتب بالعدل، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله، فليكتب وليملل الذي عليه الحق، ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً او كبيراً إلى أجله، ولا يضار كاتب ولا شهيد، ومع وجود ستة أوامر صريحة بالكتابة اتفق الفقهاء تيسيراً على الناس أن الكتابة مستحبة وليست واجبة وأن الديون تثبت بالبينة ولو لم تكن وثيقة مكتوبة!

هذه الأدلة وغيرها بسطتها منذ عشرين عاماً في كتابي المراة بين الشريعة والحياة، وكتاب نور يهدي لا قيد يأسر...




أما ما ترويه الواعظات من سلخ جلود النساء بسياط من نار وكيه بالعذاب والسعير والحريق وتعليق النســـاء من أثدائهن فهذا كله كذب وتخريف وتشـــويه للدين الحنيف واحتقار للمراة.....

والخلاصــة: إن علينا أن نترك أمر الحجاب للمرأة فهو قرارها وحريتها ومســؤوليتها، وأن نشـــرح لها الحقائق الشرعية، وأن تعلم أن الدين يسر. وليس عسراً و أنه رحمة وليس عذاباً،

ورسـالتي ان نحترم المحجبة والسـافرة، وندعو باحترام إلى الحشـمة والعفاف وعدم التبرج، وأن نوســع على الناس في الدين، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، ولست عليهم بمصيطر وما جعلك الله علهين رقيبا ولا حسيباً ولا شهيداً....

-3الموضـوع الثالث الذي أشـعل الجدل هو العلاقة بين الرجل والمرأة قبل الزواج، حيث رأى العالم الأزهري أنها مباحة بشـروط، هل تتفق معه، وإلى أي مدى يمكن لهذه العلاقة أن تنجح والضوابط التي يجب مراعاتها خلالها؟

العلاقة الاجتماعية التي تكون بين الطالب وزميلته والجار وجيرانه والرجل وقراباته والزملاء في العمل فهذه أبواب أذن الله تعالى فيها بالمحبة والخير والتراحم، والمؤمن إنسان اجتماعي بطبعه، وقد أمرنا أن نقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف، ولا يعجبني المسلم المعزول أو المسلمة المنعزلة لا تألف ولا تؤلف، وقد قال رسول الله: المؤمن يالف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف.

أما الضوابط والشروط فلا أعتقد انها من مهمة الواعظ أو الرقيب بل هي مهمة الإنسان ، وكل نفس بما كسبت رهين، وبل الإنسان على نفسه بصيرة، واستفت قلبك ولو أفتاك الناس وأفتوك

أما العلاقة الجنسية فهي محرمة قطعاً إلا في ظل الزواج الشرعي والعقد الذي أمر به الله تعالى

-4برأيك هل هناك نوع من أنواع تقديس النصوص الدينية بحرفيتها أكثر من فهم محتواها ورسالتها التي قد تكون نزلت بزمان ومكان محددين؟

النصوص الدينية كما أخبر القرآن الكريم منها ما هو محكم ومنها ما هو متشابه ومنها ما هو ناسخ ومنها ما هو منسوخ ومنها المخص والمقيد والمؤول والموقوف فيه... وهذه قواعد أصولية كثيرة وضعها الفقهاء لإتاحة المجال للعقل ليختار ما يناسب الناس في كل زمان ومكان.

القرآن الكريم وحي من الله أشرق به في قلب النبي الكريم محمد عليه السلام، وهو الإشراق نفسه الذي شعر به الأنبياء والحكماء والفلاسفة خلال التاريخ، ولا زال إلهاماً في الأرواح النقية والقلوب السليمة.

القرآن نص أدبي وتربوي، ولذلك فهو حمّال أوجه ويحتمل تأويلات كثيرة وهو ليس كتاباً حقوقياً قانونياً صارماً بحيث يكون له تأويل واحد، وفيه آيات محكمات هن أم الكتاب وفيه آيات متشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله، وهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً.

ليس في القرآن الكريم تفاصيل وافية عن العبادات والمعاملات، بل فيه إشارات ملهمة، لا يتكون منها نظام كاف للحياة، وبالتالي فإن هذه النصوص هي نور يهدي وليس قيداً يأسر، أما العبادات فيتم استكمالها بما روي من الأحاديث الكريمة

وهدي العارفين بالله، وأما المعاملات فقد حكم عليها الرسول الكريم بقوله أنتم أعلم بأمور دنياكم، والأمة ببرلماناتها ومجالس التشريع فيها تسترشد بنوره ولكنها تحتكم إلى مصالح الناس وقواعد العقد الاجتماعي.

والقرآن نص مقدس ولكنه محكوم بالزمان والمكان، تقيده أسباب النزول وظروف التنزيل، وقد تعرضت عشرون آية منه للنسخ في حياة الرسول، كما استمر الفقهاء في تحديد مناطه وظروفه ودلالاته ولأجل ذلك ابتكروا منطق تخصيص العام وتقييد المطلق وتأويل الظاهر والقول بالمتشابه، وفي سائر الأحول فهو أيضاً حقيقة ومجاز.

أما النظر إليه على أنه نص قانوني وكتاب حقوقي يفصل كل الأحكام ويلزم كل زمان ومكان فهو موقف غلو ومبالغة، وهو المقصود بوصية القرآن: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق.

## -5هل ترى أن التربية الدينية التقليدية بالمجتمعات العربية ساهمت بتشديد الخطاب الديني وأبعدت فكر تقبل الاختلاف بالرأي فيه

بالطبع التربية السلفية هي التي أقنعت المسلم بأن الخير في الماضي والشر في المستقبل، وأننا نرتد كل يوم إلى أرذل العمر، وأن السلامة في ترك كل جديد والعودة للقدماء.

هذه القناعة هي حركة عكس التاريخ وعكس المنطق القرآني أيضاً الذي أمرنا بالضرب في الأرض واكتشاف سنن الله تعالى والعمل وفقها والاحتكام إلى العقل والعلم بعيداً عن رأي الأولين او الآخرين

نقرأ التاريخ كله، ونتابع باهتمام وعي السلف وفهم السلف وجهد السلف، ولكن لا ينبغي أن نتحنط في شيء من ذلك، فالشاهد يرى ما لا يراه الغائب والرسول الذي كان يأمر بالشيء ويحلف عليه الأيمان كان يتراجع عنه عندما يتغير الظرف والزمان والمكان، والقرآن نفسه الذي كان يحكم بالأمر في مسالة كان يقوم بنسخها حين يظهر أمر جديد، ومع أنني لا أميل للمبالغة التي ذهب إليها ابن الجوزي وابن حزم بالقول بنسخ 225 آية في القرآن المسطور ولكنني أذهب إلى القاسم المشترك بين

الصحابة والسلف والفقهاء وهو القول بنسخ 21 آية من القرآن الكريم نفسه في حياة الرسول.

إنه الماضي... بكل ما فيه، وأجمل ما فيه وأروع ما فيه القرآن والسنة، ولكنه الماضي، وحين يكرر القرآن الكريم علاقة المسلم بالتاريخ يبسطها في صورة مدهشة، وبعد أن يحدثنا عن تاريخ الأنبياء في سورة البقرة وتحديداً إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى. وينص تحديداً على ما أوتي النبيون من ربهم يقول بمنتهى الوضوح: تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون.

إنهم أنبياء الله ورسله، وليسوا مجرد صحابة أو فقهاء.. إنهم أنبياء ومرسلون ولكنهم في نظر القرآن الكريم أمة قد خلت، نقرأهم للاعتبار والادكار، نوراً يهدي لا قيداً يأسر.

إنهم الأنبياء وصحابتهم وكتبهم وصحفهم وألواحهم وعلماؤهم وفقهاؤهم، يقدمهم القرآن الكريم في غاية التبجيل والاحترام ولكنه يكرر مرتين بعد رواية أخبارهم: تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون.

متى سنملك الجرأة والشجاعة ونحاكم التاريخ الإسلامي أيضاً وفق مسطرة القرآن وقواعده، فنتخذه نوراً يهدي لا قيداً يأسر، ونملك الشجاعة والجرأة أن نمارس النقد البناء بشجاعة واحترام، دون أن نتهم بالتآمر على الأمة والزندقة في أحكامها والطعن في الثوابت، متى نستطيع القول عن جيل السلف كله من صحابة وتابعين وفقهاء مثل ما قال القرآن عن الأنبياء: إنهم أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون.

ويل لأمة تتقن تقديس ماضيها ولا تعمل لتقديس مستقبلها.

في هذه الدراســة تقدم الباحثة لين الخطيب دراســة مفصــلة بناء على لقائين مع الدكتور محمد حبش حول واقع الفتوى في ســوريا ومســتقبل العلاقة بين الدين والسلطة

*Syria Studies* Vol. 15, no. 2, 2023

# 3

# Autocracy, Iran and Religious Transformation in Syria

**Line Khatib[1]**

## Introduction

The oversight and regulation of religion and religious leaders in Syria through both informal and formal cooptation and institutionalization is not new. Rather, it is part of the autocratic regime's familiar attempts to control the religious realm, especially the Sunni one, which is considered stubbornly autonomous and powerful and so a potential threat to the regime's monopoly on power. This is especially the case if/when religious leaders cooperate with other groups such as pro-democracy activists, since such cooperation could magnify each group's range, reach and impact. But the new political reality in Syria in the wake of the Syrian uprisings of 2011 and the ensuing Iranian interventions on the side of the Syrian regime has meant that there needed to be some kind of significant transformation, what in this paper is considered a rupture in the command structure, customary role,

[1] Line Khatib is an academic with a background in Comparative Politics, Islamic Studies, and Middle Eastern studies. Her research sheds light on the challenges facing democratic activism in authoritarian contexts. Her latest work, *Quest for Democracy*, removes the veil about liberal democratic groups and actors in the Middle East region through a detailed analysis that presents democratic activism across generations. The purpose of her work is to re-situate and to shed light on an overlooked and often dismissed movement, in an attempt to provoke a re-evaluation of the existing narrative about the ubiquity and durability of authoritarianism in the MENA region.

## الحوار العاشر : شيماء المناعي

جامعة تونس المنار

المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والحضارة والآداب العربية

اختصاص الحضارة

**الرؤى الجهادية الحديثة والمعاصرة**

**محمد حبش أنموذجا**

إعداد الطالبة:

شيماء مناعي

إشراف:

الدكتور محمد الرحموني

السنة الجامعية 2022-2023

تقدمت الطالبة شيماء المناعي من جامعة تونس المنار بهذه الدراسة لنيل درجة الماجستير بإشراف البروفسور د. محمد رحموني.

وقد وقعت الدارسة في 188 صفحة وتناولت المسيرة الفكرية والعلمية للدكتور محمد حبش

ومما جاء فيها:

**عصره**

عاش محمد حبش في النصف الثاني من القرن العشرين وما زال حيا يواكب تطورات القرن الحادي والعشرين. ومما لا شك فيه أن المنطقة التي عاش فيها (الشرق الأوسط) هي منطقة ثرية بالأحداث والتقلبات السياسية والاقتصادية. ونظرا إلى ثراء هذه الفترة ثراء لا يمكننا الإلمام به سنقتصر على ما له علاقة بموضوع الجهاد. وبالفعل فقد عرفت المنطقة في النصف الثاني من القرن العشرين والعقدين الأولين من القرن الحادي والعشرين أحداثا ذات طابع حربي وعسكري ارتبط معظمها بالجهاد. وتتمثل هذه الأحداث في ما عرفته سوريا من انقلابات عسكرية ومن صراع مسلح بين النظام السوري والدولة الصهيونية بعد احتلال الجولان سنة 1967 وبينه وبين جماعة الإخوان المسلمين وبين هذا النظام وفصائل جهادية مسلحة منذ بدايات الثورة السورية سنة 2011.

وإذا أردنا فعلا أن نجد وصفا سياسيا وعسكريا يليق بسوريا الحديثة فلن يكون سوى عبارة " دولة الانقلابات العسكرية"فما بين سنتي 1949 و1970 تعرضت سوريا إلى عشرين انقلابا ومحاولة انقلاب[8] مما جعل الجيش هو الحاكم الفعلي للبلاد. وربما هذا ما دفع محمد حبش إلى الحديث في مؤلفاته عن دور الجيش

[8] - لمزيد التفاصيل حول هذا الموضوع انظر :كمال ديب، تاريخ سوريا المعاصر من الانتداب الفرنسي إلى صيف 2011، ط2، دار النهار للنشر، بيروت، 2012، الفصل الثالث " حقبة الانقلابات والفوضى" صص117-147

ومسؤوليته في بروز التيارات الجهادية المتطرفة والعنيفة. لقد عاش محمد حبش في ظل دولة بعثية ذات توجهات قومية يحكمها العسكريون مدى الحياة.

في جوان من سنة 1967 احتلت إسرائيل هضبة الجولان التابعة لسوريا والسبب في ذلك لا يعود فقط إلى أطماع إسرائيل التوسعية بل للدور الذي لعبته سوريا في احتضان الفلسطينيين الذين كانوا يجاهدون لتحرير أرضهم [9] وكنتيجة لهذه الهزيمة القاسية حصل انقلاب عسكري بقيادة حافظ الأسد (1930-2000) يوم 16 أكتوبر 1970. وقد تمكن الأسد بالتنسيق مع مصر من إلحاق هزيمة بالجيش الإسرائيلي في حرب رمضان سنة 1973 مما قوى أكثر من نفوذ الجيش في البلدين.

أما الصراع بين جماعة الإخوان المسلمين والنظام السوري فقد عرف ذروته في أحداث مدينة حماة سنة 1982. وقبل ذلك عمدت هذه الحركة إلى سياسة الاغتيالات والتفجيرات في مقابل اعتماد النظام سياسة الإعدامات والتعذيب والتنكيل[10]

وسيكون على بشار الأسد الذي خلف والده سنة 2000 أن يواجه جيلا جديدا من الإسلاميين الذين يرفعون لواء الجهاد منذ اندلاع الثورة السورية سنة 2011. وبالفعل بعد أن بدأت الثورة السورية بسلمية مثلما حصل في بلدان الربيع العربي ظهرت مجموعات إسلامية جهادية مدعومة من دول خليجية عديدة ورفعت لواء الجهاد في سبيل الله مما دفع بعض الباحثين إلى الحديث عن " أسلمة الثورة السورية"[11]

خلاصة الأمر أن محمد حبش عاش في ظل دولة يغمرها الجهاد من كل حدب وصوب فالجيش السوري يعتبر حربه ضد إسرائيل جهادا، ويعتبر جماعة الإخوان المسلمين دعاة فتنة[12] وبالتالي وجب جهادهم. وفي المقابل تعتبر حركة الإخوان المسلمين وبقية الحركات الجهادية مثل جبهة النصرة وداعش النظام السوري نظاما بعثيا كافرا معاديا للإسلام والمسلمين ولذلك وجب جهاده.

**خاتمة الفصل**

---

[9] - المرجع السابق، ص283 وما بعدها.

[10] - نفسه ص 555.

[11] -أحمد طعمة، "هل دخلت الثورة السورية مرحلة الخطر؟" منشور ضمن: ثورة المتروكين: أوراق بحثية حول تطورات الثورة السورية، تحرير آلاء الصدّيق، ط1، منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة – قطر، 2017، ص 74.

[12] - كمال ديب، تاريخ سوريا المعاصر،ط1، دار النهار للنشر،2011بيروت، ص 540

إن أول ما يخرج به القارئ من ســيرة محمد حبش هو غزارة إنتاجه وتنوعه وكثرة نشاطه رغم صغر سنه. فهو باحث وسياسي وأستاذ جامعي وخطيب ديني ورجل حوار ديني. . إلخ. كيف لا وهو صاحب مشروع فكري ينبني بالأساس على تجديد الفكر الديني وقراءة الموروث الديني قراءة سلمية تركز على عناصر السلم والإخاء، كما تركز على العناصر التقدمية في تاريخ الإسلام وحضارته.

ورغم ذلك فمن اللافت للنظر حقا هو الجمع بين التكوين التقليدي والتدين والانفتاح على قيم العصر. مثل قيم التسامح والديمقراطية والحوار مما يطرح سؤالا عميقا حول كيفية تصنيفه بالمقارنة بأشباهه من المفكرين المسلمين فهل هو من طينة علي عبد الرازق الذي كانت له الجرأة على الفصل بين الدين والسياسة؟ هل هو من طينة محمد أركون ومحمد عابد الجابري وعبد المجيد الشرــفي؟ أم هو صنف جديد من المفكرين الذين يجمعون بين الوعظ والإرشاد والخطابة الدينية في صــلاة الجمعة وفي الوقت نفســه مواجهة الفكر التقليدي الذي يتميز بمواقفه المتشددة في قضايا العلمانية والمرأة ونظام الحكم والحوار مع الأديان الأخرى؟ هل إن كثرة كتاباته كانت على حســاب الجودة والموضــوعية؟ فنحن نعلم أن البحث الرصين والمتأني والعميق يتطلب جهدا كبيرا ووقتا أكبر.

الحقيقة أنه لم يتســن لنا الاطلاع على كتابات تقوم فكره تقويما علميا[13] فكل ما وجدناه إما تحريضــا ومدحا وإما تكفيرا. ومن بين ما كتب عنه لتكفيره مقال بقلم أحمد محمد كنعان بعنوان " حقيقة فكر الدكتور محمد حبش التنويري"عرض فيه مبادئ فكر محمد حبش ثم علّق عليها قائلا: "وواضح ما في هذه الأفكار من تعارض كبير مع صريح القرآن الكريم، ومن أمثلة ذلك أيضــاً ما ورد في كتابه "العقوبات الجسدية وكرامة الإنسان - نحو فقه إسلامي مناهض للتعذيب"الذي دعا فيه إلى إلغاء الحدود التي وردت في القرآن الكريم، ولم يكتف بهذا بل دعا إلى اســتبدالها بأحكام تنســجم مع مواثيق الأمم المتحدة، ومبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنســان، جاعلاً من مواثيق هيئة الأمم شريعة بديلة عن شريعة الله عز وجل ! مما يشير إلى طبيعة البذور التي غرست في ذهنه وعقله من قبل شيخه كفتارو وأمثاله من عشاق الفكر الغربي العلماني !

[13] - عثرنا على مقال مكتوب باللغة الأنجليزية حول محمد حبش وهو مقال أكاديمي منشور في مجلة مختصة ولكننا لم نستطع الاطلاع عليهفهو لا يقرأ إلا بمقابل مادي. المقال هو:
Paul L. Heck , “Religious renewal in Syria: the case of Muhammad al-abash” , in Islam and Christian–Muslim Relations, Volume 15, Issue 2 (2004)

ولا يتوقف حبش عند هذه السـقطات القاتلة، بل نراه يعقد منهج "الخوارج" في تعطيل "الحدود" التي وردت في نصـوص قطعية في القرآن الكريم، فنجده يتحدث عن تطبيق هذه الحدود التي فرضـها الله عز وجل على جملة من الجرائم، فيرى ضرورة استبدالها بعقوبات أخرى، تتناسب – حسب وصفه – مع كرامة السارق أو قاطع الطريق ! متجاهلاً التحذير الإلهي المزلزل: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا} [سورة الأحزاب 36 ]، هذا التحذير فيما إذا قدم المؤمنون حكماً آخر على حكم الله، فكيف ونحن نرى حبش يقـدم حكم الكفـار على حكم الله ؟!!"[14].

لكل هذه الأسباب فإن الغوص في فكره وتفكيكه هو الكفيل بأن يجيبنا عن كل هذه الأسئلة الحارقة. وسنسعى إلى ذلك من خلال دراسة موقفه من الجهاد.

**I - المشروع الفكري لمحمد حبش**

لمحمد حبش مشـــروع فكري، وككل المشـاريع فهو يرتكز إلى وجود مؤسـس أو مؤسـسـين وإطار مادي وإلى وجود برنامج وكذلك مؤلفات تجسـد هذا البرنامج إضـافة إلى تطبيقات لهذا البرنامج. بالنسـبة إلى المؤسـسـين فقد انطلق حبش من أفكار شيخه أحمد كفتارو[15] وأما بالنسبة إلى الإطار المادي فقد أطلق مشروعه عبر مركز الدراسـات الإسـلامية بدمشـق وعبر رابطة كتّاب التنوير. وأما برنامج هذا المشروع أو أهدافه فقد لخصـه محمد حبش بنفسـه في ما سـمّاه: **ميثاق رسـالة التجديد.** وهو ميثاق يتضمن جملة من النقاط هي التالية:

● الإيمان بالله وحده لا شريك له، والإيمان بأسـمائه الحسـنى التي يتحبّب بها إلى خلقه، وأنّه وسعت رحمته كلّ شيء.

الإيمان بالأنبياء الكرام وكتبهم المقدّسة التي جاؤوا بها إلى أزمنتهم وأقوامه● .

---

[14] - أحمد محمد كنعان، " حقيقة فكر الدكتور محمد حبش التنويري" منشور في : https://islamsyria. com/

[15] - للاطلاع على البرنامج الإصلاحي للشيخ أحمد كفتارو انظر: محمد حبش، منهج التجديد والإصلاح: دراسة في فكر الشيخ أحمد كفتارو، ط2، دار التجديد، دمشق -سوريا، 1996

- الإيمان بالآخرة، وأنّ الله قادر على أن يعيد الخلق وهو أهون عليه، والتصـــديق بكلّ ما ورد فيها من صــيّغ العدل ونتأول ما ورد من مظالم بحســب الظّاهر، وفق قاعدة: فمن يعمل مثقال ذرّة شرّا يره.

- الإيمان بأنّ لكلّ أمّة شريعة ومنهاجا، وأن لكلّ جيل زمانا ومكانا .

- إنّ الشرـائع جميعها هدى للإنســان ونور ألهمها الله ســبحانه للبشرـ في مراحل مختلفة، وهي تلخص تجارب إصلاحيّة فريدة قدّمت الخير والهدى للنّاس.

- الأديان مدارس هداية ونور، ونؤمن بأنّ الله أودع فيها ما ينفع النّاس، وندعو إلى التعامل مع الأديان وفق الدعوة القرآنية: مصــدّقا بين يديه، وهو ما يعني تبادل الاحترام والمودّة، ورفض صيّغ القّطيعة والكراهيّة التي تروّج في تراثنا وثقافتنا.

- إنّ الإنسـان هو المسـؤول الأوّل عن اختيار سـلوكه في الأرض، اجتهادا واسـتنباطا وبحثا، وعليه أن يهتدي في خياراته بمن ســبقه من الأنبياء والمصــلحين والحكماء، ولا تعدّ أيّ من هذه الخيارات خيارا ملزما.

- الاختلاف جزء من فطرة الإنسان وتكوينه، ولا ينبغي أن ينصرف جهد المصلحين إلى القضاء على الاختلاف وإنّما إلى الإفادة منه في إطار التّنوع والتعدد والتكامل.

- إنّ منهج القبول والردّ من المعارف والثقافات جميعها هو أنّنا نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سـيئاتهم، ونلتمس لهم الأعذار فيما لا يسـتقيم، على أسـاس أنّه الأليق بظروفهم وزمانهم.

- ليس لله شعب مختار، والخلق جميعا متساوون أمام عدالته ورحمته .

- نؤمن بأنّ آيات الله في الآفاق والأنفس لها قوة آياته في الكتب المنزّلة. [16]

إنّ أهم ما في هذا الميثاق هو إيمان محمد حبش بتســاوي الأديان فليس هناك دين أفضــل من دين ولا أمة معينة اختارها الله من بين الأمم بل إنّ الكون كله مبني على الاختلاف فهو سـنة الحياة بل لا حياة ولا عيش بدون هذا الاختلاف.  إنه فعلا فكر صــادم لعامة المســلمين بل حتى لأتباع الأديان الأخرى مثل اليهود الذين يعتقدون أنهم شــعب الله المختار.  ولذلك ومبدئيا فإن محمد حبش لن يكون له نفس موقف الفقهاء ورجال الفكر التقليديين من الجهاد فالجهاد كما رســخ في أذهان

[16] -محمد حبش، رسالة التجديد، ط3، مركز الدراسات لبحوث التنوير والحضارة، الشارقة – الإمارات العربية المتحدة، 2021، ص 10-9

المسلمين قد شرّع لنشر الإسلام بين الأمم الكافرة بما في ذلك اليهود والمسيحيون. فكيف تناول محمد حبش موضوع الجهاد ضمن هذه الرؤية التجديدية؟

## II - موقف محمد حبش من الجهاد

### 1 - الحضور الكمي لفكرة الجهاد في مؤلّفاته

إنّ المتمعّن في مؤلّفات ودراسات وخطب محمّد حبش يلاحظ حضور مسألة الجهاد حضورا بارزا طغى على مساحة جلّ الكتب وأخذ حيّزا كبيرا من صفحاته باعتباره موضوعا مركزيّا في القرآن وإشكالية كبرى في العصر الحديث. فنسبة حضور الجهاد في مؤلفاته وخطبه لا تقلّ عن تسعين بالمائة _منذ بداية تجربة كتابته إلى اليوم_. والجهاد حاضر في فكره ليس فقط باعتباره مفهوما فقهيّا بل كذلك باعتباره مفهوما فكريّا وسياسيّا وتربويّا وحضاريّا. لذلك لا يمكننا أن نفهم موقفه دون ربطه بتصوّره السياسيّ الفكريّ للإسلام والمسلمين قديما وحديثا.

تدور كتبه المتعلّقة بالجهاد حول غاية وحيدة وهي تبرئة الإسلام من العنف والقتل والحرب. لقد سعى جاهدا إلى تجاوز الفكر الدينيّ التقليديّ بتقديم رؤية حتّمت تطوير مفهوم الجهاد بفصله نهائيّا عن القتال والقتل.

وتكمن طرافة الطرح في تعدّد الطرق_ خاصّة وإن كانت المسألة المطروحة مازالت محلّ صراع الباحثين. فقد تمكنا من خلال مؤلفاته من تحديد طريقتين تناول بهما موضوع الجهاد:

طريقة غير مباشرة أثار فيها القيّم التي تنافي العنف وتستبعد القتال كالديمقراطيّة والدبلوماسيّة والحرية وكيفيّة التعامل مع الآخر المختلف عقائديا، مثل حديثه عن الديمقراطيّة والشورى إذ اعتبرهما من السنن النبوية التي لا يمكن الفصل بينها حتّى يؤكّد النجاح السلمي الذي حقّقه الرّسول في كفاحه وينفي عنه أيّ عمل عنيف مصيره سفك الدماء[17]. أو حديثة عن الآخر المختلف عنّا عقائديّا بالمراهنة على الحوار معه لأخذ ما يطوّرنا بدل هدمه. فالتعدديّة مقصد ربّاني وإبداع إلهيّ، فلا داعي لمقاطعته ومحاربته[18].

---

[17] محمّد حبش،النبيّ الديمقراطيّ: دراسات في الملامح الديمقراطيّة في كفاح الرسول، ط 2، دار سائر الشّرق للنشروالتّوزيع، 2019. ص ص28_ 29

[18]محمّد الحبش، جيران على كوكب واحد،ط1، ، سلسلة أبحاث التجديد، دار ندوة العلماء، 2021، ص 20
وإخاء الأديان : محاولة لبناء إخاء إنسانيّ رصيده الروح والعرفان، دراسة في الأصول المؤسّسة في التّراث الإسلاميّ، ط1، مؤمنون بلا حدود للدّراسات والأبحاث، 2021. ص81

الطريقة مباشرة ترجمت منهجه الإصلاحيّ السلميّ الإنسانيّ وبيّن فيها موقفه من الجهاد أو بالأحرى موقفه من الجهاد المسلّح ومن فعل القتال، ونلخّصها في قوله :"وتهدف الدراسة إلى مواجهة الفكر المتطرف القائم على تقسيم العالم إلى فسطاطين متعاديين، على أساس دار إسلام ودار حرب، وتأكيد البديل الإسلاميّ الحضاريّ في بناء العلاقات الدوليّة الناجحة، العابرة للاختلاف الدينيّ والمذهبيّ والعرقيّ والثقافيّ"[19]وسنفصّل القول أكثر في هذه الفكرة لاحقا.

**2 - نوعية المقاربة من خلال العناوين:**

وردت عناوين مؤلّفات محمّد حبش على أشكال نحويّة مختلفة وصيغ جريئة في الألفاظ خاصة أنّها تتصدّر غلاف الكتب، هيّ عناوين أحيانا تكون صريحة تحيل على ما أراد قوله منذ البداية. فتكون العلاقة بينها وبين المحتوى علاقة وثيقة تلخّص ما جاء مشتّتا، على سبيل المثال كتاب " إسلام بلا حروب"، وأحيانا تبدو عناوين بعيدة عن الجهاد ظاهريّا مثل كتاب "شرف الكلمة" لكنها خاضت في المسألة. وتكمن الطرافة من ناحية أخرى في وضع عناوين جامعة بين أشياء متباعدة في الزمان والمكان ومن الصعب الجمع بينها لعدم تطابقها، مما نتج عنه ثراء دلاليا. فكيف للجهاد وهو موضوع ذو أصل قديم مطروح منذ قرون أن يتشكّل في عناوين تحمل مصطلحات حديثة مثل: " الدبلوماسية في الإسلام" ؟ ومثل "النبيّ الديمقراطيّ"؟فهذا الاختيار إن دلّ على شيء فهو يدل على أنّ مقاربتة تبدو حديثة، فلم يسبق أن رأينا مثل هذا النموذج من العناوين عند غيره من المعاصرين فإذا عدنا إلى كتبهم نجد أنّ عناوينها تحيل مباشرة على الموقف الرجعي لصاحبه مثل عنوان مقاله" التكفير شرع الله فأين تذهبون[20]" ؟

**3 - ثراء مقاربته للجهاد**

كرّس حبش جهده لمحاولة إعادة قراءة للموروث الثقافيّ وتقويم الفهم السقيم لهذه الظاهرة مؤكّدا أنّه لا خلاص لهذا الشرق إلا بسلمية غاندي وأحلام بسمارك أبو الرايخ وفون رون اللذين رسما ازدهار العالم على أمل انتهاء الهول العالميّ وعقد

---

[19]محمّد حبش ،السّلام بدل الحرب: دراسة في حياة صانعي السّلام في التاريخ الإسلاميّ، ط1، سلسلة الفكر الوسطى. ، دت. ص 9

[20]الشيخ أبو بصيرالطرطوسي ،" التكفير شرع الله فأين تذهبون ؟" مقال منشور على شبكة الأنترنت بتاريخ27-11-2005 – http://tartosi.blogspot.com/2005/11/blog-post_27.html

التقدّم التكنولوجيّ[21]. فلم تقتصر مؤلّفاته على توضيح قضية واحدة تهتم بطرح الجهاد من زاوية واحدة، بل أحاطه بقضايا متعددة تخدم مفاهيمه وتثري دلالاته وترتبط به ارتباطا وثيقا على خلاف القدماء الذين اقتصروا على الحدّ الأدنى والملامسة السطحيّة، فحصروا بصمتهم في رصد الدمار والحروب وسفك الدماء.

تناول محمد حبش الجهاد من خلال مجالات عديدة وكثيرة فنظر فيه من خلال القرآن باعتباره النص التأسيسي ثم نظر فيه من خلال التاريخ، تاريخ المسلمين منذ عهد الرسول (ص)، ونظر فيه من خلال التاريخ المعاصر.

## III-موقفه من الجهاد في النصوص التأسيسة والتاريخ

### 1-الجهاد من خلال النصوص ( القرآن – السنّة – الفقه)

تحدث محمد حبش في هذا السياق عن صنفين من الجهاد:

يتمثل الصنف الأوّل في دفع الصائل أو العدو، ويعتبره محمّد حبش شكلا من أشكال الدفاع عن القواعد الخمسة، ويرى أنّ هذا الضرب من الجهاد لا خلاف فيه. وأما الصنف الثاني فهو مقاتلة الناس لإدخالهم الإسلام استنادا إلى ما طرحه الفقهاء القدامى: الجهاد هو قتال الناس لإدخالهم في الدين"[22]" وهو ما يرفضه محمّد حبش حيث أقام نظريته على الجهاد على نقد هذا الصنف من أصناف الجهاد وسنحاول في هذا الإطار شرح نظرته وتفصيلها :

لا يخفى علينا أنّ هذا التصنيف من الجهاد الذي ارتآه الفقهاء والمسلمون يستند إلى أدلّة شرعيّة تتمثل في النصوص القرآنيّة المناديّة بالقتال، ومن بين هذه الآيات :" وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدين كلّه لله "[23]يا أيّها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفّار " [24]. إلاّ أنّ هذا التأصيل يخفي في طيّاته إشكالية أخرى: وهي التّعارض الجليّ والصريح مع آيات أخرى تأمر بالصفح والمغفرة والصبر وتنهى

[21]محمّد حبش، إسلام بلا عنف،ط2، مركز الدراسات لبحوث التنوير والحضارة، دار متخصّصة بالدّراسات الإنسانيّة وإخاء الأديان ، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة. د.ت، ص19

[22]أبو عبد الله محمّد بن إدريس الشافعي ،الأمّ، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 2001ج8، باب الجهاد،

[23]الأنفال، 8: 39

[24]التوبة،9: 123

عن الإكراه:"أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين "[25]، " فذكّر إنّما أنت بمذكّر لست عليهم بمسيطر"[26]

فمن شاء فليكفر ومن شاء فليؤمن "[27]. فهناك إذا تقابل واضح بين الآيات المناديّة بالسلام والآيات المناديّة بالقتال. أما على مستوى السنة النبويّة فقد كان الرّسول (ص) حريصا على السلم كما ذكرنا ويتجلّى ذلك في مواطن عديدة ارتأينا اختيارها. أبرزها رضاؤه بصلح الحديبية رغم ما ورد فيها حيث منعوه من دخول مكة.

أمام هذا التعارض ذهب الفقهاء إلى القول بالناسخ والمنسوخ باعتبار أنّ آيات السيف( قال تعالى "وقاتلوا المشركين كافّة كما يقاتلونكم كافّة واعلموا أنّ الله مع المتقين [28]") قد نسخت آيات المغفرة والرحمة. والحقيقة فقد فنّد العلماء قديما ما روي من أنّ آية السيف نسخت سبعين آية و أكثر[29]"فمحمّد حبش يرفض هذا القول ويستنكره، مستندا إلى مجموعة من الأدلّة والبراهين سنفصلها كما يلي:

هناك خطأ منهجي أشار إليه السيوطي في تحديد نسخ المعنى ناهيك عن قوله بغياب شروط النسخ[30] وهي شروط يراها محمّد حبش غير متوفّرة " ومن جانب آخر فقد اتفق العلماء على أنّها كثيرة أشهرها ثلاثة وهي: القول بالنسخ يتطلّب شروطا أن يتعذّر الجمع بين النصّين، وأن يكون الناسخ في قوة المنسوخ أو أقوى وأن يعلم المقدّم والمتأخّر"وذلك كله غير متحقق في ما يذهبون إليها ليصل إلى القول بنسخ المتأخّر أنّ الجمع بين هذه النصوص ممكن وميسور ولا نقول بالنسخ إلا عندما يتوفّر نصان متناقضان لا يمكن قبول أحدهما دون ردّ الآخر. ليتّجه إلى أنّها أحكام متشددة نتيجة ما خلفته الحروب الصليبية من تضارب بين الشرق والغرب. "[31]

لقد نجح محمّد حبش في تفنيد ما ذهب إليه الفقهاء من آراء متشدّدة والمشرّعون في ما يتعلّق بنسخ آيات السيف، ناهيك عن نجاحه في إيضاحه لمنهج الرّسول وصحابته وانتهاجهم سياسة الحوار بدل الحرب والقتال، ليتوجّه إثر ذلك إلى تفنيد

---

[25] يونس،10: 99
[26] الغاشية،87: 21
[27] الكهف،18: 29
[28] التوبة،9: 36.
[29] محمّد حبش ،رسالة الجهاد: من الغزو والفتح إلى الجيش الوطني، ص 35.
[30] جلال الدّين السّيوطي ،الإتقان في علوم القرآن، ط 1، مؤسّسة الرّسالة ناشرون، 2008 ص 256.
[31] محمّد حبش، رسالة الجهاد: من الغزو والفتح إلى الجيش الوطني، ص 35.

مجموعة أحكام تعلّقت بالجهاد ويعلن رفضه لها قطعيّا، وهو ما سنوضّحه في ما يلي :

رفضه التقسيم الثنائيّ للعالم الذي انتهجه فقهاء السلف الّذين لم يقبلوا الانفتاح على العالم واختاروا تصنيفه إلى دار حرب ودار سلام_موقف فقهيّ تتبنّاه التنظيمات الجهاديّة اليوم_فقد اعتبر أنّ العلاقة التّي يجب أن تحكمنا مع الآخر هي علاقة مودة، مخالفا بذلك نظرة الحنفيّة والمالكيّة والشافعيّة والحنابلة الذين أشاروا إلى أنّ العلاقة بين المسلمين وغيرهم هي الحرب مشيرا إلى انتهاج بعض المعاصرين هذا القول كسيّد قطب( ت 1966)الذي يرى أنّ الطريق إلى لله هو الجهاد والقتال في سبيله من أجل تحقيق حاكميّة الشريعة.  وصالح اللحيدان( ت2022 )، وقد اشتهر بخطبه ودعوته إلى الجهاد -سوريا مثلا-بمقاومة الأنظمة ومقاتلتها دون الاكتراث بالأضرار الجسدية. ولهذا السبب لم يتحدّث محمد حبش عن الغنيمة والسبي والاسترقاق والمحاربين وقطاع الطرق وتدبير الحرب بل دافع جاهدا عن التاريخ الإسلامي متباهيّا بأهمّ الإنجازات التي تحققت بعيدا عن سياسة القتل.

ومن القضايا القرآنية المتعلقة بالجهاد والتي ناقشها محمد حبش هي قضية الفتنة باعتبار تجنبها من موجبات القتال والجهاد. فقد ربط القدماء مشروعية الجهاد بتجنّب الفتنة، واستندوا في ذلك إلى قوله تعالى: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدّين كلّه لله "[32]. ومن الواضح أنّ محمّد حبش يفصل بين الفتنة والقتال/ الجهاد فصلا واضحا ولا يرى أيّ ضرورة للربط بينهما، فجرّاء هذا الخلط تحول الجهاد إلى فتنة لما خالف الوصيّة وخرج عن المقاصد الإلهيّة في عملية سنّه، فتغيّر حالا لمسلمين من التقويم والإصلاح للتّخريب والهدم وهو ما يتعارض مع رسالة الجهاد"[33].

لقد سعى محمّد حبش عبر دراساته إلى تحرير فقه الجهاد من" بؤس الفتنة "_على حد عبارته ووجوب اعتزالها مهما كانت المبرّرات والأهداف لأنّها ليست إلاّ عملا شيطانيّا يؤسّس لثقافة الكراهيّة والعدوانية، على خلاف الجهاد في سبيل الله. لذلك وُجب التمييز بين إرادة الله وإرادة عدوّه.  فالمواجهة بين اثنين ليست إلاّ إعلانا عن رغبة في القتال والإصرار عليه لقيام الحرب، وهو ما رفضته الشريعة نظرا

[32] الأنفال،8: 39
[33] محمّد حبش ،إسلام بلا عنف، ط2، مركز الدّراسات لبحوث التنوير والحضارة، الشارقة، الإمارات، ص17،.د.ت

إلى ما سبّبه، فالاقتتال الداخليّ خلّف خسائر بشريّة وحروبا أهليّة حلّت بالمسلمين إثر رحيل الرسول: كحادثة اغتيال عثمان بن عفّان وعلي بن أبي طالب من المتشدّد المنحرف الذي يُكفّر من يشاء تحت راية "الإسلام " وفي الواقع ما هو إلا مشروعا لصناعة الموت، فالتّشدد والتكفير ما هما إلاّ صنع المتشدّدين استشهد في سبيلهما كثيرا من الأبرياء جرّاء هذا الفهم الخاطئ.

وعلى هذا الأساس فإن ما يجري في عصرنا اليوم من تشدّد وحروب أهلية _ نسخة مصـغرّة عن عصرـ الفتنة الأولى- ويعود في نظره إلى غياب التميز بين الجهاد والفتنة.

في مؤلّفات تعلّقت بالسيرة[34] لم يتبّع محمد حبش طريقة القدماء من جهة المنهج، فلغته غير لغتهم ومشـاغله غير مشـاغلهم. يبدو ذلك من خلال التركيز على البعد السياسي لغزوات الرسول وتحالفاته ومعاهدته، والبعدين الديني والاجتماعي بل إنه يستنكر هذه التسمية . فلا يمكن أن نفهم سياسته في الجهاد دون الإطّلاع على بقيّة جوانب حياته. ولتحديد مفهوم الجهاد في هذه الفترة، تناول محمد حبش دراسـة هذه السيرة التي نعتبرها أفضل نموذج لفهم رؤيته للجهاد من منظور السلم والعلم للرسـول وهي قراءة جديدة لم يسـبق قراءتها بهذه الطريقة. فكيف كانت سـياسـة الرّسـول الكريم في الجهاد ؟ وهل يعدّ هذا التطوّر الفقهي سـياقا تاريخيا طبيعيا في فهم النص أم انقلابا عليه؟

لقد جعل محمد حبش من الفترات الزمنيّة مجرى ومقياسـا تتبّع به مفهوم الجهاد الذي تطوّر من الفترة المبكّرة وصـولا إلى الجيش في الدولة الإسـلاميّة الذي تحكمه ضـوابط وقوانين. ينقد محمّد حبش بشـدّة تسـمية الأحداث التاريخيّة الدينيّة التي جرت فترة النبوّة والتي صنّفها الفقهاء والمحدثون تحت عنوان "مغازي الرسول"

فحسـب رأيه لم يرد في القرآن هذه العبارة ولابدّ من التفريق بين "غُزي" و" لم يغْز"، فيجدر تسـميتها على أنّها كفاح سـلميّ. وقد تعددت الروايات لتؤكّد الإستراتيجيّة السلميّة للرسول وتبرئته من كل فعل حربي.

لقد أمضى الرسول أكثر من نصف عمر رسالته يواجه أشدّ أشكال الصدود والأذى من خصومه في قريش، ولكنّه اختار أن يتعامل معهم بسلام ودبلوماسيّة، والتزم بما رسـمه له القرآن الكريم من مبدأ الموادعة والسـلام. ولعل أكبر مثال على ذلك ما

---

[34] محمّد حبش ،صفوة السيّر : سيرة رسول الله، ط 40، دار أفنان، دمشق، 2020

حصـــل في غزوة الخندق :"وفي يوم الخندق، وصـــلت قريش بعشرـــة آلاف مقاتل لاجتياح المدينة. وقد قام الرســـول الكريم بحفر الخندق حول المدينة إصراراً على تجنّب الحرب، وهو عنوان واضـــح على إرادته الجامحة نحو الســـلم ورفضـــه للحرب". [35] هذا المنزع الســلمي لم يكن خاصــا بالرســول بل اتبعه صــحابته أيضــا فليتّخذوا العنف وسيلة لمواجهة الآخر وردعه، فقد كانت فلسفتهم واستراتجيتهم في الدّفاع عن أنفسـهم شـبيهة بسـياسـة الرسـول، فقد اتّخذوا منه قدوة يحتذى بها والمثال على ذلك أنّ "جعفر بن أبي طالب ظلّ ســـبع ســـنوات أخرى في الحبشـــة، يمارس فيها دوراً دبلوماسيا رائدا"[36].

والخلاصـــة أنه رغم الحصـــار الشـــديد الذي فرضـــته قريش على المســـلمين، ظلّ الرســـول يحبّذ الهجرة على الخيارات العنيفة ومصـــداق ذلك أن انتهت المرات التي جرى فيها الالتحام بالصلح والموادعة فتحوّلت إلى معاهدات سلميّة.

لم يكن العهد المكي إذا أرضـــيّة للقتال ولم يكن يؤصّـــل حتى للجهاد، بقدر ما كان حركات تنويريّة تلتزم بقيم القرآن والشرـيعة، وهو بذلك يقف على طرف نقيض مع أولئك الّذين يتّخذون سيرة الرسول مصدرا أساسيّا في حديثهم عن الجهاد المسلّح.

وإذا كان لا بد من وجود حرب وقتال وجهاد قتالي في الإســـلام فهو بالتأكيد متأخر عن العصر النبويّ، فالجهاد في عصر النبوة كان جهاد النفس والهوى.

### 2- الجهاد في التاريخ

خلافا لكثير من الدارسين للجهاد لم يهتم محمد حبش بتاريخ الفتوحات الإسلامية لا تمجيدا ولا نقدا بل أعرض عن ذلك وعوضه بالحديث عما سماه " الدبلوماسية في الإســـلام" ونشرـ لهذا الغرض كتابين مهمين هما" الإســـلام والدبلوماســـية" ( 2013) و"دبلوماسية السلام". ( 2023).

استهل كتاب الإسلام والدبلوماسية بالآية 13 من سورة الحجرات﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُـــعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. وهذا التصـــدير ينســـجم مع رؤيته التجديدية التي لا يفرق فيهـا بين دين ودين وأمـة وأخرى. ويؤكـد هـذا المعنى في المقدمـة بقولـه: "تنطلق هذه الدراســة من مســلمة منطقية يتفق عليها العقل والنقل وهي أن هذه

---

[35]محمّد حبش ،السلام يدل الحرب،، دراسة في حياة صانعي السلام في التاريخ الإسلامي،ط1. ص 19.
[36]المصدر السابق، ص 14.

الرسالة الخاتمة جاءت لخير الإنسانية العام، وأنها بسطت خطاب المحبة والسلام في الأرض على أساس من مصالح الناس، وأن الأصل في العلاقات الدولية التوازن والاحترام والمصالح المتبادلة، وليس الخصام والحروب. "[37] ثم يعززه بالإشارة إلى سبب انتشار الإسلاموفوبيا في العالم بقوله: "ولكن الدور الأكبر انشر الإسلاموفوبيا في العالم اليوم إنما يقع على عاتق أولئك المتطرفين الذين يرسمون سورة قاسية عن الإسلام في العالم، حين يقسمون العالم إلى فسطاطين اثنين يتبادلان ثقافة الكراهية، ويتناوبان النفخ في كير الحروب، ويقدمون موقفهم على أنه الجهاد الذي فرضته الشريعة. "[38]

انطلاقا من هذه الأفكار قسم حبش كتابه إلى تمهيد (تعريف الديبلوماسية) وأربعة فصول خصص الأول منها للحديث عن الفقه الديبلوماسي في الإسلام، والثاني للقيم الديبلوماسية في الإسلام، والثالث للديبلوماسية في الكتاب والسنة وأما الرابع فكان بعنوان " المشترك بين الإسلام والديبلوماسية الحديثة". ثم ختم كتابه بملحقين الأول بعنوان: " نموذج من التعامل الديبلوماسي لرسول الله"، والثاني بعنوان: " نموذج من الخطاب الديبلوماسي لرسول الله". وما يهمنا بدرجة أساسية في هذا الكتاب ما ورد في الفصل الرابع ونظرا لأن محتواه مختصر وفي شكل نقاط نورده بالكامل:

●إنّ المنجز الدبلوماسي الذي تحقّق للبشريّة وأسهم في تنظيم العلاقات بين الدول وقطع أسباب الحروب هو منجز إنساني وليس منجزا غربيا، وإنّ الإسلام شريك في هذا المنجز الحضاري .

●إنّ الإسلام لا يؤيد مبدأ الصراع بين الحضارات وإنما يسعى للحوار بينها والتحالف والتكامل .

●إنّ صدام الحضارات مشروع أمريكي متطرف ونظيره من الثقافة الشرقية قسمة العالم إلى قسطاطين، ومن مسؤولية الدبلوماسية الإسلامية تصحيح صورة الإسلام في التعاون البناء مع كل أمم الأرض .

---

[37] - محمد حبش، الإسلام والديبلوماسية: قراءة في القيم الدبلومايبة في الإسلام، منشورات المعهد الدبلوماسي، الدوحة، قطر، 2013، ص 5.

[38] - المرجع السابق، ص 6.

●إنّ علاقة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم يجب أن تتأسس على التوازن والاعتدال والمماثلة وليس على التعالي ولا على التبعية والاتكال .

●الأمة الإسلامية وشعوب الأرض جيران على كوكب واحد والأصل في العلاقة هو السلم والتعاون وهذا لا يلغي حق الأمة في الدفاع عن نفسها إذا تعرضت للأخطاء من الخارج .

●تأكيد الاتفاق في المبادئ والأهداف بين الفقه الإسلامي المستنير وما ورد في دباجة اتفاقية 1961 للعلاقات الدبلوماسية بين الدول، ووجوب التعامل بايجابية مع التفاصيل الإجرائية لهذه الاتفاقيات الدولية .

أما كتاب ديبلوماسية السلام فقد استهله بآيتين هما الآية 208 من سورة البقرة﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، والآية 46 من سورة المائدة: ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ﴾تأكيدا منه على المنزع السلمي للقرآن وللإسلام. ولعل أهم ما في هذا الكتاب تخصيصه فصلا كاملا للحديث عمّن سمّاهم عباقرة الديبلوماسية في الإسلام وهم:

- محمد رسول الله (ص)
- عمر بن الخطاب
- الحسن بن علي
- عمر بن عبد العزيز
- المستنصر الحاكم الأموي في الأندلس
- الناصر لدين الله العباسي

يقول في المقدمة موضحا رؤيته الجديدة لعلاقة المسلمين بغيرهم من الأمم والدول، وهي رؤية تستبعد الجهاد القتالي باعتباره المحدد لعلاقة المسلمين بغيرهم: "كثيرة هي الكتب التي اهتمت بدراسة العلاقات الدولية للمسلمين بسواهم من أمم العالم منذ فجر الإسلام إلى اليوم. وكان اهتمام الباحثين في الغالب منصبا على الصراع التاريخي الذي دار بين الإسلام والعالم المسيحي، فالدراسات التي خصصت للحروب الصليبية وللغزوات والفتوح ومختلف الحروب(. . . ) لا

تحصى ولا تعدّ. وبالمقابل كم هي قليلة الكتب التي اهتمت بدراسة ما يقرّب بين المسلمين والأمم الأخرى. "[39]

من الواضح أن محمد حبش يرمي إلى استبدال تاريخ الفتح والجهاد بتاريخ الديبلوماسية من ذلك حرصه على تأصيل نظرته للجهاد في تاريخ المسلمين فعندما تحدث عن عمر بن الخطاب لم يربطه بالعدل كما يفعل المسلمون في العادة بل ركز على ما سماه إصلاحات لفقه الجهاد قام بها هذا الخليفة فالمعاهدات التي أنجزها هي بمثابة إصلاح لفقه الجهاد الذي انتشر بفعل سوء فهم للقرآن[40]. وفي هذا السياق فإنه يعتبر موقف الحسن بن علي في صراعه مع بني أمية موقفا ديبلوماسيا أصيلا منسجما مع تعاليم الإسلام[41] بل هو يعتبر الحسن بن علي " عميد الوحدة الإسلامية".

هكذا قرأ محمد حبش النصوص التأسيسية لنظرية الجهاد في الإسلام وهكذا قرأ تاريخ المسلمين فلا وجود في رأيه لجهاد قتالي لنشر الإسلام وإنما الإسلام دعوة سلام. ومن ناحية ثانية فالبطولة في التاريخ الإسلامي لم ترتبط في رأيه بالقتال والحرب وإنما بالسلم والديبلوماسية ولذلك غير صفة البطل بصفة العبقري فهو لم يتحدث عن أبطال الجهاد وإنما عن عباقرة السلام.

## IV- موقفه من قضايا الجهاد في العصر الحديث

### 1- قضية التكفير

بحث محمد حبش في ظاهرة التكفير التي انتشرت في الآونة الأخيرة في صفوف المسلمين عامة من خلال الفتاوى التي أصدرها صنف مخصوص من الفقهاء. وهي ظاهرة ربطها بالجهاد ولذلك لابد من الوقوف عندها.

حمّل حبش مسؤولية نشأة "التكفير " إلى الفتاوى التي عُرفت عند العرب وعُلّقت على الجدران، ولقيت حظّا كبيرا من النجاح حتى إنه استمرت طباعتها ونشرها دون

---

[39] -محمد حبش، ديبلوماسية السلام: السلام بدل الحرب، ط1، مركز الدراسات لبحوث التنوير والحضارة، الشارقة – الإمارات العربية المتحدة، 2023، ص 9.
[40] - المرجع السابق، ص80-81
[41] نفسه، ص104 وما بعدها.

التفطّن إلى ما تحرّض عليه ودون الانتباه إلى مدى فهم الناس لها. وهو يشير بذلك إلى فتاوى ابن تيميّة ( 661-728 هـ) صاحب الـ 428 وبعنوان "يستتاب وإلا قتل". إنه لا ينكر شهرة ابن تيمية عند العرب ويقرّ بشهادة العامّة عن أهميّته التاريخية ودوره في المؤسسة الدينية فلُقّب " بشيخ الإسلام "ولكنّه لا يتوافق مع الفتاوى التي أصدرها بل يرفضها لما خلّفته من فظائع شنيعة وقاسية تحت الراية السوداء. قائلا:" هذه سلسلة فتاوى لا يحقّ لدولة محترمة أن تأذن برواياتها على لسان عاقل ويتعيّن محاكمة من يفتي بذلك وزجّه في السجن"[42]. ومن بين الفتاوى التي أصدرها ابن تيميّة فتوى تتعلق بنواقض الإسلام تتضمّن عشرة نواقض تُكفّر من أخلّ بثلاثة منها ويطبقّ عليه حكم الردّة ويشرّع مقاتلته. ويرفض حبش هذا النوع من الفتاوى التي يمكن أن تكفّر المجتمع بأكمله إذا استجبنا لشروطها. إذ تتصل هذه الأحكام بتأويلات قابلة للتعديل ولا تمتّ أيّ صلة بسلوك يستحق التكفير.

يتساءل حبش عن كيف يمكن للمسلم أن يكفّر أخاه بينما هو شأن إلهيّ لا يجوز التدخّل فيه بل إن الله نهى عنه، في قوله:" لا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا[43]:"

نستخلص مما سبق أنّ تلك الفتاوي هي السبب الرئيسي المباشر لانتشار التكفير، خاصّة إذا كانت من أعلام بارزين في الفقه وهو ما يسهّل عملية الإقناع والتأثير والتوجيه. والمطلوب في العصر الراهن مواجهة أيّ خطاب وأيّ ممارسة مآلها التكفير والتصدي إلى ثقافة الكراهيّة التي تنتهي بالقتل.

نلاحظ، حسب رؤية محمّد حبش، أنّ المسلم هو المسؤول الأوّل عمّا يحدث من الحروب والقتل المتعمد حتى أنه صرّح بأنّنا من بسطنا أرضيّة القتال للمحتلّ وحمّلناه الأسلحة، يقول في هذا السياق:" لا ريب أنّ كل ما يجري هو نتيجة الاحتلال، لم يكن له أن يمضي. بمشروع الموت هذا لو لم نوفر له الأدوات الساذجة البلهاء التي ترتكب الموت في الأبرياء وتحتسبه عند الله جهادا [44]:"

إذن فليس الإشكال في التكفير بقدر ما هو إشكال فكري يقتصر على الجدال بدل الحوار ولا يقبل الآخر المختلف دينيا ولا يحترم اعتقاده. فإذا افترضنا أنّ الشريعة

---

[42]محمّد حبش ،إسلام بلا عنف، ص 88.
[43]النساء،4: 94
[44]محمّد حبش ،إسلام بلا عنف،ط2، ص، 36،

تسمح بهدر دم الكافر فإنّها لردّ العدوان فقط. فلا بدّ من هدم هذه الثقافة التي كرّسها أعداء الشريعة والاقتناع بحرية الاعتقاد الحافظ لحقوق الإنسان.

فمن مبادئ القرآن حريّة الاعتقاد ولا يوجد أيّ حديث يصرح بقتل أحد بسبب موقفه الاعتقادي. ما فائدة الإيمان إذا كنّا نكفر ببقيّة الكتب السماوية، شئنا أم أبينا نحن في قرية كونية وجيران في القيم الإنسانيّة.

**2- موقفه من الحركات الجهادية المعاصرة**

لم يكتف محمد حبش مثل كثيرين بإدانة إرهاب الحركات الجهادية الحديثة واعتبارها من صنع الاستعمار الأمريكي للعراق خاصة بل سعى إلى فهم وتفكيك الأسباب العميقة التي جعلت مثل هذه التنظيمات تظهر وتسيطر على عقول الشباب خاصة.

كتب مفسرا ظاهرة داعش: " كيف يتمكن هذا التنظيم من إقناع الناس بأن الأمة لم تقوم بتنفيذ شريعة الله خلال أربعة عشر قرناً وأن البغدادي اليوم يقوم بما قصر فيه علماء التاريخ الإسلامي وفقهاؤه من الصحابة والتابعين والأئمة الذين لا يحصون عدداً؟ من المؤلم القول إن هذا السلوك لم يولد من فراغ، وإنما سبقه تمهيد طويل شاركنا فيه جميعاً دون أن ندري، وقامت مدارسنا الدينية وخطابنا الإسلامي بالترويج لثقافة وجوب اتباع ظاهر النص، ولو خالف العقل والمنطق والعرف، وقمنا عن عمد بنشر بحوث مطولة عن وهن العقل وعجزه، وضلال العرف وفساده، وأقنعنا الجيل كله بأن أكثر الناس لا يفقهون ولا يعقلون ولا يبصرون، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً. "[45] وبخصوص تنظيم حركة الشباب الإسلامي بالصومال فقد فسّر لجوء أفرادها إلى العنف المفرط بما يلي: " لا أنكر أن لهذا الجنون أسباباً أخرى على رأسها المظالم، ولا أنكر أن الظلم هو أبو التطرف وعمه وخاله، ولكن يجب الاعتراف أيضاً بأن هناك ثقافةً مسمومةً تلقَّاها ذلك الثائر الغاضب، تستند إلى أصول عميقة من التفكير المتطرف، فقد تمَّ إقناعه بأن الزمان قد ارتد إلى جاهلية أسوأ من جاهلية قريش وهي (جاهلية القرن العشرين)، وأن الناس وقعوا في (ردة ولا أبو بكر لها) وأن المطلوب مواجهة هذه الردة بحتف السيوف، فإن الله بعث محمداً بالسيف رحمة للعالمين، وأن الله

[45] - محمد حبش، " أفول التنظيم لا يعني أفول الفكرة"، مقال منشور بتاريخ 8 ماي 2022 على موقعه الرسمي : https://mohammadhabash. org/?p=26147

استنفر المسلمين للجهاد وقال: ﴿إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً﴾، وهكذا فإن الناس جميعاً وقعوا في الردة وتقاعسوا عن الجهاد ولن يتخلصوا من هذه الردة إلا ببيعة أمير الجهاد والقتال بين يديه، وهذا بالضبط ما يجعل المجاهدين أمناء الله على عباده اشترى الله أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون، ومن مات وليس في عنقه بيعة جهاد مات ميتة جاهلية". [46]

من الواضح أن محمد حبش يحمل الموروث الثقافي والديني المتحجر مسؤولية ظهور هذه الحركات المتطرفة ولجوئها إلى الإرهاب. ولكنه يحمل المسؤولية أيضا للجيوش الوطنية العربية والإسلامية. فكيف ذلك؟

**3 - الجهاد والجيش الوطنيّ**

انتهج محمد حبش المنهج التاريخي في تتبّعه لتطوّر مفهوم الجهاد من فترة النبوّة إلى اليوم، من الجهاد المرتبط بالدّفاع عن الأمّة إلى جهاد مستبدّ تحركه نزوات شيطانيّة، صارت فيه السلفية الجهاديّة مصدرا لاستئناف القتال والتكفير مثلما حصل مع الحركة الوهابية 1780 في الجزيرة العربية من تكفير المسلمون رفض القوانين الوضعيّة.

ينقد حبش ما آلت إليه الشعوب اليوم تحت ما يسمّى بالجهاد خاصة مع أحداث أيلول/ سبتمبر 2001، التي اشتهر بسببها تنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن ( 1957-2011) وأحداث 2014 التي شهدت ظهور تنظيم داعش ( الدولة الإسلامية بالعراق والشام) وتأسيس الخلافة الإسلاميّة الجديدة على يد أبي بكر البغدادي ( 1971-2019).

رفض حبش تصورات تنظيمي القاعدة وداعش واعتبرهما تنظيمين متطرفين. ولكن الأهم من ذلك أنه يوجه مسؤولية ظهور مثل هذه التنظيمات إلى غياب دور فعال للجيوش الوطنية العربية: "ولو أنّ الجيوش الوطنيّة في البلاد العربيّة أخذت بمبادئ الشريعة الغراء وهدي النبي الكريم في العدل والإحسان وأخذت من نجاحات الشعوب المتحضّرة تلك الآليات المزدهرة في فرض القانون على سلوكيات الجيش ومحاصرة الفساد والمحسوبية فيه لأصبح لدينا في البلاد الإسلامية جيوش

[46] - محمد حبش، " جهاد الدم: قراءة من الصومال"، مثال منشور بتاريخ 1 فيفري 2023 على موقعه الرسمي.

جهاد تتكامل مع مصالح الأمة ولا تتصادم معها. "[47]. فهو يرى أن بطش الجيوش العربية بمواطنيها وعدم اهتمامها بمصالح الوطن عائد إلى سببين اثنين: أوّلهما أن هذه الجيوش لم تقتد بمنهج الرسول وسياسته في إدارة شؤون الدولة فخيّرت إهانة المقدس الديني، وثانيهما عدم استفادتها من الشعوب المتحضّرة فعجزت عن تحقيق الأمن. والمثال على ذلك الجيش السوري الذي يعتبره نموذجا في هذا المجال: " ويعتبر هذا الجيش ظاهرة عجيبة في تاريخ الجيوش في العالم، فلم يسبق لجيش وطني أن قام عن عمد بالدبابات والطائرات والصواريخ الوطنية بتدمير مدن بحالها في الوطن وتشريد نصف الأمة. . . "[48].

إن موقفه واضح من هذه الناحية فهو يرى أن الجهاد بما هو قتال هو من مسؤولية الدولة فـ" الشرع لم يأذن بالقتال إلا عندما تحولت الكتلة إلى دولة مستقلة يجب عليه الدفاع عن وجودها الوطني " [49] ولكن بشرط أن لا توظف الدولة هذا الجهاد ضد الشعب وضد الأمة فذلك هو سبب ظهور الحركات الجهادية المتطرفة. فالجيش ينبغي أن يكون هو الحاضن الطبيعي للراغبين في الجهاد.

**4- الجهاد والقيم الحديثة**

لا يمكن نشر ثقافة الديمقراطية والحرية دون مراجعة جذرية لمفهوم الجهاد "[50]وفي هذا الإطار عمل محمّد حبش على حل إشكاليّة مصطلح الديمقراطية الذي طالما مثّل إشكالا كبيرا إذ يراه كثيرون لا تتماشى مع الإسلام. ولكن محمد حبش يرى أنه وإن كانت الديمقراطيّة مصطلحا غربيا إلاّ أنّه نابع من مقاصد الشريعة الإسلامية. فالديمقراطية في مفهومه قيمة تهدف إلى المساواة وحقوق الإنسان ونبذ العنف، وهو بذلك يرفض قيام أحزاب ثيوقراطية[51]، ويشجع على قيام أحزاب ديمقراطيّة فالشورى من السنن النبويّة المرادفة للديمقراطية والعدالة ". وكذلك الشأن بالنسبة إلى "الدبلوماسيّة "فهي مصطلح لا يتعارض مع الإسلام بتاتا، بل الدبلوماسية من القيم التي نصّ عليها في سبيل تأسيس علاقات وديّة إيجابيّة مع الآخر بغضّ النظر عن انتمائه واعتقاده الذي كان سببا من أسباب الحروب. وهو

[47]-محمّد حبش،رسالة الجهاد من الغزو والفتح إلى الجيش الوطني ص 79.نسخة إلكترونية بدون معطيات حول النشر(التاريخ.المطبعة.البلد)
[48] - المصدر السابق. ص. ن
[49]المصدر نفسه ص 17
[50]حمّد الرّحموني، القرآن ومجتمع اللادولة، ط1، ص، 251، الشبكةالعربيّة، 2019.
[51]تيوقراطيّة "مذهب يقوم على تعليل السلطة السياسيّة لدى الجماعة على أساس الاعتقاد الديني " معجم المعاني الجامع.

يعتبر مشروع تصادم الحضارات الذي تتبناه أمريكا لا يختلف عن تقسيمات الفقهاء القدامي العالم إلى فسطاطين أو دارين ( دار الإسلام ودار الحرب)[52]

إن الديمقراطية والدبلوماسية والحرية مصطلحات تتناقض مع مصطلح القوة والاستبداد والقتال. وهي من المصطلحات التي نادى بها قصدا وعلنا ليبرهن أنّها من صلب الإسلام، وأنّ كل ما يتصل بالعنف والغطرسة ذهب مع فترة الجاهليّة، ولا يتوافق مع المفكرين المحدثين. وللاقناع بذلك اعتمد القرآن مصدرا أساسيّا وكذلك كتب السيرة لإحياء البرنامج الدبلوماسيّ الذي سار عليه الرسول في كفاحه ونجاحه السلميّ في تحقيق النبوة، وتصديره للغرب مشروعا ديمقراطيّا دينيّا سياسيّا إداريّا.

ومن القيم الحديثة ذات العلاقة بالجهاد التي دافع عنها محمد حبش مسألة إلغاء عقوبة الإعدام[53]فهو يعتبر عقوبة الإعدام من قبيل القتل مثلما أن الجهاد في التصورات المتطرفة هو قتل غير مشروع. وفي المقابل دعا إلى تعويض هذه العقوبة بعقوبات أخرى بديلة مدعّما رأيه ببراهين شرعيّة[54] وحجج واقعية (عرض إحصائيات عن الدوّل التي توقفت نهائيا عن تطبيق عقوبة الإعدام باستثناء بعض الدول الإسلامية مثل إيران والعراق ومصر ). [55]

وهو يرى في هذا السياق ضرورة التفريق بين "القصاص"الذي يتّصل بالعدالة، والإعدام، والقتل، الذي لم يذكر في القرآن ومالعمل به إلاّ رغبة في إلغاء الإنسان من الوجود الذي هو شأن إلهي. فالله يقرر من سيبقى على الأرض.

لقد مانع حبش في تطبيق عقوبة الإعدام والقتل حتّى على المرتدّ "أمّا قتل المرتدّ فهو أمر معارض لروح الشريعة في التسامح"[56].

**خاتمة الفصل**

شهد مفهوم الجهاد عند محمّد حبش نقلة نوعية فقد أخرجه من أبعاده الفقهيّة التي تقتصر على القتال وثقافة الكراهية ورفض الآخر المختلف عقائديا ومن ثمة تكفيره، إلى أبعاد فكرية تأسيسيّة لا نظير لها. وهي نظرة قائمة على الاجتهاد وإعادة

---

[52]محمّد حبش ، النبي الديمقراطي، ص ص 28،33 .
[53]محمّد حبش ، ضد الإعدام: أساليب الشريعة في مناهضة عقوبة الإعدام، ط1، مركز الدراسات لبحوث التنوير والحضارة 2021.
[54] - النساء، 4:93
[55] محمّد حبش ، ضد الإعدام: أساليب الشريعة في مناهضة عقوبة الإعدام، ص ص 3،5 .
[56]-المصدر السابق، ص 30.

قراءة الموروث الثقافي فلم ير أنّ حدّ الجهاد يقف عند الدفاع عن الدين والنفس فقط، بل جرّده من الفهم السطحيّ ليربطه بقضايا عديدة تلامس الواقع وتخدم العصر الحاضر.

فمن ناحية إعادة قراءة الموروث لم يكتف محمد حبش بموقف دفاعي ينفي فيه عن الإسلام تهمة العنف بل أضاف إلى ذلك النبش والبحث عن المسكوت عنه وهي العلاقات الديبلوماسية، وبالاستناد إلى آيات القرآن وسنة الرسول، عزّز محمّد حبش موقفه وأنتج فكرا إسلاميّا مع التي أقامها المسلمون منذ عهد الرسول (ص) وكونوا بفضلها علاقات سلمية كانت بديلا عن الحرب والجهاد القتالي. ومن ناحية الرؤية التجديدية فقد سعى محمد حبش إلى تأصيل القيم الحديثة في نصوص الإسلام التأسيسية أي القرآن والسنة وكذلك في التاريخ الإسلامي لذلك لم يجد أي حرج في نعت النبي بأنه ديمقراطي وأن أبطال الإسلام الحقيقيين هم عباقرة الديباوماسية من أمثال عمر بن الخطاب والحسن بن علي وعمر بن عبد العزيز وليسوا خالد بن الوليد ولا صلاح الدين الأيوبي.

هذه المواقف كانت صادمة للفكر التقليدي فكانت موضوع نقد عند المتشدّدين فقد نعته أحدهم بأن يعتنق مذهب الخوارج في تعطيل الحدود التي وردت في نصوص قطعية[57] " ؛ في حين اتهمه البعض الآخر بتلميع صورة حاكم الإمارات محمد بن زايد. [58]ووصل الأمر ببعضهم إلى رميه بأبشع النعوت فقد ورد في مقال منشور على" شبكة الدفاع عن أهل السنة" ما يلي: " إن المتأمل الناظر في مقالات وكتب المدعو محمد حبش مثل: المرأة بين الشريعة والحياة!!، والنبي الديمقراطي!!، وإسلام بلا عنف!!، والمصارف والربا، يجد القارئ فيها بقوة رائحة أهل العصرنة والحداثة، وهم أخطر وأخبث أهل البدع والأهواء في هذا الزمان، وهم مدعومون بقوة من قبل أعداء الإسلام، فكم هذا وأمثاله كانوا ثلمة على الإسلام حاضراً ومستقبلاً "[59]

[57] -أحمد محمد كنعان، "حقيقة فكر الدكتور محمد حبش التنويري"، مقال منشور على شبكة الأنرنت:https://islamsyria

[58] -تمام أبو الخير، محمد حبش وعدنان إبراهيم ومهمة تلميع ابن زايد، مقال منشور بتاريخ 13 فيفري 2012 في الموقع التالي: https://www. noonpost. com

[59] - مقال بعنوان " حقيقة المأفون محمد حبش وبعض ضلالاته" منشور بتاريخ 13 جويلية 2011 على الموقع التالي: https://www. dd-sunnah. net/forum/showthread. php?t=131461

ولكن هناك من انتقده نقدا موضـــوعيا ومن بين هذه الانتقادات التي نراها وجيهة ومصــيبة ما كتبه صــالح بوزان في مقال له بعنوان:" الدكتور محمد حبش متنورا". ويمكننا تلخيص هذه الانتقادات في النقاط التالية:

- ارتباط محمد حبش بالنظام الســوري فقد كان عضــوا في مجلس الشــعب وبالتالي كان بوقا من أبواق النظام الاستبدادي في سوريا
- تجنيه على التاريخ الإسلامي ومحاولة تبرئته من العنف
- فصله تجاوزات التاريخ الإسلامي عن العقيدة إذ لا يمكن الفصل بين ما هو سياسي وعقدي
- اعتماده منهجا انتقائيا يخفي بموجبه كل ما يناقض فكرته[60]

**الخاتمة العامة**

من المؤكد أن بعض القراء سيجدون في هذا العمل شيئا جديدا ونعني بذلك أولئك الذين لا يعرفون محمد حبش وكتاباته وآراءه الجريئة؛ ومن المؤكد أيضـا أن البعض الآخر ســيصـــاب بخيبة أمل ونقصـــد أولئك الذين يعرفون فكر محمد حبش ومطلعون على تفاصـــيله وخفاياه. لقد كنا واضـــحين منذ البداية- وباتفاق مع الأســـتاذ المشرــف – فعملنا يرتكز بالأســـاس على التعريف بمحمد حبش وبفكره عســـانا نوفر فرصـــة لنا ولغيرنا من الباحثين للتعمق أكثر في فكره وأرائه. ومع ذلك فقد حاولنا أن نقدم بعض الآراء النقدية التي قيلت في محمد حبش.

عــاش محمــد حبش في زمن الانقلابـات والحروب والفتن وهي ظواهر اعتبرهـا أصحابها جهادا في سبيل الله. أي أنه عاش في منطقة وفي زمن غلب عليهما الجهاد. ولذلك كانت كل كتاباته تقريبا تتعلق بالجهاد والحقيقة أن الأمر ليس غريبا فعالم المســلمين منذ ظهور الإســـلام يحركه الجهاد كما قال الذكتور محمد الرحموني: " لقد كان الجهاد بحق معركة متعددة الأوجه دفعت التاريخ الإســـلامي في مختلف فتراته". [61] وقد كانت له آراء مميزة في هذا الجانب ســـواء في ما تعلق بالفترة النبوية

[60] - صالح بوزان، " الدتور محمد حبش متنورا"، مقال منشور بتاريخ 25 ماي 2018 على الموقع التالي : https://www. ssrcaw. org/ar/show. art. asp?aid=600466

[61] -محمد الرحموني، الجهاد من الهجرة إلى الدعوة إلى الدولة، دار الطليعة بيروت، 2002، ص199

والقديمة عموما أو ما تعلق بالعصر الحاضر ويمكننا تلخيص آراءه في ما يلي من النقاط:

*الحروب التي خاضها الرسول كانت للدفاع عن النفس

*تاريخ الإسلام لم يكن محكوما بالفتوحات والحرب وإنما بالديبلوماسية

*لم يقع تأسيس الجيوش العربية الحديثة على أساس عقائدي إسلامي أسوة بجيش الرسول لذلك كان جيشا قمعيا وإرهابيا فاختار الشباب الانضمام إلى الحركات الجهادية التي وفرت لهم الإطار العقائدي الذي يحبونه.

.

*ليس للإسلام فضل على بقية الأديان بل هي متساوية ولذلك لا فائدة من إعلان الجهاد لنشر الإسلام.

هذه الآراء هيجت ضده الفكر التقليدي وحتى بعض المتنورين فالتقليديون كفروه واعتبروه عدوا لأهل السنة والجماعة ؛ والمتنورون اتهموه بالانتقائية والتناقض وبخدمة سياسات دولة الإمارات التي عوضت الديانة الإسلامية بالديانة الإبراهيمية. ولعل أخطر نقد وجه إليه كان من قبل شيخه الذي طالما اعتبره مجددا ونسج على منواله، فقد نشرت مواقع التواصل الاجتماعي وقنوات اليوتيوب في الآونة الأخيرة رابطا لخطبة منبريّة ألقاها الشيخ كفتارو يتبرّأ فيها ممّا ينشره محمّد حبش وكل ما يتحالف مع الشريعة وما يخالفه رأيه بتعلّة أنّها أفكار خاطئة شاذّة مؤكّدا أنّها لا تمثّله ولا يوافق حتّى عليها قائلا:". . . والمجدّدون حقيقة هم الّذين ينفون عن الإسلام تحريف الغالبين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وليس من التجديد في شيء أن نؤوّل النصوص بجهل وغرور ثم ننسب هذا إلى التجديد "[62]. فهل يمكن بعد هذا القول إن التلميذ قد تمرد على أستاذه؟

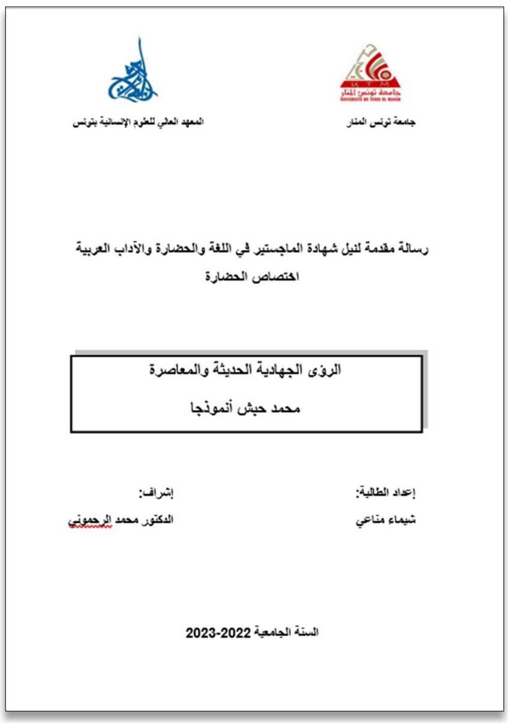
لقد وجه له النقد من جميع الاتجاهات وقد ذهب أحد الباحثين إلى وصمه بالتلفيق وبالتالي نزع عنه كل جهد تجديدي: " لم يستمر حبش على منهج التصوف

[62] https://yout. be/fupuhwlaayl

الذي درسه على شيخه أحمد كفتارو بل مزج ذلك بمناهج ضالة جديدة فأخذ من جودت سعيد أسوأ ما عنده، وتابع حسن الترابي في ضلالته"[63]

فمن نصدّق؟ الحقيقة أن اختلاف هذه الآراء إلى حدّ التناقض تبين ثراء فكر محمد حبش وأنه فكر يدفع إلى التفكير ويثير العقول الجامدة والخاملة. ومن ناحية ثانية لا يمكن نقد موقفه من الجهاد إلا عبر تقييم شامل لمنطلقاته الفكرية والسياسية والمنهجية. وهذا ما نعد به في المستقبل.

اهـ - من كتاب شيماء المناعي



المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس

جامعة تونس المنار

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والحضارة والآداب العربية

اختصاص الحضارة

الرؤى الجهادية الحديثة والمعاصرة

محمد حبش أنموذجا

إعداد الطالبة:

شيماء مناعي

إشراف:

الدكتور محمد الرحموني

السنة الجامعية 2022-2023

---

[63] -فادي قراقرة، " من دعاة الفتنة والضلال في عصرنا"، مقال منشور بتاريخ 3 جويلية 2016 على الموقع التالي: https://www. alrased. net/main/articles. aspx?selected_article_no=7439

## وبعد....

فهذا حصاد حوارات جادة قام بها مفكرون محترمون، قصدوا الكشف عن مقاصد الرسالة النبيلة التي نحملها في الإخاء الإنساني.

وأخص بالشكر الأساتذة المفكرين الكبار دكتور مولاي صابر، والدكتور حسام الدين درويش، والدكتور عبد السلام شرماط، والبروفسور محمد رحموني، وكذلك الأكاديمية الواعدة شيماء المناعي التي خصصت رسالتها في الماجستير لمناقشة رسالتنا في الإخاء الإنساني واللاعنف. والأساتذة الإعلاميين الكبار أسامة ياغي ومصطفى الخليل وأحمد كامل وجهاد العبد الله ومحررو يكتي ميديا

إنني أوجه لكم شكري واحترامي، وأعلم أنهم مفكرون أصحاب مشاريع تنويرية حقيقية، نتفق ونختلف، ونلتقي ونفترق، وأرى ان ما قاموا به يندرج تحت باب التواضع، والرغبة في اكتشاف المعرفة، وتظهيرها للناس.

أكرر لهم شكري وأسعد ما قدموه وفاقاً أو فراقاً، وإن بوارق الحقائق تنبع من مصادمة الأفكار

المحتوى

ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء

شكلت أفكار حبش خلال العقدين الماضيين إضافة جديدة وجريئة لساحة الفكر الإسلامي والتنوير العربي، حيث طرح الأسئلة الكبيرة في السلام والجهاد واللاعنف، وفي إخاء الأديان وكرامة الإنسان، وفي رفض احتكار الحقيقة والخلاص، وفي الدعوة إلى نقد حقيقي ومباشر للموروث الديني، وتأصيل رؤية حضارية من داخل الفقه الإسلامي لقضايا العصر، تحقق الوحدة الداخلية للمجتمع، وتؤسس لوفاق بين المجتمع الإسلامي والأسرة الدولية، وتعزز مبدأ المواطنة بين المختلفين في الدين والطائفة.

انطلق الدكتور حبش من موقعه داخل المؤسسة الدينية بعد أن عمل فيها لأكثر من ثلاثين عاماً، وصل فيها إلى رئاسة جمعية فقهاء الشريعة في سوريا وهي الجمعية الوحيدة التي تجمع رجال الدين في سوريا، ثم خاض انتخابات مجلس الشعب السوري عن المقاعد المستقلة لدمشق وفاز بها مرتين، وترأس مركز الدراسات الإسلامية في دمشق، وقد حظيت جهوده باعتراف حكومي رسمي حيث تمت توأمة نشاط المركز مع جامعة دمشق، وبات مركزا متقدماً للإسلام التنويري الحضاري، واستقبل مئات الوفود العالمية الباحثة عن صورة متقدمة للإسلام.

ولكن مع بداية ثورة الحريات في سوريا 2011 وانحياز الدكتور حبش إلى مطالب الناس اصطدم بالسلطة الغاشمة لنظام البعث، الذي قام بإغلاق المؤسسة والمركز ومنع د. حبش من العمل العام، وبعد مغادرته البلاد أصدر النظام الغاشم حكماً غيابياً بالإعدام على د. حبش ورفاقه من الفقهاء، وهو الحكم الذي سقط حكماً بانتصار الثورة السورية 2024.

في هذا الكتاب اخترنا أهم الحوارات التي أجراها الدكتور حبش مع المراكز العلمية والثقافية، وقد اقتصرنا على الحوارات الفكرية، وتجاوزنا حوارات الراهن السياسي، ومع أن كل الحوارات منشورة في مواقعها، ولكننا قمنا هنا بتوفيرها وترتيبها للباحثين، وأشرنا إلى روابط النشر في مواقعها.

وقد اقتصرت الحوارات على ما أجراه الدكتور حبش عام 2024. ونعد القراء الكرام أن نصدر لكل عام كتاباً خاصاً.



نحو إسلام حضاري، وإخاء إنساني

# حوارات ومواجهات

## مع الدكتور محمد حبش

أهم الحوارات الفكرية التي أجرتها المراكز العلمية مع الدكتور محمد حبش عام 2024